جامعة ام القرى بمكة المكرمة

كلية التربية

قسم التربية الاسلامية والمقارنة

تربية المرأة بين المودودي وطه حسين

إعداد الطالبة

منيرة عبد الله القاسم

إشراف

د. عبد الرحمن صالح عبد الله

د. نجم الدين عبد الغفور الأنديجاني

رسالة مقدمة الى قسم التربية الاسلامية والمقارنة في

كلية التربية بجامعة ام القرى كمتطلب تكميلي لنيل درجة الماجستير

الفصل الدراسي الأول

١٤٠٨هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة أم القـــــــــــرى
كلية التربية بمكة المكرمـــة
الدراسات العليا


٣٠١٠٢٠٠٠٠٠١٣٦٠

نموذج رقم (٨) *

اجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائيـــــة
بعد اجراء التعديلات المطلوبـــة

الاسم رباعـــــى : منيره عبدالله عبدالعزيز القاسم — القسم : التربيه الاسلاميه والمقارنه

الدرجة العلمية : مـاجســــــتير — التخصص : تربيه اســـلامــيه

عنوان الاطروحــة : تربية المرأه بين المودودى وطه حسين

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ،،

فبناء على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الاطروحة المذكورة عاليه والتى تمت مناقشتها بتاريخ ٢١/ ٥ / ١٤٠٨هـ بقبول الاطروحة بعد اجراء التعديلات المطلوبة ، وحيث قد تم عمل اللازم ٠

فان اللجنة توصى باجازة الاطروحة فى صيغتها النهائية المرفقة كمتطلب تكميلى للدرجة العلمية المذكورة أعلاه والله الموفق ٠

أعضاء اللجنة

	المشرف	مناقش من القسم	مناقش من خارج القسم
الاسم :	د ٠ نجم الدين عبدالغفور الانديجاني	د ٠ محمود محمد طنطاوى	د ٠ محمد مريسي الحارثي
التوقيع :	[signature]	[signature]	[signature]

رئيس قسم التربية الاسلامية والمقارنـــة
[signature]
د ٠ نجـم الدين عبدالغفور الانديجاني

* يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الاطروحة فى كل نسخة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال صلى الله عليه وسلم:

"من ابتلي من هذه البنات بشيء كن له سترا من النار"(1)

1- البخاري: صحيح البخاري، ج (1)، باب وجوب الزكاة، ص 247.

ملخـــص الدراســـة

استهدفت الدراسة التعرف على رأي كل من ابي الأعلى المودودي وطه حسين حول المرأة من خلال دراسة تحليلية لآرائهما حول تعليم المرأة وحجابها، وقضية الاختلاط وعملها، والآداب التي يجب أن تتحلى بها، نظرا لما تشكله هذه الآراء في تمثيل لواقع اكبر اتجاهين سادا في المجتمع حول المرأة، وقد اقتضت الضرورة وزن هذه الآراء بميزان الاسلام.

وقد انتهجت الدراسة أسلوبين: الاول استخدام المنهج التاريخي، ويبرز ذلك في الفصل الأول والثالث عند الحديث عن النشأة التاريخية لكل من المفكرين؛ والحديث عن تطور قضايا المرأة عبر الأزمنة التاريخية. والأسلوب الثاني هو المنهج التحليلي الاستدلالي، حيث حُللت النصوص التي كتبها كل منهما للتعرف على اتجاهاتهما الفكرية، ويبرز هذا المنهج عند عرض آرائهما في الفصلين الثاني والثالث.

تشكل الدراسة بمجموعها ثلاثة فصول، إضافة إلى الفصل التمهيدي الذي تضمن سبب اختيار الموضوع وأهميته وحدود الدراسة واهدافها. أما الفصل الأول فقد تم خلاله التعريف بكل من المودودي، وطه حسين وذلك بإعطاء نبذة عن نشأتهما وتعليمهما وعملهما، وعلاقة كل منهما بالسياسة، وفكره ثم وفاته. ومن خلال الفصل الثاني تم عرض آراء المودودي حول القضايا الرئيسة الخاصة بالمرأة ومن ذلك تعليم المرأة وضوابطه والاختلاط (مجالاته ونتائجه)، وعمل المرأة وآدابها. أما آراء طه حسين حول قضايا المرأة فقد ركز عليها الفصل الثالث من الدراسة،

ومن خلال هذين الفصلين حاولت الدراسة استخلاص رأي الشريعة في تلك القضايا للتعرف على مدى ملاءمة واستقامة تلك الآراء مع الاسلام.

أما خاتمة البحث فقد شملت أهم النتائج التي تم التوصل اليها وبعض التوصيات المقترحة التي تؤكد أهمية التربية الاسلامية في تثبيت المفاهيم والقيم التي نادت بها شريعة الاسلام، وتوجيه الأفكار والسلوك بما يتناسب مع تلك المفاهيم والقيم لكل فرد مسلم.

إهـــداء

إلـى الوالـد الفاضل الذي غرس في نفسي حب العلم السعي إليه، ووالدتي الحنون التي غمرتني بحبها: إليهما معا عرفانا بفضلهما في تربيتي وتأديبي.

إلـى زوجي العزيز الذي كان لدعمه وتشجيعه اكبر الأثر في مواصلة رحلتي التعليمية، وإلى أولادي الأعزاء: عثمان ومنال وعبد الله الذين كانت بسمتهم بلسما يخفف عني وطأة التعب والمعاناة خلال إعداد هذه الرسالة.

إلـى كل من يهمه أمر المرأة تربية وتعليما أهدي هذه الرسالة.

شكر

أبدأ أولا بحمد الله تعالى الذي منحني القدرة والصبر على انجاز هذا العمل، راجية أن يكون خالصا لوجهه تعالى، داعية الله عز وجل أن يجعله مصدر نفع وخير.

ثم أتقدم بالشكر الجزيل إلى سعادة الدكتور المشرف/ عبد الرحمن صالح عبد الله؛ لما قدمه من نصح وإرشاد خلال فترة إعداد هذه الرسالة، كما أتقدم بالشكر الجزيل للاستاذ الفاضل/ خليل أحمد الحامدي؛ لما قدمه من مساعدة في توفير بعض المراجع.

وأتقدم بخالص التقدير للمناقشين سعادة الدكتور/ محمد مريس الحارثي والدكتور /محمود طنطاوي -تغمده الله بواسع رحمته- لما قدماه من توجيهات قيمة أثرت البحث؛ وبمزيد من الشكر والعرفان لسعادة الدكتور المشرف/ نجم الدين الانديجاني لما قام به مشكورا من جهود وتوجيهات سديدة لاتمام هذه الرسالة وخروجها بهذه الصورة.

فلكل من خالص الشكر والتقدير

وجزاهم الله خيرا وأحسن لهم الثواب

قائمة المحتويات

قائمة المحتويات

جامعة ام القرى بمكة المكرمة
كلية التربية
قسم التربية الاسلامية والمقارنة

تربية المرأة بين المودودي وطه حسين

إعداد الطالبة
منيرة عبد الله القاسم

إشراف
د. عبد الرحمن صالح عبد الله
د. نجم الدين عبد الغفور الأنديجاني

رسالة مقدمة الى قسم التربية الاسلامية والمقارنة في
كلية التربية بجامعة ام القرى كمتطلب تكميلي لنيل درجة الماجستير .

الفصل الدراسي الأول
١٤٠٨هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

قال صلى الله عليه وسلم:

"من ابتلي من هذه البنات بشيء كن له سترا من النار"(1)

1- البخاري: صحيح البخاري، ج (1)، باب وجوب الزكاة، ص 247.

ملخص الدراسة

استهدفت الدراسة التعرف على رأي كل من ابي الأعلى المودودي وطه حسين حول المرأة من خلال دراسة تحليلية لآرائهما حول تعليم المرأة وحجابها، وقضية الاختلاط وعملها، والآداب التي يجب أن تتحلى بها، نظرا لما تشكله هذه الآراء في تمثيل لواقع اكبر اتجاهين سادا في المجتمع حول المرأة، وقد اقتضت الضرورة وزن هذه الآراء بميزان الاسلام.

وقد انتهجت الدراسة أسلوبين: الاول استخدام المنهج التاريخي، ويبرز ذلك في الفصل الأول والثالث عند الحديث عن النشأة التاريخية لكل من المفكرين؛ والحديث عن تطور قضايا المرأة عبر الأزمنة التاريخية. والأسلوب الثاني هو المنهج التحليلي الاستدلالي، حيث حُللت النصوص التي كتبها كل منهما للتعرف على اتجاهاتهما الفكرية، ويبرز هذا المنهج عند عرض آرائهما في الفصلين الثاني والثالث.

تشكل الدراسة بمجموعها ثلاثة فصول، إضافة إلى الفصل التمهيدي الذي تضمن سبب اختيار الموضوع وأهميته وحدود الدراسة واهدافها. أما الفصل الأول فقد تم خلاله التعريف بكل من المودودي، وطه حسين وذلك بإعطاء نبذه عن نشأتهما وتعليمهما وعملهما، وعلاقة كل منهما بالسياسة، وفكره ثم وفاته. ومن خلال الفصل الثاني تم عرض آراء المودودي حول القضايا الرئيسة الخاصة بالمرأة ومن ذلك تعليم المرأة وضوابطه والاختلاط (مجالاته ونتائجه)، وعمل المرأة وآدابها. أما آراء طه حسين حول قضايا المرأة فقد ركز عليها الفصل الثالث من الدراسة،

ومن خلال هذين الفصلين حاولت الدراسة استخلاص رأي الشريعة في تلك القضايا للتعرف على مدى ملاءمة واستقامة تلك الآراء مع الاسلام.

أما خاتمة البحث فقد شملت أهم النتائج التي تم التوصل اليها وبعض التوصيات المقترحة التي تؤكد أهمية التربية الاسلامية في تثبيت المفاهيم والقيم التي نادت بها شريعة الاسلام، وتوجيه الأفكار والسلوك بما يتناسب مع تلك المفاهيم والقيم لكل فرد مسلم.

إهـــــــــــــداء

إلـى الوالـد الفاضل الذي غرس في نفسي حب العلم السعي إليه، ووالدتي الحنون التي غمرتني بحبها: إليهما معا عرفانا بفضلهما في تربيتي وتأديبي.

إلـى زوجي العزيـز الذي كان لدعمه وتشجيعه اكبر الأثر في مواصلة رحلتي التعليمية، وإلى أولادي الأعزاء: عثمان ومنال وعبد الله الذين كانت بسمتهم بلسما يخفف عني وطأة التعب والمعاناة خلال إعداد هذه الرسالة.

إلـى كل من يهمه أمر المرأة تربية وتعليما أهدي هذه الرسالة.

شكـــــــــــــر

أبدأ أولا بحمد الله تعالى الذي منحني القدرة والصبر على انجاز هذا العمل، راجية أن يكون خالصا لوجهه تعالى، داعية الله عز وجل أن يجعله مصدر نفع و خير.

ثم أتقدم بالشكر الجزيل إلى سعادة الدكتور المشرف/ عبد الرحمن صالح عبد الله؛ لما قدمه من نصح وإرشاد خلال فترة إعداد هذه الرسالة، كما أتقدم بالشكر الجزيل للاستاذ الفاضل/ خليل أحمد الحامدي؛ لما قدمه من مساعدة في توفير بعض المراجع.

وأتقدم بخالص التقدير للمناقشين سعادة الدكتور/ محمد مريس الحارثي والدكتور /محمود طنطاوي -تغمده الله بواسع رحمته- لما قدماه من توجيهات قيمة أثرت البحث؛ وبمزيد من الشكر والعرفان لسعادة الدكتور المشرف/ نجم الدين الانديجاني لما قام به مشكورا من جهود وتوجيهات سديدة لاتمام هذه الرسالة وخروجها بهذه الصورة.

فلكل من خالص الشكر والتقدير
وجزاهم الله خيرا وأحسن لهم الثواب

قائمة المحتويات

قائمة المحتويات

الفصل التمهيدي

١- المقدمة.

٢- سبب اختيار الموضوع وأهميته.

٣- حدود الدراسة.

٤- أهداف الدراسة.

٥- منهج البحث.

٦- فصول الدراسة.

(١) المقدمة

لقد تعددت وجهات النظر حول المرأة عبر التاريخ، واختلف وضعها الاجتماعي والقانوني باختلاف المجتمعات، وفيما يلي صور موجزة لمكانة المرأة عبر العصور:

عند اليهود:

كانت بعض طوائفهم تعتبر البنت في مرتبة الخادم، ويحق لأبيها بيعها قاصرة، وليس لها حق الارث، إلا إذا لم يكن لها إخوة ذكور، واليهود يعتبرون المرأة لعنة لأنها أغوت آدم عليه السلام.(١)

عند اليونان:

كانت المرأة في المجتمع اليوناني أول عهده بالحضارة تلزم بيتها وترعاه، إلا أن الأمور تغيرت في أوج حضارة اليونان فاختلطت المرأة بالرجال في الأندية والمجتمعات، وشاعت فاحشة الزنا، وأصبح غير منكر، وأصبحت دور البغايا مراكز للسياسة والأدب، واتخذت التماثيل العارية باسم الأدب والفن، ثم اعترفت دياناتهم بالعلاقة الآثمة بين الرجل والمرأة، وأقاموا لذلك التماثيل المختلفة، ولم يقف الحال عند هذا الحد بل انتشرت فاحشة اللواط بين الرجال، فقد نصبوا تمثالا لرجلين جمع بينهما ذلك الحب المنكر، والذي كان خاتمة المطاف في حضارتهم فانهارت وزالوا.(٢)

١- انظر: مصطفى السباعي: المرأة بين الفقه والقانون، ص ١٩.

٢- المرجع السابق، ص ٢١-١٤.

عند الرومـــــان:

أما عند الرومان فلم يكن الحجاب معمولا به إلا أن النساء والشباب كانوا مقيدين في نظام الاسرة، وكانت الاخلاق عندهم على مستوى عالٍ، والعفاف ينظر اليه بعين الاجلال ولا سيما في شان النساء، وكانت مباشرة الرجل بالمرأة أمرا غير مباح إلا بعقد، والمرأة الفاضلة في المجتمع هي التي تكون أماً لأسرة، إلا أن الموازين تبدلت وأصبحت المرأة حرة طليقة لا سلطة عليها بحكم القانون، وسهل أمر الطلاق والزواج لأتفه الاسباب، ثم بدأت تتغير نظرتهم إلى العلاقة بين الرجل والمرأة من غير عقد مشروع، حتى عد الزنا في النهاية من الامور العادية، ولما تراخت عرى الأدب والاخلاق اندفع تيار من العري والفواحش فأصبحت المسارح مظهرا للخلاعة والتبرج الممقوت، وزينت البيوت بصور ورسوم كلها دعوة سافرة للفجور والدعارة، وراجت مهنة الموسات والداعرات وانجذبت إليهما نساء البيوتات، وانتشر استحمام الرجال والنساء في مكان واحد وبمرأى من الناس، فما كان من انغماسهم في الشهوات البهيمية ومجاوزتهم الحد إلا أن تمزقت دولتهم وسقطت.(١)

عند المسيحيين:

أما المسيحيون فقد هال رجالهم ما رأوه في المجتمع الروماني من انتشار الفواحش والمنكرات، وما آل إليه المجتمع من انحلال خلقي، فاعتبروا المرأة مسؤولة عن ذلك كله، فقرروا أن الزواج

١- انظر: المودودي: الحجاب، ص ٢٠-٢٤.

دنس يجب الابتعاد عنه، وأعلنوا أن المرأة باب الشيطان، وفي القرن الخامس الميلادي عقد اجتماع في مجمع "ماكون" للبحث عن مسألة ما إذا كانت المرأة جسما له روح أم لا، قرروا على أثره أن المرأة خاليه من الروح التي تنجيها من عذاب جهنم ماعدا أم المسيح.(١)

كما عقد الفرنسيون عام ٥٨٦م مؤتمرا للبحث فيما إذا كانت المرأة إنسانا أو غير ذلك، فقرروا أنها إنسان خلقت لخدمة الرجل. واستمر احتقار الغربيين للمرأة وحرمانها من حقوقها طيلة القرون الوسطى، فقد كان القانون الانجليزي حتى عام ١٢٢٠هـ- ١٨٠٥م يبيح للرجل أن يبيع زوجته، وبعد قيام الثورة الفرنسية عام ١٢٠٥هـ- ١٧٨٩م أعلن تحرير الانسان من العبودية والمهانة، إلا أن المرأة لم يكن لها نصيب في ذلك إذ نص القانون المدني الفرنسي على أن القاصرين هم: الصبي والمجنون والمرأة، واستمر ذلك حتى عام ١٢٥٧هـ- ١٩٣٨م حيث عدلت هذه النصوص لمصلحة المرأة.(٢)

عند العرب قبل الاسلام:

أما البيئة العربية قبل الاسلام فقد هضمت كثيرا من حقوق المرأة إذ لم يكن يحق لها الارث، ولم يكن للطلاق حدود، كذلك لم يكن هناك حد معين لتعدد الزوجات، ولم يكن لها في الغالب حق اختيار الزوج، وللولد ان يتزوج زوجة أبيه بعد وفاته، إذ كانت

١- انظر: مصطفى السباعي: المرأة بين الفقه والقانون، ص ٢٠٧

٢- انظر: المرجع السابق، ص ٢١.

تعتبر ارثا كبقية أموال أبيه، كما كان العرب يتشاءمون من ولادة الأنثى ويئدها بعضهم خشية العار أو خشية الفقر، قال تعالى:

{وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت}[1]

وقال تعالى:

{قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم
وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد
ضلوا وما كانوا مهتدين}[2]

مكانة المرأة في الاسلام:

في الوقت الذي كانت المرأة مهضومة الحقوق منبوذة المكانة جاء الاسلام يضع الميزان الحق لكرامة المرأة، ويعطيها حقوقها غير منقوصة ويصونها من عبث الشهوات وفتنة الاستمتاع الحيواني بها، فاصبحت بفضل هذا الدين عنصرا فعالا في مجتمعها تنهض به، وتساوت المرأة مع الرجل في الانسانية، لقوله تعالى:

{يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من
نفس واحدة}... الآية[3]

ثم إن الاسلام دفع عن المرأة اللعنة التي يلصقها بها رجال الديانات الاخرى، فآدم وحواء كلاهما يتحمل المسئولية في خروجهما من الجنة، قال تعالى:

{فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا
فيه} ... الآية[4]

والمرأة كالرجل أيضا تجازى بأعمالها وتدينها، قال تعالى:

---

١ - التكوير: ٨، ٩.

٢ - الأنعام: ١٤٠.

٣ - النساء: ١.

٤ - البقرة: ٣٦.

{فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل
منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض}...
الآية(١)

وقد حارب دين الاسلام التشاؤم والحزن لولادتها كما حرم وأدها، وأمر باكرامها اما واختا وبنتا وزوجة، وفي القرآن الكريم والاحاديث الشريفة شواهد كثيرة على ذلك، قال تعالى:

{ووصينا الانسان بوالديه احسانا حملته أمه
كرها ووضعته كرها}... الآية(٢)

كما رغب في تعليمها كالرجل وحث عليه وأعطاها حقها في الارث، كما نظم حقوق الزوجين وجعل لها حقوقا كحقوق الرجل مع رئاسة الرجل لشؤون البيت قال تعالى:

{ولهن مثل الذي عليهم بالمعروف وللرجال
عليهن درجة}... الآية(٣)

ونظم قضية الطلاق، وحدد تعدد الزوجات، كما جعلها قبل البلوغ تحت وصاية أوليائها، وهي وصاية تأديب ورعاية ورحمة وتنمية لأموالها، لا ولاية تملك واستبداد، وجعلها بعد البلوغ كاملة الأهلية للالتزامات المالية كالرجل سواء بسواء. من هنا نتبين أن المرأة نالت أعلى المراتب اللائقة بها ولطبيعتها وتكوينها في المجال الانساني والمجال الاجتماعي والحقوقي.(٤)

ومع مرور الايام بدأ المسلمون يتهاونون في إسلامهم، وعن طريق الغزو الفكري جاءت كثير من الأفكار والآراء حول نظم الحياة

١- آل عمران: ١٩٥.

٢- الاحقاف: ١٥.

٣- البقرة: ٢٢٨.

٤- انظر: مصطفى السباعي: المرأة بين الفقه والقانون، ص ٢٥-٢٠.

الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وكان للاسرة وللمراة منها نصيب وافر، فجاءت المناداة بتحرير المرأة ومساواتها بالرجل، وكأن الاسلام قد أسرها أو اضطهدها -والعياذ بالله- إلا أن قصور الفكر والبعد عن كتاب الله وسنة نبيه جعل بعضهم يؤمن ببعض تلك المبادئ، فتعددت وجهات النظر حول المرأة في هذا العصر، حتى كاد هذا التعدد يخلط المفاهيم. ولكي تتضح الصورة في الاذهان كانت هناك ضرورة لدراسة وجهات النظر المعاصرة حول المرأة وتربيتها، وقد اخترت شخصيتين اثرتا في الفكر والثقافة في العصر الحديث، هما الشيخ أبو الأعلى المودودي، والدكتور طه حسين، وإنني أنوي مناقشة آراء كل منهما حول تعليم المرأة وعملها وآدابها، وقضية السفور والحجاب والاختلاط، مع تقويم تلك الآراء ونظرة الاسلام لهذه القضايا.

أدعو الله سبحانه وتعالى أن يعينني لأسلك طريق الرشاد؛ لكي أنفع أمتي بهذا الجهد المتواضع وهو جهد المقل، والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل والحمد لله رب العالمين.

(٢) سبب اختيار الموضوع وأهميته

تعتبر تربية المرأة من الجوانب الهامة في حياة كل أمة، فالمرأة عنصر رئيس في المجتمع، تقوم وتتربى على يديها أجيال المستقبل، ولا تقل أهميتها عن الرجل في النهوض والرقي بالأمة، قال صلى الله عليه وسلم:

"إن النساء شقائق الرجال"(١)

١- جامع الترمذي: شرح الامام ابن العربي المالكي، ج (١)، ص ١٧٢.

فبصلاحها يصلح المجتمع ويستقيم، وبفسادها ينحرف ويفسد، قال صلى الله عليه وسلم:

"فاتقوا الدنيا واتقوا النساء؛ فان أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء"(١)

ويتحدث الدكتور مصطفى السباعي عن أهمية المرأة بقوله إن قضية المرأة هي قضية كل مجتمع في القديم والحديث، فهي تشكل نصف المجتمع من حيث العدد، وأجمل ما في المجتمع من العواطف، وأعقد ما في المجتمع من حيث المشكلات، ومن ثمة كان من الواجب التفكير في قضيتها جديا على أنها قضية المجتمع أكثر من كونها قضية جنس متمم أو مبهج(٢)، ومن هذا المنطلق ومن شعوري بأهمية تربية المرأة فقد رغبت أن أبحث في هذا الموضوع، من خلال عرض ومناقشة آراء كل من المودودي وطه حسين، فالدكتور طه حسين يؤكد على ضرورة الاتصال بأوربا بقوله:

"لابد أن نسير سيرة الأوربيين، ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادا، ولنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرها، حلوها ومرها، وما يحب منها وما يكره، وما يحمد منها وما يعاب، ومن زعم غير ذلك فهو مخادع أو مخدوع"(٣)

١- مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، ج (٢)، القسم الثاني، ص ٢٤٥.

٢- مصطفى السباعي، المرأة بين الفقه والقانون، ص ٩.

٣- طه حسين: المجموعة الكاملة لمؤلفات الدكتور طه حسين، المجلد التاسع، ص ٥٤.

ويقول في موضع آخر:

"إننا في هذا العصر الحديث نريد أن نتصل بأوربا اتصالا يزداد قوة من يوم إلى يوم، حتى نصبح جزءا منها لفظا ومعنى وحقيقة وشكلا"(١)

فهو بهذا يعم جميع جوانب الحياة ودقائق الامور، ولا شك أن المرأة تتأثر بهذا الاتصال؛ لأنها تقع ضمن الدائرة التي يتحدث عنها، وفي مقالة نشرت بمجلة الهداية في عام ١٣٢٩هـ- ١٩١١م تحت عنوان "كلمات في المرأة" قال طه حسين عن السفور والحجاب:

"إذا كنا نخشى من السفور شرا فلنعلم قبل كل شئ أن هذا الشر ليس لازما ذاتيا للسفور وإنما هو نتيجة لازمة لفساد النفوس، تقع في السفور وتحت الحجاب على السواء، وليس لها من دواء إلا أن نتوخى في نهضتنا إصلاح نفس المرأة والرجل إصلاحا دينيا منذ النشأة الاولى"(٢)

وكذلك فقد اهتم المودودي بتربية المرأة، ولا شك في أن كتابه الحجاب أكبر دليل على اهتمامه بتربية المرأة والاهتمام بشؤونها.

وقد رأيت ضرورة المقارنة بين آرائهما للتعرف على الآراء التي تستقيم مع المبادئ الاسلامية، وتلك التي تنحرف عن الطريق الذي رسمه الاسلام، ومن شأن هذا أن ينير الطريق للاسرة المسلمة ويعينها في

١- طه حسين: المجموعة الكاملة لمؤلفات الدكتور طه حسين، المجلد التاسع، ص ٥٤.

٢- السيد تقي الدين: طه حسين آثاره وافكاره، ص ٤٠.

تربية النشئ. وحيث إن الأسرة ليست المؤسسة الوحيدة التي تهتم بالتربية فهناك المدرسة تكمل بناء ما بدأت به الاسرة، ومن هنا تبرز اهمية المدرسة في مواجهة الضغوط الخارجية التي تتعرض لها الفتاة في هذا العصر المليئ بالتحديات المواجهة للاسلام، إذ لابد أن تعرف المدرسة واجباتها تجاه تربية الفتاة المسلمة، وغرس القيم والمبادئ الاسلامية فيها منذ الصغر، وتوجيهها كي تحقق ما أراده لها دينها، ولتصل إلى المكانة التي وضعتها فيها الشريعة، لذا يمكن القول بأن هذه الدراسة تهم الفتاة والأم، كما تهم العاملين والمشرفين على تعليم الفتاة في بلادنا وسائر بلاد المسلمين.

(٢) حدود الدراسة

تركز الدراسة الحالية على آراء كل من المودودي وطه حسين تجاه القضايا المتصلة بتربية المرأة، وهي:

أ- تعليم المرأة.

ب- الحجاب والسفور.

ج- الاختلاط.

د- عمل المرأة.

هـ- بعض الآداب التي يجب أن تتحلى بها المراة، وهي: الحياء والعفة وحسن المعاشرة.

وقد حاولت جاهدة أن أستخلص آراءهما بدراسة متأنية وعميقة لمؤلفاتهما التي تناولت هذه القضايا بالبحث والتوضيح، إضافة إلى متابعتي لممارسات ونشاطات طه حسين حيث تولى مناصب عديدة ذات صلة بالتربية، منها عمادة كلية الآداب، وإدارة جامعة الاسكندرية، ثم توليه لمنصب وزير المعارف بمصر.

وحيث إن بعض نشاطاته وممارساته عندما كان يتولى تلك المناصب ذات صلة بتربية المرأة فإن الدراسةالحالية معنية بتلك الممارسات؛ لأنها تلقي مزيدا من الضوء على مواقفه التي بثها في كتاباته.

(٤) أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق الأمور التالية:

أ- التعريف بآراء كل من أبي الأعلى المودودي وطه حسين حول القضايا التالية:

١- تعليم المرأة.

٢- الحجاب والسفور.

٣- الاختلاط.

٤- عمل المرأة.

٥- الآداب التي يجب أن تتحلى بها المرأة:

(أ) الحياء.

(ب) العفة.

(ج) حسن المعاشرة.

ب- تنمية الاتجاهات الايجابية السليمة نحو كل من هذه القضايا، هذه الاتجاهات التي تنبثق عن التصور الاسلامي لتربية المرأة.

ج- تقويم الفكر التربوي لكل من المودودي وطه حسين في مجال تربية المرأة على ضوء المبادئ الاسلامية.

(٥) منهج البحث

هناك منهجان يلائمان الدراسة الحالية هما المنهج التاريخي والمنهج التحليلي الاستدلالي:

(أ) المنهج التاريخي:

يهتم المنهج التاريخي في العادة بدراسة التغيرات التي تطرأ في الأفكار والاتجاهات لدى الافراد والجماعات عبر أزمان مختلفة، كما يعين المنهج التاريخي على تقصي منابع الافكار والعوامل المسهمة في تكوينها، ومن هنا تصبح معرفة الوقائع التاريخية على جانب كبير من الاهمية.(١)، ويفيد هذا المنهج الباحثة عند تقصي العوامل التي أسهمت في تكوين آراء كل من المودودي وطه حسين، ويتضح استخدام هذا المنهج في الفصل الأول من الدراسة بشكل خاص، وعند عرض آراء طه حسين في الفصل الثالث.

(ب) المنهج التحليلي الاستدلالي:

يفيد هذا المنهج في تحليل النصوص التي كتبها كل منهما: لـلتعرف على الحقائق والمسلمات التي تقوم عليها العبارات بهدف التعرف على ينابيع هذه الآراء، ثم لابد من تحليل دلالات هذه العبارات، وهذا يتطلب إدراكها على وجهها الصحيح، وبعد أن تتضح هذه الصورة يسهل على المرء أن يستنتج الاتجاهات التي يريد أن ينميها كل منهما، وهذا المنهج عرفه الفقهاء المسلمون واعتمدوا

١- انظر: جويار، م.ف: الأدب المقارن، ص ٥.

عليه، فقد كانوا يجمعون النصوص التي تتعلق بقضية معينة، ثم ينظرون فيما جمعوه، ويجتهدون في الفهم وفق طرائق الاجتهاد التي تحددها أصول الفهم والاستنباط[1]، فدراسة النصوص وتحليلها تفيدنا لأن الأفكار تتضح عند تحليل النص بهدف معرفة عناصره المختلفة.[2]

والمنهج التحليلي الاستنتاجي اعتمدت عليه الباحثة في الفصل الثاني والثالث من فصول البحث.

١- انظر: عبد الرحمن حبنكة الميداني: ضوابط المعرفة، ص ١٩١-١٩٢.

٢- انظر: فان تيجم: الأدب المقارن، ص ٦٦.

الفصل الأول

تعريف بالمودودي وطه حسين

١- تعريف بالمودودي

أ - نشأته وتعليمه
ب - عمله
ج - علاقته بالسياسة
د - فكره
هـ - وفاته

٢- تعريف بطه حسين

أ - نشأته وتعليمه
ب - عمله
ج - علاقته بالسياسة
د - فكره
هـ - وفاته

١- تعريف بالمودودي

أ - نشأته وتعليمه:

ولد أبو الأعلى المودودي في الثالث من رجب عام ١٣٢١هـ الموافق الخامس والعشرين من شهر ايلول سبتمبر عام ١٩٠٢م، بمدينة اورنك آباد الدكن بولايه حيدر آباد الاسلامية في جنوب شرق القارة الهندية. والده هو السيد احمد حسن مودودي من مواليد عام ١٢٦٦هـ / ١٨٥٥م، وقد درس في جامعة "عليكرة" ولكنه لم يتم الدراسة بها لكونها تدرس الثقافة الانجليزية.

نشأ المودودي وتربى في بيئة تقية، فقد فتح عينيه على الدنيا وقد اصطبغ والداه بصبغة الله فأثرت تربيتهما له في تكوين شخصيته منذ الصغر[١]، فقد تعلم اللغة الأردية على أصولها، ووالده يقوّم الاعوجاج الذي يطرأ على لسانه، ويعلمه الألفاظ المهذبة ليتحدث بها، وكان والده يحكي له القصص في الليل، مثل قصص الأنبياء والتاريخ الاسلامي، والحكايات المفيدة التي تحمل في ثناياها العبرة والموعظة، بالاضافة إلى التركيز على التربية الخلقية واكتساب العادات السليمة، وقد كان والده يصحبه معه عند زيارته لاصدقائه من العلماء مما أكسبه الكثير من مجالستهم ومخالطتهم[٢].

١- انظر: احمد ادريس: أبو الاعلى المودودي صفحات من حياته وجهاده، ص٢٢.

٢- انظر: اسعد الجيلاني: أبو الاعلى المودودي فكره ودعوته، ص ٢٤-٢٥.

وصما صقل شخصية المودودي ميله إلى مطالعة الكتب وقراءة المقالات والكتابة والخطابة، فلم يكن يميل إلى اللعب كالأطفال في مثل سنه، ولوالده أثر كبير في جعل تعليمه ذا طابع خاص، حيث كان ينوي أن يجعل من ابنه شيخا معمما، فقد كان والده يركز على تعليمه اللغة العربية مع الفارسية، إضافة إلى الفقه والحديث، وواظب على ذلك لفترة قبل ادخاله المدرسة، ومن خلال المجالس التي كان يحضرها مع والده تم تثبيت العقيدة الاسلامية في ذهنه وصبغ أفكاره بها. إضافة إلى ذلك فقد جلب له والده العديد من المدرسين لتعليمه في المنزل خوفا عليه من صحبة السوء، استمرت فترة التعليم المنزلي خمس سنوات، حيث أتم التاسعة من عمره قرأ خلالها العديد من الكتب الفقهية والنحوية والأدبية، ثم أرسله والده بعدها إلى المدرسة حيث اجتاز امتحان (مولوي) -المرحلةالثانوية- عام ١٣٣٢هـ - ١٩١٤م بتقدير جيد(١). انتقل بعدها مع والديه إلى حيدر آباد حيث ضمه والده إلى دار العلوم، إلا أنه لم يبق بها سوى ستة أشهر بصحبة والدته. أما والده فقد ظل عند ابنه الأكبر في "بهوبال". وقد أصيب والده بالشلل مما اضطر المودودي إلى الانتقال إلى بهوبال بصحبة والدته، وبقي فيها حتى توفي والده. وقد أثرت هذه الظروف على الحالة الاقتصادية والنفسية؛ ذلك لأن المودودي فقد والده ومعلمه ومربيه ومعينه. ومرت أكثر من سنه ونصف حاول خلالها مواجهة المصائب في شجاعة وصبر، فترك الدراسة من أجل الحصول على الرزق، واستطاع بموهبته الفذة في الكتابة منذ حداثة سنه أن يتسلح بها، وجعل من قلمه وسيلة للرزق، وخلال مراحل حياته

١- انظر: احمد ادريس، أبو الاعلى المودوي وصفحات من حياته وجهاده، ص ٢٥.

المختلفة وخلال أعماله المتعددة لم يكن المودودي يترك الفرصة تفوته دون التزود بالثقافة حيثما وجد الوقت، فقد درس خلال حياته العملية الادب العربي والتفسير والمنطق والفلسفة، ودرس اللغة العربية والحديث والتفسير على أيدي شيوخ أجلاء من كتب قيمة، مثل: الصحاح وسنن الترمذي وموطأ الامام مالك، وكتب التفسير مثل: تفسير البيضاوي والهداية في الفقه الحنبلي، وعلم المعاني والبلاغة وغيرها، كما أن عمله في الصحافة جعله يتجه إلى تعلم اللغة الانجليزية بمجهوداته الذاتية، وبعد أن درس أربعة أشهر فقط عند أحد المعلمين استطاع بعدها التمكن من اللغة، وقراءة الكتب المؤلفة في السياسة والاقتصاد والتاريخ والفلسفة. كما طالع العديد من كتب العلوم المختلفة(١).

وقد تزوج المودودي عام ١٣٥٦هـ -١٩٣٧م من زوجه السيدة محمودة، وهي حاصلة على شهادة عليا في اللغة الاردية، ومع أنها ربيبة عز وترف إلا أنها رضيت بالحياة مع زوجها، وتحمل ما فيها من صعاب ومشكلات، بل أنها بعد ذلك شاركته في الدعوة إلى الله، إحساسا منها بالدور العظيم الذي يقوم به زوجها في سبيل الله والدعوة إليه. وقد استطاع المودوي أن يختار الزوج الصالحة التي تعينه في حياته، وتربي له أولاده تربية سليمة على أسس متينة مستمدة من روح الاسلام. وهوبذلك يركز على أهمية اختيار الزوج وأم الابناء على أساس التقوى والصلاح. وقد رزق المودودي بأول ابنائه في العام الثاني لزواجه منها وسماه عمر الفاروق إعجابا بسيدنا عمر رضي الله عنه(٢).

١- انظر: احمد ادريس، أبو الاعلى المودودي وصفحات من حياته وجهاده، ص ٢٧-٢٨.

٢- انظر: المرجع السابق، ص ٢٧-٢٨.

ب - عمله:

عمل المودودي في مجالات عديدة وهي:

(١) الصحافة:

بدأ نشاط المودودي الأدبي مبكرا، فأول عمل قام به هو في الصحافة ففي عام ١٣٣٦هـ - ١٩١٨م عمل مع أخيه في تحرير جريدة "المدينة" الاسبوعية التي كانت تصدر في مدينة بجنور، حيث كان اخوه مديرا لها، استمر عمله مدة شهرين عاد بعدها إلى دهلي.ثم عمل لمدة أشهر في جريدة تاج الاسبوعية والتي أصبحت فيما بعد يومية وكانت تصدر في جبل بور، تولى المودودي إدارتها فيما بعد وحده لمدة عام تقريبا، بالاضافة إلى عمله في السياسة فقد كان من المشاركين في حركة الخلافة هناك*

وفي نهاية عام ١٣٣٨هـ- ١٩٢٠م حين عاد إلى دلهي -وبعد ذلك بوقت قصير- صدرت جريدة "مسلم" في تلك المدينة ووقع الاختيار على الأديب الشاب المودودي ليكون رئيس تحرير لها، وظل يعمل في هذا المنصب إلى أن أغلقت الجريدة عام ١٣٤١هـ-١٩٢٢م، فانصرف بعدها إلى القراءة والمطالعة وظل على هذا الحال مدة عام ونصف.

---

* حركة الخلافة هي حركة تدعو إلى تحرير الهند من الاستعمار والتسلط، والمحافظة على الخلافة الاسلامية والتركيز عليها، والدفاع عن الأماكن المقدسة وانقاذها من ايدي الكفار.

وفي مستهل عام ١٣٤٢هـ- ١٩٢٤م عمل في جريدة "الجمعية" الناطقة بلسان جمعية العلماء بالهند، وقد كان يتحمل وحده اعباء اصدار هذه الجريدة وكان يسعى من خلالها إلى تنوير أذهان الناس وتعريفهم بأمور دينهم وقضايا دنياهم، وبقي في عمله هذا خمس سنوات. وقد كتب خلال هذه الفترة كتابين هما: الجهاد في الاسلام ومصدر قوة المسلم.

ثم تولى إدارة "ترجمان القرآن" الشهرية التي كانت تصدر في حيدر آباد وذلك عام ١٣٥٠هـ- ١٩٣١م وقد خصصها لنشر أفكاره وتأسيس حركته، وكان لها تأثير كبير على عقول الناس وقلوبهم، وازالة التصورات الخاطئة عندهم، حيث بدأ بتقديم تعاليم الدين الاساسية على صفحات مجلته. وقد نشر تلك المقالات بعد ذلك في كتاب باسم الحضارة الاسلامية ومبادئها(١)، ثم نشر سلسلة من المقالات حول التصورات الخاطئة عن الاسلام، صدرت فيما بعد باسم التفهيمات في ثلاثة اجزاء، ثم أخذ القراء يرسلون إليه استفساراتهم حول مختلف المواضيع والمسائل، وكان يرد على تلك الاستفسارات على صفحات "ترجمان القرآن" نشرت فيما بعد في كتاب يتكون من أربعة أجزاء باسم: رسائل ومسائل. ظل المودودي يكتب في هذه المجلة المقالات الهادفة والجامعة حتى السنوات الأخيرة من حياته.

١- انظر: احمد ادريس: أبو الاعلى المودودي وصفحات من حياته وجهاده، ص٢٩.

(٢) التأليف:

إن عمل المودودي في الصحافة يسير جنبا إلى جنب مع عمله في التصنيف، فقد كان يجمع مقالاته المتسلسلة الصادرة في جريدته وينشرها مجموعة في كتب، إضافة إلى تأليف الكتب الأخرى التي لم تنشر في جريدته، وقد كتب العديد من المؤلفات ذات المواضيع المختلفة والتي تدور جميعها حول المبادئ الاسلامية، وخلال مراحل حياته المختلفة وظروفه الطارئة لم يتوقف المودودي عن الكتابة من أجل الاسلام، وإقامة الدولة الاسلامية، حتى عندما أودع السجن ظل دائم التفكير في احوال المسلمين خارج السجن، فكتب بعض الكتب واتم الاخرى خلال سجنه(١).

وبالاضافة إلى الكتب التي سبق ذكرها فهناك العديد من الكتب المنشورة بعضها كان في الأصل محاضرات ألقيت في مختلف مدن الهند، وأهم كتبه هي:

١- الجهاد في سبيل الله.
٢- نظرية الاسلام السياسية.
٣- منهاج الانقلاب الاسلامي.
٤- الحجاب.
٥- الحضارة الغربية.
٦- مشكلة القومية.
٧- المسلمون وحركة تحرير الهند.

١- انظر: احمد ادريس: أبو الاعلى المودودي وصفحات من حياته وجهاده، ص٢٩.

٨- مبادئ الاسلام (ترجم إلى ثلاث وثلاثين لغة في كل أنحاء العالم).

٩- الربا.

١٠- تفهيم القرآن.

١١- المسألة القاديانية.

١٢- المصطلحات الأربعة في القرآن.

١٣- حركة تحديد النسل.

١٤- تفسير سورة النور.

١٥- تفسير سورة الأحزاب.

١٦- تدوين الدستور الاسلامي.

١٧- نظام الحياة في الاسلام.

١٨- حقوق الزوجين.

هذه أهم مؤلفات المودودي والتي تبلغ أكثر من سبعين كتابا*

ويتحدث اسعد الجيلاني عن كتابات المودودي فيقول: "والاستاذ المودودي قدرة عظيمة على تطويع اللغة وامتلاكها للشرح وتوظيفها بطريقة مختصرة، إلا أنها تشمل جميع أركان موضوع الحديث، والاستدلال والاختصار في الحقيقة ميزتان يتميز بها حديثه"(١)، وهناك صفة اخرى تمتاز بها كتابات المودودي كما يقول أحمد إدريس ألا وهي الانسجام

---

* انظر قائمة مؤلفات المودودي: اسعد الجيلاني: أبو الأعلى المودودي فكره ودعوته، ص ٤١٧ وما بعدها.

١- انظر: اسعد الجيلاني: أبو الاعلى المودودي: فكره ودعوته، ص ٨-٩.

وعدم التناقض فما جاء في محاضراته أوْ نشره في مقالاته تتحرك في اطر مستقيمة متوازية لاتتناقض ولا يهدم بعضها بعضا[1]" ولعل السبب في ذلك أن جميع كتاباته تنبثق عن العقيدة الاسلامية.

(٢) التعليم:

كان المودودي رحمه الله على درجة كبيرة من الوعي والفهم بسبب العناية التي لقيها من والده في بادئ الأمر، ونتيجة لاطلاع الواسع وملازمة القراءة خلال فترات حياته كلها، كما أن عمله الصحفي وكتاباته ومشاركته في الحياة السياسية لبلاده جعلته ذا ثقافة عالية ووعي سياسي، ومن السبل التي اتبعها المودودي لتعليم الناس خطبة الجمعة، فقد كان يشرح للناس أمور دينهم بأسلوب سهل بسيط يفهمه البسطاء من الناس، مما زاد في نشر الوعي الديني بين الناس في شبه القارة الهندية، وقد كانت هذه الخطب تنشر في "ترجمان القرآن" ثم جمعت فيما بعد في كتاب مستقل بعنوان خطبات[2]. كما كان خلال حياته يتدارس القرآن الكريم ويدرسه ويشرحه ويفسره في أسلوب جزل والفاظ واضحة، كل ذلك اعطاه قدرة عظيمة على إلقاء الخطب والتأثير في نفوس السامعين، مدعما أفكاره وآراءه دائما بالحجج الواضحة، وهذا ما جعل القائمين على كلية "حماية الاسلام" بمدينة لاهور يعرضون عليه العمل أستاذا للعلوم الاسلامية في كلية الدراسات الاسلامية، وقد قبل المودودي

١- انظر: احمد ادريس: أبو الاعلى المودودي صفحات من حياته وجهاده، ص ٣٥.

٢- انظر: خليل الحامدي: الامام أبو الاعلى المودوي حياته دعوته جهاده، ص ٤٢-٤٣.

ذلك بشرط أن يكون محاضر شرف بدون أي مقابل، وقد استمر في عمله هذا عاما كاملا -١٢٥٨هـ- يلقي المحاضرات في الكلية عن الاسلام والدعوة إلى الله، ولم يقتصر نشاطه على هذه الكلية فقط ولكنه تنقل بين مدن الهند المختلفة يلقي المحاضرات لتوعية الناس يدعوهم فيها إلى الاسلام ويستحث المسلمين على الجهاد.

(٤) إمارة الجماعة الاسلامية:

في رجب ١٢٦٠هـ- ١٩٤١م اجتمع المودودي في مدينة لاهور وطائفة من الذين تحمسوا لفكرته ودعوته لدراسة فكرة إنشاء جماعة إسلامية تتقيد بالنظام الاسلامي، وانتهى ذلك الاجتماع بقرار تنفيذ الفكرة وابرازها إلى حيزالوجود، وقد اتفق المجتمعون في ذلك اللقاء على أهداف الجماعة وعقيدتها، فهدفها الأول هو إقامة دين الله كاملا سواء فيما يرجع إلى الحياة الفردية أوْ الحياة الجماعية، أما العقيدة التي انبثقت عنها تلك الاهداف فهي عقيدة "لااله إلا الله محمد رسول الله"، وقد تم انتخاب المودودي أميرا لتلك الجماعة التي كانت تضم في مرحلة التأسيس خمسة وسبعين عضوا[١]، ومن خلال هذه الجماعة نادى المودودي وجماعته بضرورة اقامة دولة إسلامية. وقد قامت دولة باكستان في ١٢٦٦هـ- ١٩٤٧م، وبعد هذا التاريخ توزعت الجماعة الاسلامية إلى جماعتين: الجماعة الاسلامية بباكستان والجماعة الاسلامية بالهند، وصار لكل منهما نظام إداري منفصل، وظلتا تعملان بكلّ جد وإخلاص.

١- انظر: خليل الحامدي: الامام أبو الاعلى المودوي حياته دعوته جهاده، ص ٢٢-٢٧.

استمر المودودي في إمارة الجماعة الاسلامية بباكستان، وأول عمل قام به هو توطين قواعد الحركة بتربية أفرادها، وجعل نظام الدعوة محكما قويا يجتمع فيه عنصر الاصالة والتجديد. وقد تفرع من هذه الجماعة الام فروع كثيرة في الباكستان منها جمعية الطلبة المسلمين، ومنظمة المعلمين، وجمعية الطالبات المسلمات[1] وقد كان همّ الجماعة الاسلامية برياسة المودودي الجهاد من أجل إقامة دولة اسلامية في باكستان تخضع لحكم الله، وقد تم ذلك بالفعل إلا أن الحكام الذين تولوا الحكم فيما بعد لم يقروا الدستور الاسلامي، فطيلة الفترة التي سبقت حكم الرئيس الجنرال محمد ضياء الحق حكمها من لا ينتمون إلى الاسلام إلا اسما ومن هؤلاء: لياقت خان، وغلام محمد وهو من أنصار الدستور العلماني، وكذا ذو الفقار علي بوتو، وأخطرهم جميعا الجنرال أيوب خان الذي حكم دولة الباكستان قرابة أحد عشر عاما (١٢٧٨هـ- ١٢٨٩هـ) (١٩٥٨م- ١٩٦٩م) فقد أصدر قانون الأحوال الشخصية الذي يتنافى مع الاسلام، وأثيرت فتنة انكار الحديث النبوي الشريف برضاه، كما عملت حكومة أيوب خان على الوقوف في وجه نشاطات المودودي وجماعته، ومنعه من السفر لحضور المؤتمرات والمشاركة في الدعوة إلى الاسلام[2]، وقد افتتح المودودي جهاده بوضع قواعد الدولة على مبادئ الاسلام فقد القى محاضرتين مطولتين في فترتين متقاربتين في كلية الحقوق بمدينة لاهور أمام جمع غفير من رجال القانون تحت عنوان القانون الاسلامي وطرق تنفيذه في

١- انظر: خليل الحامدي: الامام أبو الاعلى المودودي حياته دعوته جهاده، ص ٤٧ وما بعدها.

٢- انظر: احمد ادريس: أبو الاعلى المودودي صفحات من حياته وجهاده، ص ٧٢-٧٧.

باكستان، اتبعها بعده بحوث ضمها كتابه الدولة الاسلامية، ومنذ ذلك الوقت وحتى وفاته كان يجاهد من أجل هذه المبادئ ويدافع عنها وينبذ القوانين الوضعية ويحاربها، مما عرضه للأذى والسجن والمضايقات من اعدائه أعداء الاسلام، ومن خلال الجماعة حارب المودودي الشيوعية والتيارات الالحادية الأخرى، كما حارب القاديانية ومنكري السنة والخرافيين حتى آخر يوم في حياته[1].

ج - علاقته بالسياسة:

كان المودودي في حداثة سنه يؤمن بالقومية الوطنية أي القومية الهندية، يقول حول ذلك: "في وقت من الأوقات كنت كعامة المسلمين هنا، أميل إلى التقاليد الجارية، وإلى مسألة الوطن أو النعرة العرقية، وحين أفقت، احسست أنني كنت أقلد السابقين لي، ولا شئ غير ذلك، وأحسست أنه لافائدة من السير على طريق ما ألفينا عليه آباءنا. وفي النهاية اتجهت إلى كتاب الله، وإلى سنة رسول الله، وفهمت الاسلام، وآمنت به ايمانا نبع عن دراسة عميقة"[2]، وحين كان يعمل المودودي مع أخيه الاكبر في جريدة "المدينة" قامت حركة الخلافة عام ١٣٣٧هـ- ١٩١٩م، وكانت تهدف الى دعم بقاء الخلافة العثمانية فشارك فيها المودودي عن طريق توعية الناس بالخلافة الاسلامية وما يتصل بها من موضوعات، وعندما انتقل للعمل في الجريدة الاسبوعية "تاج" أخذ عن طريقها يشرح للناس من خلال صفحاتها بأسلوب جذاب نظرية الخلافة الاسلامية ويحثهم على

١- انظر: خليل الحامدي: الامام أبو الاعلى المودودي حياته دعوته جهاده، ص ٧١.

٢- انظر: اسعد الجيلاني: أبو الاعلى المودودي فكره ودعوته، ص ٤٢-٤٤.

مساندة الحركة. ومشاركة منه في العمل السياسي ترجم من الانجليزية إلى الاردية كتابين الاول: عن وضع النصارى في تركيا بعنوان النشاطات التبشيرية في تركيا والثاني عن مظالم اليونان الوحشية في سمرنا، وعنوانه مجازر اليونانيين في سمرنا، ولقد تراجع المودودي عن نزعته القومية بعد أن عرف أنها لن تكون في صالح المسلمين الهنود، وأصبح يدعو لاقامة دولة مسلمة تستمد دستورها من القرآن الكريم، وقد تعرض المودودي لكثير من الاذى لاستمرار مطالبته بالدستور الاسلامي وتطبيق الشريعة الاسلامية، وخلال حكم الرئيس محمد أيوب خان عام ١٣٧٩هـ- ١٩٦٠م دعاه الرئيس لمقابلته قائلا له بعد أن مدحه وأكرمه: "أيها الشيخ الفاضل أقترح عليك التفرغ للدعوة والتبليغ دون التورط في اوحال السياسة وتدنيس الاذيال فيها، لعل بذلك تكون اكثر نفعا لقومك ووطنك" فرد عليه المودودي بكل هدوء قائلا: "كما تفضلت ياسيادة الرئيس إن السياسة أصبحت أوحالا فدخلت لأطهرها من الأوساخ وأجعلها نظيفة مديدة لا تدنس الأذيال، بل تعود رحمة على الوطن وأهله"(١).

وقد اعتقل المودودي أكثر من مرة وفي أكثر من مناسبة، كل ذلك بسبب مطالبته بالدستور الاسلامي وتطبيقه، وقد اعتقل وسجن أربع مرات، الاعتقال الأول: في عام ١٣٦٨هـ- ١٩٤٨م حين كان يلقي درسا عن القرآن الكريم بتهمة تهديد سلامة وامن باكستان وزعزعة اخلاص الشعب، وقد لبث في السجن عشرين شهرا(٢)، أتم خلالها المجلد

١- خليل الحامدي: الامام أبو الاعلى المودوي حياته دعوته جهاده، ص ٥٢.

٢- اسعد جيلاني: ابو الاعلى المودودي فكره ودعوته، ص ١٣٢-١٣٣.

الاول من تفسيره للقرآن تفهيم القرآن، وكتب الجزء الثاني من كتابه الشهير الربا، بالاضافة إلى الاعمال الشاقة التي كان يقوم بها في السجن.

الاعتقال الثاني: القت الحكومة القبض على المودودي وبعض جماعته عام ١٣٧٢هـ- ١٩٥٣م متهمة المودودي بزيادة الاضطرابات والقلاقل بين المسلمين والقاديانيين بسبب تاليفه كتاب المسالة القاديانية، وحكم على المودودي بالاعدام نتيجة تاليفه ذلك الكتاب، وقد تقبل النبأ بكل هدوء وثبات، إلا أن المحكمة نفسها أصدرت قرارا جديدا هو تبديل عقوبة الاعدام بعقوبة السجن مدة واحد وعشرين عاما، إلا أنه خرج منه بعد خمسة وعشرين شهرا وذلك حين شكلت وزارة مدنية جديدة(١).

الاعتقال الثالث: أعتقل المودودي للمرة الثالثة عام ١٣٨٣هـ- ١٩٦٤م ومعه اكثر من أربعين عضوا من الجماعة الاسلامية، وصودرت الاموال التي كانت في بيت مال الجماعة وأغلقت مكاتبها وبيوت أعضائها، وصودرت "ترجمان القرآن" واغلقت مخازن الكتب وسجلات الجماعة. كل هذا بتهمة أن هدف الجماعة الاسلامية هو قلب نظام الحكم. استمرت مدة السجن ثمانية أشهر، افرج عنهم بعد أن برأتهم المحكمة من جميع التهم التي وجهت اليهم.

الاعتقال الرابع: اعتقل المودودي ولمدة شهرين عام ١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م لما قاله عن مسالة تقديم يوم عيد الفطر المبارك، فقد جاء العيد يوم الجمعة، إلا أن الحكومة أعلنت أن يوم العيد هو يوم الخميس لاعتقاد الرئيس أيوب خان بان مجيئ يوم العيد مع الجمعة

١- أسعد جيلاني: ابو الاعلى المودودي فكره ودعوته، ص ١٣٥.

ينذر بنهاية الحكم، حيث استنكر المودودي هذه الخرافة، وأصدر تصريحا يؤكد أن العيد يرتبط بثبوت الهلال، فأفطر المسلمون على هذا الاساس، واعتقل المودودي[1].

والحقيقة أن المودودي لم يترك نشاطه السياسي طيلة فترة حياته، بل كان يزداد عزيمة وإصرارا مع مرور الوقت، إلا أن تدهور صحته منعته من ذلك، فلم يترك ممارسة نشاطاته السياسية عمليا إلا عام ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م، حيث انصرف إلى الكتابة والبحث حتى وافاه الاجل رحمة الله عليه.

د- فكـــــــــره:

من أهداف هذه الدراسة: التعرف على آراء المودودي حول بعض قضايا المرأة، إلا ان القاء الضوء على فكره العام له أهمية خاصة، فهو الدليل لمعرفة الينابيع التي استقى منها آراءه المختلفة. ومن كتاباته المتعددة تبدو للقارئ السمة المميزة لفكره العام وهي تأكيده على أن الدين الاسلامي هو نظام الحياة الكامل الشامل للنواحي الاعتقادية والفكرية والخلقية والعملية[2]، فمن معاني الدين في القرآن الكريم، الحاكمية والسلطة العليا، ووجوب الاذعان والطاعة لتلك السلطة[3]. وفي الاسلام لا سلطة ولا حاكمية إلا لله سبحانه وتعالى، فليس في هذا الكون أحد غيره يستطيع أن ينفذ في مملكته أمره ونهيه، فهو الحاكم وكل من سواه محكوم، ولو كانت سلطة الحكم بيد غيره ولو لأدنى حد فان الفساد والفوضى سيسود نظام هذا الكون، ولا جتناب الشر لابد من أن نؤمن بالله ونسلم أنفسنا

١- المرجع السابق: ص ١٤١.

٢- انظر: المودودي: المصطلحات الأربعة، ص ١٢٩.

٣- انظر: المرجع السابق، ص ١٢٠.

إلى حكومته العادلة رعايا خاضعين منقادين لا نعصي له امرا مؤمنين بعلمه الواسع وحكمه العادل[١]، أما الذين يقومون بتنفيذ القانون الالهي في الارض فموقفهم ليس إلا كموقف النواب عن الحاكم الحقيقي، وهذا هو موقف أولي الامر في الاسلام بعينه[٢]، والانحراف الحاصل اليوم عند المسلمين أساسه كما يرى المودودي يكمن في جهلهم وسوء فهمهم للمعاني الاساسية للعقيدة الاسلامية[٣]، فهو لا يؤمن بغير عقيدة الاسلام فلا ديمقراطية ولا شيوعية ولا دكتاتورية ولا غيرها من النظم الدنيوية الأخرى السائدة في العالم اليوم يمكن أن يلتفت اليها المودودي و يلصقها بالاسلام[٤]، لذا حارب التيارات الالحادية والعلمانية، كما حارب القاديانية بشدة وفند مزاعمها وقاوم منكري السنة وحارب كل فئة ومبدأ يتعارض مع الاسلام ويقف في وجهه، ومنهم الخرافيين والمتاجرين بالدين لمصالح وأهواء شخصيه. كل ذلك يلمسه القارئ من بين السطور التي يسطرها قلمه في أغلب مؤلفاته.

من هذا المنطلق دعا المودودي إلى إقامة حياة الأفراد والمجتمعات وفق أوامر وتشريعات خالق العالم وسيده وحاكمه، فلا تمارس الحرية إلا في نطاق الاسس والضوابط المشروعة التي بينها

١- انظر: المودودي: بر الأمان، ص ٢٥

٢- انظر: المودودي: نظرية الاسلام وهديه، ص٤٩.

٣- انظر: المودودي: المصطلحات الأربعة، ص ٧-٨.

٤- انظر: المودودي: نظرية الاسلام السياسية، انظر المقدمة.

لنا بجوهرها وروحها دون إبطالها أو إبدالها(1)، وهذا يتطلب من المسلمين الكفاح من أجل القضاء على أنظمة الحياة الفاسدة وإقامة قواعد الحياة الانسانية بشتى نظمها على شرع الله الذي فيه خير ونجاة الانسانية وخلاصها(2)، ومن ذلك إقامة الدولة المسلمة، فالمودودي كان يدعو إلى ذلك حتى أواخر حياته، فالدولة الاسلامية تتسم بالشمول فهي محيطة بالحياة الانسانية بأسرها وتطبع كل فروع الحياة الانسانية بطابع نظريتها الخلقية الخاصة وبرنامجها الاصلاحي الخاص، ولا يتولى أمر هذه الدولة إلا الذين آمنوا بدستورها(3)، لذا فان إحراز الزعامة الدينية -المؤمنة- لا يتحقق في نظر المودودي إلا باتباع طريق الله والأخذ بيد سائر الشعوب في هذا الطريق، ولا شك أن ترك القيادة لزعامة لا ربانية يجعلها تصبغ الفكر والأخلاق والحضارة وكل مظاهر النشاط البشري بصبغتها، وبالتالي لن تجد الربانية وطنا لها في هذا العالم(4)، لان العقيدة الاسلامية لها أخلاق وقيم مخصوصة لا يجوز لمن يؤمنون بها أن يستمدوا أخلاق ومبادئ أمة من الامم مهما كانت(5)، لذا نادى المودودي بضرورة تكوين الفرد المسلم والاسرة المسلمة والمجتمع

1- انظر: المودودي: الاسلام والمدنية الحديثة، ص ٢٥-٢٦.

2- انظر: المرجع السابق، ص ٢٥.

3- انظر: المودودي: نظرية الاسلام وهديه، ص ٤٦-٤٧.

4- انظر: المودودي: المنهج الجديد للتربية والتعليم، ص ١٤-١٥.

5- انظر: المودودي: دور الطلبة في بناء مستقبل العالم الاسلامي، ص ١٦-١٧.

المسلم ثم الدولة المسلمة، فلا شك أن الدولة المسلمة التي تحتكم بشرع الله وتنفذ قوانينه وعبادته في جميع جوانب الحياة يكون من رعاياها في النهاية المعلم المسلم والتاجر المسلم والطالب المسلم والقاضي المسلم والطبيب المسلم والفتاة المسلمة والأم المسلمة... وهكذا، حيث تجمع بين هذه الفئات سمات مشتركة لا توجد في غيرهم من الشعوب غير الاسلامية، فالمسلمون باختلاف اجناسهم وطبقاتهم ووظائفهم تجمعهم كلمة واحدة هي "لا اله إلا الله محمد رسول الله"، رسم بها الاسلام المبادئ والقيم والاخلاق والسلوكيات التي يجب أن يتحلى بها كل مسلم ومسلمة، فلا عجب في النهاية إذا وجدنا أن المودودي يكتب عن المرأة ويوضح رأيه المنبثق من الاسلام في قضاياها الاساسية، كما يتحدث عن مبادئ الاسلام، والاقتصاد الاسلامي أو السياسة أو غيرها.

هـ- وفاته:-

في عام ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م وبعد كفاح طويل في سبيل الله طلب المودودي من أعضاء الجماعة الاسلامية إعفاءه من منصبه كأمير للجماعة الاسلامية بسبب تدهور حالته الصحية، وبذلك ترك ممارسة النشاط السياسي عمليا حيث تفرغ للبحث والكتابة(١). وقد لقي ربه في عام ١٣٩٩هـ- سبتمبر ١٩٧٩م. رحمة الله عليه.(٢)

١- انظر: اسعد الجيلاني: أبو الاعلى المودودي فكره ودعوته، ص ٤٢٩.

٢- انظر: خليل الحامدي: الاصنام أبو الاعلى المودودي حياته- دعوته- جهاده، ص ٧١.

٢- التعريف بطه حسين*

أ - نشأته وتعليمه:

ولد طه حسين عام ١٣٠٨هـ- ١٨٨٩م في قرية الكيلو -اقليم المنيا-(١) وله من الاخوة والاخوات ثلاث عشرة، وكان هو سابعهم. أما والده حسين علي سلامة فقد كان يعمل في شركة كوم امبو حتى سنة ١٣٥١هـ- ١٩٣٢م، توفي في المنيا عام ١٣٦١هـ- ١٩٤٢م، أما والدته فقد توفيت بعد والده بتسعة أعوام(٢). أمضى طه حسين طفولته بين هؤلاء الاخوة في مسكن حكومي ووضع مادي ضعيف، وقد أصيب بالرمد وهو في الخامسة من عمره، ولم يعالج علاجا حاسما وهذا ما أدى إلى فقدان بصره، وكانت والدته واخته الكبرى ترعيانه وتعطفان عليه بعد ذلك. وقد كان أول تعليم تلقاه طه حسين في الكتاب، حيث حفظ القرآن في عامه التاسع(٣). ولما بلغ الثالثة عشرة من

---

* دوّن طه حسين سيرة حياته في كتابه الأيام من ثلاثة اجزاء وهو مرجع رئيس لانه يعرض حياة طه حسين كما يرويها بنفسه، ومعظم المعلومات في هذا الجزء من هذا الكتاب، بالاضافة إلى الاستعانة ببعض المراجع التي ذكرت بعض التفاصيل الأخرى التي لم ترد في كتاب الأيام.

١- انظر: انور الجندي: طه حسين حياته وفكره في ميزان الاسلام، ص ١٧.

٢- انظر: السيد تقي الدين، طه حسين آثاره وافكاره، ص ٦.

٣- انظر: طه حسين: الأيام، ج(١)، ص ٢٧.

عمره أي عام ١٣٢٠هـ- ١٩٠٢م أرسله والده مع أخيه الاكبر (محمد) للدراسة وتلقي العلوم في الازهر، وقبل ذلك بعام كان قد قدم له أخوه كتاب ألفية ابن مالك، وكتاب مجموع المتون للاطلاع عليها قبل الدراسة في الازهر. بقي طه حسين في الازهر حتى عام ١٣٢٦هـ- ١٩٠٨م متنقلا بين حلقات الدروس من حديث وفقه وتوحيد ومنطق ونحو، وكان يميل كثيرا إلى دروس الأدب وحلقاته، خاصة حلقة الشيخ سيد المرصفي في الأدب، وقد كانت هذه الحلقة أكثر ما يربطه بالأزهر. لكن طه حسن لم يعجب بالدراسة في الأزهر، لذا كان كثيرا ما يهاجم شيوخ الازهر ويتحدث عن سوء مناهج التعليم فيه[١]، ولعل السبب في ذلك عدم نجاحه في الاختبار حيث كان قد تقدم للامتحان امام لجنة الأزهر لنيل الدرجة العالمية عام ١٣٢٦هـ- ١٩٠٨م فلم يوفق في الامتحان، وقد ذكر طه حسين قصة تخلفه وعدم توفيقه في الامتحان في كتابه الايام ووصفها بانها مكيدة مدبرة من قبل لجنة الامتحان من أجل اسقاطه عمدا وتعجيزه[٢]، إلا أن بعض نقاده يرى أن تخلفه في الامتحان لم يكن بهذه الصورة، يقول الجندي: ظل الخلاف يتسع بين طه حسين ومشايخه حتى اغلق الباب بينه وبينهم واحدا واحدا، ولقد ساء ظنه بالازهر وشيوخه، الذين اعرضوا عنه لسوء بادرته وجفوته بهم ولعل هذه الجفوة هي التي دفعت اساتذته إلى اخراجه من امتحان العالمية حين عجز عن الاجابة على سؤال يسير[٣].

١- انظر: طه حسين: الأيام، ج(١)، ص ص١٦٠ وما بعدها.

٢- انظر: المرجع السابق، ج(٢)، ص ١٢-١٤.

٣- انور الجندي: طه حسين حياته وفكره في ميزان الاسلام، ص ١٨.

ولم يكتف طه حسين بذلك بل انه كتب مقالا عنيفا هاجم فيه الازهر كله وشيوخ الازهر خاصة، وطالب بحرية الرأي، وقدم مقاله هذا إلى مدير "الجريدة" احمد لطفي السيد الذي اخذه منه بكل سرور وعطف وامره بالانصراف. وكانت هذه بدايته مع مجتمع جديد، غير مجتمع الازهر فقد توثقت صلة طه حسين بعد ذلك بلطفي السيد مدير "الجريدة"، كما اتصل بالشيخ عبد العزيز جاويش مدير صحيفة الحزب الوطني وبدا بالكتابة بمقالات ناقدة خصوصا تلك التي تتصل بالازهر وشيوخه، يقول عن نفسه: لم يكد الفتى يأخذ في الكتابة حتى عُرف بطول اللسان والاقدام على السوان من النقد، وحين يعرض لشئون الازهر فهناك كان يخرج حتى عن طور الاعتدال ويغلو في العبث بالشيوخ(١).

وخلال تلك الفترة اتصل طه حسين بالجامعة المصرية أول انشائها* واعجب بها واثرت في نفسه وغيرت من حياته وقطعت

١- طه حسين: الايام، ج(٢)، ص ١٠.

* بدأت فكرة انشاء جامعة أهلية عام ١٣٢٤هـ- ١٩٠٦م، وبعد ذلك بعامين انشئت الجامعة المصرية الأهلية مستقلة عن الدولة حتى عام ١٣٣٦هـ- ١٩١٧م حيث فكرت الحكومة في انشاء جامعة حكومية عن طريق ضم المدارس العالية القائمة وقتئذ في ادارة واحدة، تكون هي الجامعة، وفي عام ١٣٤١هـ- ١٩٢٢م تم الاتفاق بين الحكومة والجامعة الاهلية على ادماج الجامعة الأهلية في الجامعة الجديدة على أن تكون الجامعة القديمة نواة لكلية الآداب، وفي ١٣٤٣هـ- ١٩٢٥م صدر مرسوم بقانون انشاء الجامعة الحكومية باسم: الجامعة المصرية وكانت من اربع كليات: الآداب والعلوم(=)

الصلة بينه وبين الازهر، مما جعل والده يسخط عليه وامه تحزن عليه رغم أنه كان يختصها بالحب والحنان -كما يعبر عن ذلك- وبعد العام الأول لانتسابه للجامعة، تعرف على العديد من الاساتذة المستشرقين في الجامعة، وقد أعجب بهم وتأثر بهم مثل: كارلو نالينو الايطالي، وسنتلانا وميلوني، والاستاذ ليتمان الالماني وكان يتصل بهؤلاء الاساتذة اتصالا متينا يوشك أن يخرجه من بيئته الأزهرية(١). واستمر طه حسين أيضاً في تلك الفترة في الكتابة لتلك الصحيفتين بتشجيع من صاحبيهما، وعبد العزيز جاويش هو أول من طرح فكرة السفر لأوربا لطه حسين حين قال له: لابد أن نصنع شيئا لارسالك إلى فرنسا عامين أوثلاثة أعوام(٢)، وكان يشجعه أيضاً على إنشاد الشعر الذي عرّقه بالناس في الاحتفالات التي كانت تقام بمناسبة رأس السنة الهجرية في تلك الايام.

(=) والطب مع الصيدلة والحقوق، وفكرة الجامعة المصرية نشأت على طراز الجامعة كما تفهم في اوربا، وهي أن تقصر نفسها على الدراسات الانسانية الاكاديمية بوجه عام، ثم طورت هذا المفهوم بعض الشيئ بحيث جملته يتسع للدراسات العملية التي ما تزال تتسم بشيئ من الدراسة النظرية التي تصبغها بصبغة اكاديمية إلى حد ما. انظر: نظرات في التعليم الجامعي، بحوث لفريق من كبار الجامعيين الامريكيين، اشراف تشارلس فرانكلن ص ٧٠-٧١.

١- انظر: طه حسين، الأيام، ج(٢)، ص ٢٤-٢٥.

٢- انظر: المرجع السابق، ص٢١.

أما لطفي السيد فقد عرّفه على العديد من الشخصيات الادبية والسياسية وغيرها وأشركه في احتفالات الجامعة التكريمية.

ظل طه حسين في الجامعة المصرية القديمة من عام ١٢٢٦هـ-١٩٠٨م إلى عام ١٢٣٢هـ- ١٩١٤م حين تقدم برسالته عن ذكرى أبي العلاء المعري، وكانت اول رسائل الدكتوراه في الجامعة المصرية، سافر بعدها إلى أوربا حيث التحق بجامعة مونبيلية بفرنسا فدرس الادب الفرنسي واللغتين الفرنسية واليونانية وتعرف خلال تلك الفترة على المرأة الفرنسية سوزان والتي أصبحت فيما بعد زوجا له، فقد كانت تقرأ له الكتب الفرنسية، وتتحدث إليه حين كان طالبا في الجامعة. عاد طه بعدها لى القاهرة في عام ١٢٢٦هـ- ١٩١٦م وأقام فيها فترة قصيرة، ثم عاود دراسته بعد ذلك في جامعة السوربون في فرنسا وجاز امتحان الليسانس عام ١٢٢٧هـ- ١٩١٧م، وتزوج في نهاية العام من رفيقته الفرنسية سوزان، والتي كانت تساعده في إعداد رسالة الدكتوراة وكان يشرف على رسالته إميل دور كايم المتخصص في علم الاجتماع وأستاذه المستشرق الفرنسي كازانوفا. وكانت الرسالة تبحث في فلسفة ابن خلدون الاجتماعية[1]. وقد انتهى من كتابة الرسالة في ١٢٢٦هـ- ١٩١٨م ورزق في العام نفسه بابنته امينة. وقد عاد طه حسين إلى القاهرة في ١٢٢٨هـ- ١٩١٩م بصحبة زوجه وابنته.

١- انظر: طه حسين، الأيام، ج(٣)، ص ١٢١.

ب: عملـــــــــــه:

مـــارس طـه حسيـن خلال حيـاتـه العـديـد من الاعمـال هي الصحافة والتـدريـس والتـاليـف، وسـاعـرض هنـا ابـرز الممارسـات التـي قـام بهـا:

(١) التـدريـــس:

بعـد أن عـاد طـه حسيـن من فرنسـا بعـد حصوله على شهـادة الدكتـوراة تولى تدريـس مـادة التاريـخ القديـم (اليونانـي والرومانـي) فـي الجامعـة الاهليـه، وبعـد أن أصبحت الجامعـة رسمية -حكومية- عـام ١٣٤٣هـ ١٩٢٥م تولى تدريـس مـادة الأدب العربـي، وخلال تلك الفتـرة أصدر كتابـه فـي الشعـر الجاهلـي عـام ١٣٤٤هـ- ١٩٢٦م والذي أحدث ضجة كبيرة لمـا يحتويه من عبـارات وأفكـار أثـارت حمية الغيوريـن علـى الديـن.

استمـر طـه حسيـن في الجامعـة حتى ١٣٥٠هـ- ١٩٣٢م حيث احيـل إلـى التقاعـد إثـر منـاقشـة احاديث الشعـر الجاهلـي في مجلس النـواب. وقد اعتـرض العديـد من اعضـاء المجلـس على أسلوبـه إذْ كـان يـدعو طلابه إلـى نقـد القـرآن الكريـم بوصفه كتابـا أدبيـا(١)، فلـزم بيتـه مع استمـراره فـي الكتابـة في جريدة "السيـاسـة" اليـوميـة. وأعيـد إلـى الجامعـة مرة اخرى في عـام ١٣٥٢هـ- ١٩٣٤م بعـد أن تغيـرت الاحـوال السيـاسيـة*

١- انظـر: انـور الجنـدي: طه حسيـن حياتـه وفكـره في ميـزان الاسـلام، ص ٦٢.

* انضـم طـه حسيـن إلـى حزب الوفـد المعـارض لحزب الأحـرار الدستـوريـيـن عنـدمـا وقفـوا في صفـه حيـن أخرج من الجامعـة، وحينمـا اعيـد إلـى الجامعـة كـان للوفـد الفضل في ذلـك. سيـأتـي توضيـح ذلـك عنـد الحديث عن النـواحي السيـاسيـة في حيـاة طـه حسيـن .

فقد عين استاذا في كلية الآداب ثم عين عميدا لها بعد ذلك بعامين، واستمر في هذا المنصب حتى ١٣٥٨هـ- ١٩٣٩م، وفي اواخر هذا العام انتدب مراقبا للثقافة في وزارة المعارف، واستمر في هذا المنصب حتى عام ١٣٦١هـ- ١٩٤٢م، مع بقائه في القاء دروسه في كلية الآداب، ثم عينه وزير المعارف مستشارا فنيا للوزارة، وفي اواخر عام ١٣٦١هـ- ١٩٤٢م انتدب مديرا لجامعة الاسكندرية، وكان اول مدير لها. واستمر في هذين المنصبين حتى عام ١٣٦٣هـ- ١٩٤٤م، حيث احيل إلى التقاعد عام ١٣٦٧هـ- ١٩٤٨م ثم عين وزيرا للمعارف عام ١٣٧١هـ- ١٩٥٠م وظل في هذا المنصب قرابة عامين اعتزل بعدها الخدمة الرسمية، إلا أنه ظل متصلا بأكثر من عمل في مقدمة ذلك عمله مديرا للثقافة بالجامعة العربية، وعضوا ورئيسا للمجمع اللغوي، ثم عضوا في المجلس الأعلى للأدب والفنون. وقد امضى طه حسين سنواته الأخيرة في هذين العملين مجمع اللغة واللجنة الثقافية(١).

(٢) الصحافة:

بدأ نشاط طه حسين في الكتابة في الصحف في عهد مبكر، كانت بدايتها عندما كان يدرس في الازهر عندما كتب مقالته التي هاجم فيها الازهر وشيوخه، ويطالب بحرية الرأي، حيث قدمه لمدير "الجريدة" احمد لطفي السيد الذي أخذه بكل سرور وعطف وأمره بالانصراف، كانت هذه بدايته مع مجتمع جديد غير الازهر كما قلنا، وكثرت لقاءاته مع احمد لطفي السيد، كما اتصل بالشيخ عبدالعزيز جاويش مدير صحيفة الحزب الوطني، وبدأ الكتابة بمقالات ناقدة

١- انور الجندي: طه حسين حياته وفكره في ميزان الاسلام، ص ١٤٦.

خصوصا تلك التي تتصل بالازهر وشيوخه وكان يسرف في ذلك كل الاسراف، يقول طه حسين عن ذلك: "كان صاحبنا موزعا بين مذهبين من مذاهب الكتابة في ذلك الوقت، أحدهما مذهب الاعتدال والقصد، ذلك الذي كان الاستاذ لطفي السيد يدعوه إليه ويزينه في قلبه. والآخر مذهب الغلو والاسراف ذلك الذي كان الشيخ عبد العزيز جاويش يغريه به ويحرضه عليه تحريضا"(١).

كما علمه الشيخ عبد العزيز جاويش الكتابة في المجلات، وحين أنشأ مجلة "الهداية" طلب من طه حسين أن يشاركه في تحريرها، وكانت الهداية مسرحا للجدال العنيف الذي دار بين طه حسين وبين خصومه(٢)، وقد كتب في جريدتي "اللواء" و "العلم" قبل سفره إلى فرنسا عدة مقالات بعنوان: نظرات في النظرات ينتقد فيها النظرات للمنفلوطي. كما كتب في جريدة "الشعب" وكانت كلها تحت اشراف عبد العزيز جاويش.

وبعد عودته من فرنسا كتب في جريدة "السياسة" ما بين ١٣٤١هـ- ١٩٢٢م و ١٣٤٥هـ- ١٩٢٦م ومما كتبه مقالات "حديث الأربعاء" الأسبوعية وبعض مقالات "حديث الاربعاء" كتبها عام ١٣٥٤هـ- ١٩٢٥م في جريدة "الجهاد"، وبعد عام ١٣٤٦هـ- ١٩٢٦م صار طه حسين رئيسا لتحرير جريدة "الاتحاد" لسان حزب الاتحاد الذي أنشأه الملك فؤاد ضد حزب الوفد(٣). كما كتب مقالات يومية تقريبا في جريدة "كوكب

١- انظر: طه حسين: الأيام، ج(٣)، ص ١٠.

٢- انظر: المرجع السابق، ص٢٤.

٣- انظر: عبد المجيد المحتسب، طه حسين مفكرا، ص ١٢.

الشرق" خلال عامي ١٣٥١هـ- ١٣٥٢هـ (١٩٣٢م- ١٩٣٣م)* وقد كتب بعد حصوله على الدكتوراة في جريدة "السفور" الاسبوعية لصاحبه عبد الحميد حمدي. وكتب أيضاً في جريدة "الوادي" عام ١٣٥٢هـ- ١٩٣٤م. وبعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها ظهر في الميدان الفكري والأدبي مجلة شهرية باسم "الكاتب المصري" تولى تحريرها طه حسين، وعاشت هذه المجلة قرابة ثلاث سنوات من ١٣٦٦هـ- إلى ١٣٦٩هـ (١٩٤٥م- ١٩٤٨م) وكان ممول هذه المجلة هم يهود مصر(١)، ولطه حسين عده مقالات في جريدة "البلاغ" دونها عام ١٣٦٦هـ- ١٩٤٧م، نشرت فيما بعد في كتاب بين بين. وفي السنوات الاخيرة بعد عام ١٣٧٢هـ- ١٩٥٢م كتب في الصحف اليومية الصادرة في القاهرة مثل الاهرام والاخبار والجمهورية. ومعظم مقالات طه حسين تلك خصوصا الاولى منها كانت سياسية، كما كتب في مجال التعليم ومشكلات المدرسين والجامعة -من وجهة نظره- وتضمنت بعض مقالته رحلاته إلى فرنسا ومشاهداته هناك. كما تابع خلال الصحف حملاته على الازهر الشريف وشيوخه ومناهج تعليمه، وكتب عما أسماه باصلاح النحو ومشكلة الاعراب، والدعوة إلى تعليم اللغات الاجنبية والتبادل الثقافي، وشارك في الحديث عن القومية والديمقراطيةوالعروبة وإحياء التراث العربي(٢)، كما كتب بعض المقالات عن المرأة والاسرة وغيرها من الموضوعات.

---

* جمع محمد سيد كيلاني معظم هذه المقالات في كتب مثل: حديث المساء، شارع قوله، وغرابيل، وتجديد.

١- انظر: عبد المجيد المحتسب، طه حسين مفكرا، ص ٢٢٠.

٢- انظر: انور الجندي: طه حسين حياته وفكره في ميزان الاسلام، ص١٤٧-١٤٨.

وكان لكتابات طه حسين في ذلك الوقت صدى كبير، حيث كانت تتسم بالجرأة وطول اللسان[1]، وطرح قضايا خطيرة لم يجرؤ أحد قبله على التصدي لها.

(٢) التأليف:

الواقع أن التأليف كان جزءا من حياة طه حسين فقد كانت بداياتها رسالته ذكرى ابي العلاء التي نال بها درجة الدكتوراة في مصر عام ١٣٣٢هـ- ١٩١٤م، ورسالته عن ابن خلدون التي نال بها درجة الدكتوراة من جامعة السربون عام ١٩١٧م بالفرنسية تحت اشراف استاذ علم الاجتماع اميل دوركايم واستاذه المستشرق الفرنسي كازانوفا.

وقد تضمنت مؤلفاته بعد ذلك مختلف الموضوعات فقد كتب في الادب العربي والغربي والنقد والتربية، والتاريخ والقصص والروايات وغير ذلك، كما قام بترجمة العديد من المؤلفات الغربية إلى العربية، ومن أشهر مؤلفاته:

١- في الشعر الجاهلي: اصدره طه حسين عام ١٣٤٤هـ- ١٩٢٦م، وقد بنى دراسته فيه على منهج ديكارت، انتهى فيه إلى نظرية عامة هي نظرية الانتحال في الشعر الجاهلي، وقد أحدث هذا الكتاب ضجة كبيرة في الاوساط العلمية والثقافية والدينية؛ لما احتواه من عبارات تسيْ إلى الاسلام وتشكك فيه، مما أثار ثائرة النقاد

١- انظر: طه حسين: الأيام، ج(٢)، ص١١.

وخاصة مصطفى صادق الرافعي* ورجال الازهر حيث صودر الكتاب واعيد نشره ثانية في العام التالي بمسمى في الادب الجاهلي بعد حذف بعض الفصول وإضافة فصول أخرى.

٢- حديث الاربعاء: من ثلاثة أجزاء والكتاب في الأصل مقالات كتب طه حسين الجزئين الاول والثاني في جريدة السياسة بنفس العنوان، أما الثالث فقد كتبه في جريدة الجهاد، وقد تعرضت مقالاته هذه إلى النقد الشديد، لانه انتهى في كتابه هذا إلى أن القرن الثاني الهجري كان عصر شك ولهو ومجون.

٣- مستقبل الثقافة في مصر، وضع فيه طه حسين تصورا لمستقبل مصر الثقافي، وقد تعرض هذا الكتاب أيضاً للنقد الشديد لما احتواه من آراء جريئة ودعوات باطلة تمس الدين واللغة والثقافة الاسلامية، والحضارة العربية والاسلامية.

٤- الأيام: من ثلاثة أجزاء وفيها يروي طه حسين سيرته الذاتية منذ طفولته إلى سنوات متاخرة من عمره، وقد نشر الكتاب قبل ذلك مسلسلا في مجلة الهلال. وقد ترجم هذا الكتاب إلى الانجليزية والفرنسية والعبرية والصينية والروسية والألمانية والفارسية.(١)

---

* انظر كتابه تحت راية القرآن، كما نقد الكتاب كذلك كل من لطفي جمعة ومحمد الخضر حسين ومحمد فريد وجدي ومحمد الخضري و د. محمد الغمراوي وغيرهم، انظر: محمود مهدي الاستانبولي: طه حسين في ميزان العلماء والأدباء.

١- انظر: سهير القلماوي: ذكرى طه حسين، ص ١٥١.

٥- نقد واصلاح: يحتوي مقالات في الادب والفكر وتحليل لبعض الروايات والكتب الادبية العردية والغربية، كما يحوي مقالات ناقش خلالها موضوعات مختلفة مثل، ترجمة القرآن الكريم، والقضاء، والتعليم الديني واصلاح الأزهر.

٦- من حديث الشعر والنثر: وهي سلسلة من محاضراته في نشأة النثر العربي وفي طائفة من الشعراء العباسيين القاها بعد عودته لعمادة كلية الآداب نهاية عام ١٢٥٢هـ- ١٩٢٤م.

٧- من بعيد: وهي مقالات كتبها طه حسين في باريس وبلجيكا وفينا.

كما كتب مجموعة من الروايات مثل:

٨- المعذبون في الارض: قصة صور فيها واقع المصريين في عهود سياسية معينة، وبين ما يمانونه من عذاب.

٩- دعاء الكروان.

١٠- أحلام شهرزاد.

١١- شجرة البؤس.

١٢-القصر المسحور: مجموعة رسائل أدبية اشترك في تأليفها مع توفيق الحكيم عند لقائه به في قرية من قرى جبال الألب خلال صيف ١٢٥٦هـ- ١٩٢٧م تخيلا فيها شهرزاد، وافضى كل منهما امامها بآرائه في الأدب والحياة.

وله أيضاً بعض المؤلفات التاريخية الاسلامية، مثل:

١٢- الوعد الحق: صور فيه ظهور الاسلام.

١٤- على هامش السيرة: ثلاثة أجزاء.

١٥- الفتنة الكبرى: من جزئين، يتحدث عن عثمان بن عفان رضي الله عنه.

١٦- مرآة الاسلام.

كما دعا طه حسين إلى ضرورة الترجمة ونقل الفكر الغربي إلى اللغة العربية، وأكد على ذلك حين كان مديرا للجنة الثقافية بجامعة الدول العربية. وقد أخذ عليه اهتمامه بنقل كتب الآداب والفلسفة والتاريخ والتربية وغيرها والتي تؤدي إلى إفساد أذواق الشباب وتدمير كيانهم وتحويل شخصيتهم(١)، ومن اشهر كتبه المترجمة:

لحظات وصوت باريس: وهذان الكتابان عبارة عن طائفة من نظراته التحليلية لبعض القصص والمسرحيات الفرنسية.

قصص تمثيلية: وضعها اشهر الكتاب الفرنسيين امثال: بول هرفيو وفرانسوا دي كوريل وهنري ترنستين.

كما قام بترجمة كتاب غوستاف لوبون عن علم النفس التربوي روح التربية من الفرنسية إلى العربية، وهذا الكتاب يبحث في التعليم الفرنسي ومشاكله. وقد كان لهذا الكتاب أثر عميق عند طه حسين ويظهر ذلك في كتابه مستقبل الثقافة في مصر(٢). كما قام بترجمة كتاب ارسطو طاليس نظام الاثنين عن اليونانية. وقد درس لطلبته في الجامعة هذا الكتاب.

١- انظر: محمد محمد حسين: حصوننا مهددة من داخلها، ص ١٢٢.

٢- انظر: السيد تقي الدين: طه حسين آثاره وافكاره، ص ١٦٨.

كما ترجم "اوديب" لاندريه جيد الفرنسي، و "القدر" قصة لفولتير.

هذا وقد جمعت "دار الكتاب اللبناني" جميع مؤلفات طه حسين ضمن واحد وعشرين مجلدا مقسمة حسب الموضوعات التي كتب فيها كالتربية والنقد والتاريخ والفلسفة والقصص والسيرة.(١)

ج - علاقته بالسياسة:

بدأ طه حسين بالاشتغال في السياسة منذ وقت مبكر، وقد كان عمله في الصحافة وخارج الصحافة ذا علاقة بالحياة السياسية في مصر، التي كانت في ذلك الوقت تشهد الصراع بين عدة احزاب سياسية(٢).

ففي مطلع القرن العشرين كان هناك عدة أحزاب سياسية أهمها: الحزب الوطني الذي أنشاه مصطفى كامل بالتفاهم مع عباس الثاني للوقوف في وجه اللورد كرومر -مندوب بريطانيا في مصر- والسلطة المحتلة، وكان يدعو إلى التعاون مع الخلافة العثمانية. والتف حول هذا الحزب غالبية الشعب المصري. أما الحزب الثاني فهو حزب الامة الذي شكله كبار الاقطاعيين بمصر باشارة من اللورد كرومر عام ١٢٢٥هـ- ١٩٠٧م برئاسة محمود سليمان باشا، وكان يدعو هذا الحزب إلى التعاون مع السلطة المحتلة بحجة الاستفادة من

١- قائمة مطبوعات دار الكتاب اللبناني، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م، ص ٧٢-٧٣-٧٤-٧٥.

٢- انظر: غازي التوبة: الفكر الاسلامي المعاصر، ص ٨٤-٨٥.
وانظر: محمد محمد حسين: الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر، ص ٩٠،٢٢٢-٢٢٣.

تمدنها ومن الحضارة الغربية. وقد عرف هذا الحزب بعد الحرب العالمية الاولى باسم حزب الوفد بزعامة سعد زغلول. وكان هذان الحزبان يشكلان الاغلبية من شعب مصر، أما الحزب الثالث فهو الحزب الوطني الحر، وكان يدعو صراحة إلى التعاون مع الانجليز -وقد باع نفسه للاستعمار- وكان هذا الحزب يمتلك صحيفتي المقطم والمقتطف، وقد تعاون طه حسين مع حزب الأمة في مطلع حياته السياسية، فكتب في صحيفة "الجريدة" التي كان يرأسها احمد لطفي السيد، كما كتب في مجلة "الهداية" التي كان يشرف عليها عبد العزيز جاويش، أحد اركان الحزب الوطني والذي اصطدم به فيما بعد بسبب آرائه التي يؤيد فيها سفور المرأة، وفيما بعد اصبح اكثر ميلا لحزب الاحرار الدستوريين الذي نشأ من بقايا حزب الامة، وقد اسسه عدلي يكن وعمل على نشره احمد لطفي السيد من خلال جريدة "السياسة" منذ صدورها عام ١٣٤١هـ- ١٩٢٢م*.

ويبدو أن زوج طه حسين: سوزان كانت تشاركه حياته السياسية، تقول "مع قدوم ١٩٢١ بدأت بالمشاركة في حياة مصر السياسية التي احتلت حيزا كبيرا في حياة طه"(١)، وكان طه انذاك يؤمن بحكمة سياسة الاحرار الدستوريين فقد كان له في

١- سوزان طه حسين: معك، ص٢٢.

* توقف اصدار "الجريدة" عام ١٣٣٢هـ- ١٩١٤م ولم تستمر بعد الحرب العالمية وخلفتها في عهد الاستقلال جريدة السياسة اليومية واختها السياسة الاسبوعية. انظر: عمر الدسوقي: في الأدب الحديث، ج(٢)، ص ٧٠-٧٢.

حزب الاحرار الدستوريين اصدقاء اعزاء من بينهم ثروت باشا، وآل عبد الرزاق، وكان ذلك يؤثر فيه ولا شك. وكان يكتب في صحيفة الحزب وكان يعمل عن قناعة وبضراوة كانتا تميزاه في كل ما يكتب[1]. ومعظم كتابات طه حسين في هذه الفترة هي شتم سعد زغلول* والسخرية به، وكانت معظم مقالاته تحمل عناوين قصيرة وجافة مثل:

١- انظر: سوزان طه حسين: معك، ص ٢٢.

* سعد زغلول (١٢٧٧هـ- ١٣٤٦هـ) - (١٨٦٠م- ١٩٢٧م) سياسي وطني وزعيم الثورة الوطنية الديمقراطية بمصر في ١٣٣٨هـ- ١٩١٩م، وهو من تلامذة جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده عمل في وزارة الداخلية وأسهم في الثورة العرابية فصل من عمله عام ١٢٩٩هـ ١٨٨٢م بعد الاحتلال الانكليزي، عمل بالمحاماة وعين قاضيا ثم مستشارا، درس الفرنسية ونال شهادة الحقوق، وتزوج من ابنة مصطفى فهمي رئيس الوزراء آنذاك، عين وزيرا للمعارف عام ١٣٢٤هـ - ١٩٠٦م، أنشأ مدرسة القضاء الشرعي وأسهم في انشاء الجامعة المصرية، اختلف مع الخديوي وساءت علاقته بالانجليز فاستقال ورأس حزب الوفد، نفي إلى مالطا عام ١٣٣٨هـ - ١٩١٩م مع بعض أعضاء حزب الوفد، أطلق سراحهم بعد ذلك، سافر إلى باريس ثم إلى لندن، إكتسح الوفد انتخابات ١٣٤٢هـ - ١٩٢٣م وشكل وزارته البرلمانية في العام الذي تلاه. انتخب رئيسا لمجلس النواب الجديد في ١٣٤٤هـ- ١٩٢٥م فحل المجلس في اليوم نفسه، ائتلف مع الاحرار الدستوريين ضد الملك في ١٣٤٥هـ - ١٩٢٦م، انتخب رئيسا لمجلس النواب الائتلافي حتى وفاته في ١٣٤٦هـ - ١٩٢٧م. انظر: د. عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة، ج(٣) ص ١٦٢-١٦٣.

طاغية، ودجالون، ضعاف، بغاة(١)، انتقل بعدها إلى جريدة حزب الاتحاد الذي انشأه الملك فؤاد عام ١٣٤٤هـ- ١٩٢٥م، لم يلبث أن تركه وعاد إلى الاحرار الدستوريين، والذي كان مسيطرا على الحكم حينما الف كتابه "في الشعر الجاهلي"، وبعد أن اصطدم بوزارة اسماعيل صدقي عام ١٩٣٢م. وطرد من الجامعة وجد الدعم من حزب الوفد المعارض في هذا الصدام، مما قرب بينهما وجعله ينضم إلى هذا الحزب الذي كان يرأسه مصطفى النحاس، وكتب في جريدة كوكب الشرق، بداء بمقال بعنوان "عهد"(٢) عام ١٣٥٢هـ- ١٩٣٢م يمتدح فيه حزب الوفد وينتقد فيه الحكومة وسياستها التعليمية، وبعد أن اصبح وفديا اخذ في مهاجمة "السياسة" وحزب الاحرار الدستوريين، وكانت كتاباته تتسم بالسخرية والتهكم(٣)، واخرج صحيفة "الوادي" وحول قلمه إلى ما يشبه سوطا يلهب به لحم اسماعيل صدقي الذي ابعده عن الجامعة(٤)، وقد توثق ارتباط طه حسين بحزب الوفد منذ عام ١٣٥٥هـ- ١٩٣٦م وبلغ ذروته عام ١٣٧٠هـ- ١٩٥٠م حيث تسلم منصب وزير المعارف، وقد حقق العديد من مشروعاته نتيجة صداقته لأعضاء حزب الوفد(٥).

١- انظر: انور الجندي: طه حسين حياته وفكره في ميزان الاسلام، ص ١٢٨-١٣٠.

٢- انظر: طه حسين: حديث المساء، ص ١٩ وما بعدها.

٣- انظر: سوزان طه حسين: معك، ص ١٠٧.

٤- انظر: شوقي ضيف: الأدب العربي المعاصر في مصر، ص ٢٨١.

٥- انظر: سوزان طه حسين: مرجع سابق، ص ١٨٨.

ويوضح أنور الجندي أن موقف طه حسين من الملك كان موقف الخضوع والعبودية الذليلة إذ كان يكتب المقالات يمتدح فيها الملك وسياسته ويبالغ في ذلك كثيرا، وبعد سقوط الملكية حاول طه حسين أن يدافع عن نفسه، ومما قاله: "من الذي يستطيع أن ينكر انني تصورت الملك كما ينبغي أن يكون، وقلت فيه ما كان ينبغي أن يقال، فلم يتجه من كلامي إلى فاروق في قليل أو كثير وإنما اتجه كلامي إلى هذا الملك الذي صورته لنفسي وللناس"(١).

مما سبق نجد أن طه حسين لم يكن مستقرا سياسيا، فقد تنقل بين احزاب مختلفة متناقضة، وهذا يدل على عدم ثباته في الرأي ويتحدث انور الجندي عن طه حسين فيقول مانصه: "ان طه حسين كان يتخذ من الاحزاب أوعية ووسائل ومظلات واقية لاذاعة آرائه وافكاره ومحميا من ضربات القوى المتيقظة لسمومه"(٢)، ويعلق زكي مبارك على تقلب طه حسين بين الاحزاب وأثر ذلك في أدبه فيقول: "طه حسين لم يقرأ في حياته كتابا كاملا وانما قرأ فقرات من هنا وهناك إلى أن اتصل بالمرحوم ثروت باشا فوضعه في الجامعة المصرية وظل طوال عمره ظلا من الظلال في عالم السياسة ولم يترك احدا إلا خدمه ودبج في تقريظه ألوانا من الرسائل الطوال ولا ريب أن الاتجاه السياسي صورة من الاتجاه العقلي، والرجل الذي يتردد بين المذاهب السياسية، ولا يبعد عليه أن يعيش فريسة الحيرة بين المذاهب الأدبية. اتفق الرجل الصالح جدا أن يخدم قبل الحرب

١- انور الجندي: طه حسين حياته وفكره في ميزان الاسلام، ص١٤٢.
٢- المرجع السابق، ص ١٢٥.

ثلاثة أحزاب وان يخدم بعد الحرب أربعة أحزاب وحظه من الثبات في المذاهب الأدبية يشبه حظه من الثبات على المذاهب السياسية وقد بذل الدكتور جهودا عنيفةفي اخفاء حقيقته الادبية"(١)، كما علق أيضاً الدكتور محمد غلاب في مجلة نهضة الفكر عن تكوين طه حسين السياسي وتقلبه بين الاحزاب المصرية وشبهه بشعور غواني باريس الذي تعطيه السيدة في كل يوم لون الفستان الذي تلبسه"(٢).

د- فكره:

إن آراء طه حسين حول المرأة امتداد أو جزء من فكره العام، لكن طبيعة الدراسة تقتضي الاقتصار على ذكر أهم الأفكار التي آمن بها طه حسين ودعا اليها من خلال كتاباته وممارساته دون الخوض في التفاصيل الدقيقة، ومن أهم الآراء التي آمن بها طه حسين:

١- الولاء للحضارة الغربية: إن من أهم آراء طه حسين التي نادى بها وكافح من أجلها هو الايمان بالحضارة الغربية والعمل لنشر ثقافتها، فهو يصر على أن العقل المصري ليس إلا عقلا أوربيا خالصا، يقول: "لا ينبغي أن يفهم المصري أن بينه وبين الأوربي فرقا عقليا قويا أو ضعيفا [بل] كانت مصر دائما جزءا من أوربا، في كل

١- انظر: جابر رزق: طه حسين .. الجريمة والادانة، ص ٥٩.

٢- انظر: المرجع السابق، ص ٥٧.

ما يتصل بالحياة العقلية والثقافية على اختلاف فروعها وألوانها"(١). وفي موضع آخر يقول: "نريد أن نتصل بأوربا اتصالا يزداد قوة من يوم إلى يوم حتى نصبح جزءا منها لفظا ومعنى وحقيقة وشكلا"(٢)، والاتصال بأوربا في نظر طه حسين هو اتصال كامل ينتهي اخيرا بالاندماج والانصهار في بوتقة الغرب، وهذه الدعوة إلى التغريب تتعارض تعارضا تاما مع الاعتقاد بان المسلمين لهم كيانهم وشخصيتهم وفكرهم المتميز، فالشخصية الاسلامية تختلف كثيرا عن الشخصية الاوربية. وهذا الاعجاب بالفكر الاوربي جعله يدعو إلى تقليد الاوربين والى ضرورة الأخذ بمنهجهم حتى في المجالات التي واجهوا فيها الفشل، فهو يريد أن يكون المصريون شركاء للغربيين في حضارتهم. يقول ما نصه:

"يجب أن نسير سيرة الاوربيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادا، ولنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرها، حلوها ومرها، وما يحب منها وما يكره، ومايحمد منها وما يعاب، ومن زعم لنا غير ذلك فهو خادع أوْ مخدوع"(٣)، ومع أن الانسان المسلم لا يعارض الدعوة إلى الاستفادة من حضارات الامم الاخرى إلا أنه ينفر بكل تاكيد من تلك الجوانب التي تتعارض مع العقيدة الاسلامية،

١- طه حسين: المجموعة الكاملة لمؤلفات الدكتور طه حسين، المجلد التاسع، ص ٢٥-٢٦.

٢- المرجع السابق: نفس المجلد ص٤٤.

٣- المرجع السابق: نفس المجلد ص٤٥.

ودعوة طه حسين إلى ضرورة أخذ ما يكره وما يحب تتعارض مع الفكر السليم. أن رأيه القائل بإعلاء الحضارة الغربية رأي غير سديد فالحضارة الاوربية قامت على دعامات واهية. ثم إن المصريين مسلمون أولا وأخيرا، ولابد أن تقوم حضارة مصر وغيرها من البلاد الاسلامية على أسس ودعامات متينة بناها الاسلام ونادى بها، فالحضارة الاسلامية تقوم على الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقضاء والقدر خيره وشره من الله تعالى، أما الحضارة الغربية فاساسها فاسد هزيل، فقد قامت على أساس فصل الدين عن الحياة أو السياسة بعد صراع مرير بين رجال الدين وعلى رأسهم البابا وبين رجال السلطة والمفكرين من جهة أخرى(١).

ويبدو أن طه حسين لجأ إلى التاريخ ليجده سندا يدعم به رأيه في ضرورة الاتصال بالغرب. لذا نجده يقول بأن اتصال المصريين بالغرب حقيقة لا ينكرها أحد، وما دام الامر كذلك فان الاتصال مع أوربا ثانية في هذا العصر أمر حتمي لاغنى عنه، بل أنه يقول أكثر من ذلك، فأوربا خضعت عبر تاريخها لظروف معينة، ويريد طه حسين لمصر أن تخضع لذات الظروف التي خضعت لها أوربا(٢).

ويمكن أن يرد على هذا الرأي بأن نقول إن اتصال مصر عبر التاريخ بالاسلام أقوى من اتصالها باوربا. فبعد دخول مصر في دين الله أصبحت مركزا هاما من مراكز الحضارة الاسلامية، ولا يجوز لأي

١- انظر: عبد المجيد المحتسب، طه حسين، ص ٨٠-٨١.

٢- انظر: طه حسين: المجموعة الكاملة لمؤلفات الدكتور طه حسين، المجلد التاسع، ص ١٥٦.

مؤرخ منصف أن يلغي هذا التاريخ الطويل أو يتناساه وحتى لو سلمنا جدلا بوجود نوع من الصلات القوية بين مصر وبين اوربا فان هذا لا يعني خضوع مصر للعوامل التي خضعت لها غيرها. فتاريخ كل امة يتأثر بمجموعة من العوامل الداخلية والخارجية. ولو صحت مقولة طه حسين لكان تشابه بين الاقطار الاوربية ذاتها. لكننا جميعا نعلم أنه رغم وجود تشابه بين تلك الاقطار إلا أن ظروف كل منها تختلف عن ظروف الاخرى، ومن الأدلة على ذلك تباين أنظمة الحكم في تلك الأقطار، وهذا التباين يزداد ازديادا كبيرا عندما ننتقل لمقارنة قطر أوربي بقطر اسلامي. مثل مصر على سبيل المثال. ومن هنا يتضح أن آراء طه حسين لا تصمد امام أي نقد علمي.

هذا وقد ترتب على ايمانه بسمو الحضارة الغربية مجموعة من المعتقدات والمارسات نجملها فيما يلي:

(أ) الترويج للثقافة الفرنسية:

نادى طه حسين بالأخذ باسباب الحضارة الغربية والاوربية إلا أنه خص فرنسا بالكثير، فقد امتدح فرنسا وشعب فرنسا وعلم وادب فرنسا وكل ما يتعلق بفرنسا في مواضيع كثيرة من كتاباته كما كان يجتمع مع اصدقاء الثقافة الفرنسية كل يوم جمعة اثناء الشتاء في فندق الكونتنتال[1]، ويعلل محمود عبد العليم هذا الاعجاب بفرنسا في العبارة التالية "طه حسين شاب طردته أكبر

١- انظر: طه حسين: فصول في الأدب والنقد، ص ٤١٦.

جامعة دينية في بلده، فتلقفته جامعات فرنسا، وأوسعت له من وارف ظلها، فاحس في ظلالها بترحاب لم يحظ بشئ منه في بلده، وتقلب في احضان نعمه لم يذق مثلها في منشئه، ولم تكتف فرنسا بذلك كله بل حبته أيضاً قطعة من نفسها حتى يكون حيث كان ومعه روح فرنسا تسيطر على بيته ونفسه وقلبه وعقله، تلك هي زوجته"(١)، والواقع أنه لم يدع مجالا إلا ذكر فيه باريس ومجدها، فقد كتب فصلا عن الممثلة الفرنسية سارة برنار -وهي يهودية الاصل- وعن إعجاب الباريسيين بها وحزنهم على موتها(٢)، كما قام بتعريب وتحليل بعض القصص والروايات لكتاب فرنسيين وقام بعرض بعض القصص التمثيلية التي مثلت على ملاعب باريس. وترجم بعض الكتب التربوية لمربين فرنسيين مثل كتاب روح التربية لغوستاف لوبون. هذا وقد تاثر طه حسين بأفكار وآراء الغرب من فرنسيين وغيرهم وتبنى آراء بعضهم مثل "ديكارت" الذي نهج نهجه في البحث عندما كتب كتابه "في الأدب الجاهلي"(٣)، إلا أنه بعد سنوات كتب فصلا تحت عنوان "ديكارت" يقف فيه موقفا مختلفا من موقفه في كتابه الاول، ففي هذا الفصل يرى أن لديكارت نوعين من الفلسفة أحدهما سخيف ضعيف هو الذي اعتمد عليه في كتابه في الشعر الجاهلي والآخر قيم ممتع خصب لذيذ يلتمس في كتب علماء التصوف، لم يعلن عنه طه حسين(٤).

١- محمود عبد الحليم: الاخوان المسلمون احداث صنعت التاريخ، ج(١)، ص ٢٢٩.

٢- انظر: طه حسين: من بعيد، ص ٢١-٢٢.

٣- انظر: طه حسين: في الأدب الجاهلي، ص ٦٧،٦٨.

٤- انظر: طه حسين: من بعيد، ص ٢١-٢٢.

وقد ترجم قصة المفكر الفرنسي الاديب فولتير: "القدر" إلى اللغة العربية، والمعروف أن فولتير كان يحارب الكنيسة ورجالها، ومن هنا يبدو لنا التشابه بين فولتير في محاربة رجال الكنيسة وبين طه حسين في محاربته لرجال الازهر، كما ترجم قصة "الباب الضيق" لصديقه الحميم اندريه جيد الفرنسي، وقدم لها، وكانت الصداقة تربط بين عائلة طه حسين وبين جيد، والمطالع لمذكرات زوجه يستطيع أن يلتمس ذلك[1]. كما أنه كان يعجب بعلماء فرنسا ويشغف بعلومهم كما حدث مع استاذ علم الاجتماع دور كايم الذي اشرف على رسالته عن ابن خلدون في فرنسا.

(ب) تبني أفكار المستشرقين وآرائهم:

كانت بداية طه حسين مع المستشرقين في الجامعة، فقد أعجب بهم اعجابا شديدا، فبعد مضي العام الاول لانضمامه للجامعة وجد نفسه مشدودا لها، وقد استأثرت بعقله وجهده كله وأشغلته عما سواها خاصة الاساتذة الأجانب أمثال كارلو نالينو المستشرق الايطالي استاذ تاريخ الادب والشعر الاموي، وسنتلانا أستاذ الفلسفة الاسلامية وتاريخ الترجمة، والاستاذ ليتمان المستشرق الألماني وميلوني وغيرهم[2] وقد اتصل طه حسين بأساتذته هؤلاء اتصالا متينا خاصة وأنه قد وجد منهم الحب والرفق والعطف وقد

١- انظر: سوزان طه حسين: معك: ص ١٥٧-١٥٩.

٢- انظر: طه حسين: الأيام، ج(٢)، ص ٢٤.

قربوه منهم، ومنهم من دعاه لزيارته في فندقه(١)، فبداية طه حسين مع المستشرقين كانت مبكرة وتعلقه بهم كان شديدا أما عن كازانوفا فقد كان له وضع خاص عند طه حسين فقد عرفه في جامعة فرنسا واعجب بطريقته في ترجمة القرآن الكريم، وتأثر به جدا حتى أنه يرى أن هذا المستشرق أقدر على فهم القرآن الكريم وأسراره وتفسيره من علماء المسلمين وعلماء الازهر، وكازانوفا له ميزة خاصة تعجب طه حسين فهو رغم مسيحيته الشديدة إلا أنه يرى أن الدين يجب أن يستبعد عند الدخول إلى غرفة الدرس ولا يذكر منه إلا تلك النصوص التي تخضع للبحث اللغوي كما تخضع المادة للبحث في بالمعامل وهكذا يخضع آيات القرآن الكريم للبحث(٢)، فهذا رأي طه حسين في أحد أساتذته المستشرقين يقتنع تماما بما يقوله وما يفعله، ولكازانوفا فضل كبير على طه حسين فقد كان يساعده في الاشراف على رسالته للدكتوراة من فرنسا، فهو الذي يقرأ فصول رسالته عن ابن خلدون أولا بأول قبل عرضها على الاستاذ المشرف دوركايم(٣)، وقد كان على علاقة مع المستشرق ماسينيون فقد كانا صديقين لاكثر من خمسة وأربعين عاما، وكان ماسينيون يتابع باهتمام كل ما يقوم به طه حسين من عمل أو يخطط للقيام به، كما كانا يتبادلان الرسائل الودية(٤)،

١- انظر: طه حسين: الأيام، ج(٢)، ص٢٤.

٢- انظر: انور الجندي: طه حسين حياته وفكره في ميزان الاسلام، ص٢٦-٢٨.

٣- انظر: طه حسين: مرجع سابق، ص ١٢١.

٤- انظر: سوزان طه حسين، معك، ص ١٠١-٢٥٢-٢٥٤.

أما المستشرق نالينو فقد بلغ من وده لطه حسين أن تنازل له عن رئاسة القسم في الجلسة الاولى في احد مؤتمرات المستشرقين الذي عقد في روما، ولم يكن من الطبيعي حدوث هذا الامر على الاطلاق(١)، أما أستاذه المستشرق الألماني ليتمان فقد كان يكن لطه حسين ودا ومحبة ويعده ابنا له، فقد أسعده المشاركة في تخريج إحدى طالبات الماجستير -وهي سهير القلماوي- ويعدها حفيدة له، لأن طه حسين يعتبرها ابنة له -وطه حسين في نظر ليتمان ابن له-(٢). والواقع أن المستشرقين انفسهم كانوا يبادلون طه حسين الحب والود فقد قدم له سفير إيطاليا هدية المستشرقين الايطاليين بمناسبة عيد ميلاده السبعين، وكانت عبارة عن كتاب يتحدث عنه(٣).

والحقيقة أن علاقة طه حسين بالمستشرقين لم تتوقف عند تدريسهم اياه بل تعدته إلى مصادقتهم فترات طويلة من حياته تبادل خلالها معهم الآراء ووجهات النظر، وحضر معهم الاجتماعات ومؤتمرات المستشرقين، بل أنه امتدحهم ودافع عنهم في كتاباته، وبالتالي فقد ترك ذلك أثرا قويا على فكره، فقد تبنى العديد من آرائهم التي كانت دائما ضد الاسلام ومبادئه وضد تاريخ الاسلام والمسلمين، وضد اللغة العربية لغة القرآن الكريم، ودون الخوض

١- انظر: سوزان طه حسين، معك، ص١٢٢.

٢- انظر: طه حسين، الايام، ج(٢)، ص٥٥.

٣- انظر: سوزان طه حسين، مرجع سابق، ص ٢٥١.

في التفاصيل التي لا مجال لذكرها هنا، فعلى سبيل المثال نرى طه حسين يؤمن بتأثر الفقه الاسلامي بالفقه الروماني[1]، كما أنه شكك في حقيقة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام[2]. وكتابه في الادب الجاهلي شمل العديد من الفقرات التي تطعن في السلام وتشوه تاريخ المسلمين استمدها من آراء وأفكار المستشرقين والمفكرين الغرب. ومن ذلك ما ذكره عن العداوة بين المهاجرين والانصار، وما قاله عن سورة الجن، والتهكم من شخص الرسول صلى الله عليه وسلم واسرته الكريمة، وتشكيكه في القرآن والدين، والادعاء بأن النبي عليه الصلاة والسلام والمسلمين هم الذين جاءوا بالقرآن الكريم ومن ذلك قوله: "من الذي يستطيع أن ينكر أن كثيرا من القصص القرآني كان معروفا بعضه عند اليهود وبعضه عند النصارى، وبعضه عند العرب انفسهم؟ وكان من اليسير أن يعرفه النبي... الخ"[3] تلك هي آراء طه حسين عن الاسلام والنبي والقرآن، وهذا هو الذي أدى إلى توجيه النقد الصريح لهذا الكتاب وعرضه على مجلس النواب في مصر عام ١٣٥٠هـ- ١٩٣٢م[4].

١- انظر: طه حسين: المجموعة الكاملة لمؤلفات طه حسين، المجلد التاسع، ص ٣٩. وطه حسين: من بعيد ص ١١٧-١١٨.

٢- انظر: محاضر مجلس النواب: جريدة الوقائع المصرية، ٢١/١١/١٣٥٠هـ- ١٩٣٢م، ص ٣٤٩.

٣- انظر: طه حسين: في الأدب الجاهلي، ص ١٤٥.

٤- انظر: محاضر مجلس النواب، المرجع السابق، من ص ٣٤٨ إلى ص ٣٥٠.

(ج) الترويج للثقافة اليونانية:

عندما عاد طه حسين من فرنسا عم ١٣٣٨هـ- ١٩١٩م تولى التدريس في الجامعة، وعُين استاذا للتاريخ اليوناني والروماني القديم، واستمر في هذا المنصب حتى عام ١٣٤٤هـ- ١٩٢٥م، وكان يلقي الدروس على طلبته مؤمنا بأن اليونان أصل الحضارات وأن الفكر والنظم اليونانية اثرت في النظم الاسلامية، ففلسفة أرسطو طاليس كان لها اثر كبير -حسبما يقول- في تكوين العقل العربي الاسلامي(١)، كما يرى أن العقل المصري قد اتصل بالعقل اليوناني منذ العصور الاولى اتصال تعاون وتوافق، وتبادل مستمر منظم للمنافع في الفن والسياسة والاقتصاد(٢). ويقر طه حسين بأن الاسلام اتصل بالفلسفة اليونانية فاثر فيها وتأثر بها، وأسلمت الفلسفة اليونانية وتفلسف الاسلام(٣)، وتفلسف الاسلام يعني دخول المبادىء الفلسفية في تعاليمه. وعن تأثير نظم اليونان في النظام الاسلامي يقول بأن وظيفة المحتسب في الاسلام تشبه ما كان شائعا عند اليونان من أمر مراقبة العامة في انديتهم ومجالسهم وأسواقهم(٤)، كما دعا طه حسين إلى وجوب تعلم اللغة اليونانية واللاتينية، ويرى ان التعليم العالي لا يستقيم في بلد من البلاد الراقية إلا إذا اعتمد على هاتين اللغتين.

١- انظر: طه حسين: المجموعة الكاملة لمؤلفات طه حسين، المجلد الثامن، ص ٢٤٦.

٢- انظر: المرجع السابق، المجلد التاسع، ص ٢٠.

٣- انظر: المرجع السابق، ص٢٢.

٤- انظر: المرجع السابق، المجلد الخامس، ص ٦٠٠.

وهكذا يروج طه حسين للثقافة اليونانية في بعض كتبه مثل كتاب: مستقبل الثقافة في مصر، وكتابه قادة الفكر، وحديث الاربعاء، ومن حديث الشعر والنثر، وغيرها من الكتب، ومن المعلوم أن الاستاذ عباس محمود العقاد قد ألف كتابا بعنوان الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبرية وفيه من الادلة ما رد به آراء طه حسين التي روج فيها للثقافة اليونانية واللغة اليونانية.

د- الترويج للافكار الديمقراطية:

تبنى طه حسين مبدأ الديمقراطية، فقد قرر مغتبطا أن الله قد منّ على المصريين بالنظام الديمقراطي، وبالحياة النيابية التي يحبها المصريون ويفتدونها بالمهج والنفوس[1]، ومعلوم أن النظام الديمقراطي كما يراه الغرب يفصل بين الدين والحياة، ونتيجة لذلك قامت الحريات الاربع: حرية الرأي وحرية العقيدة وحرية الملك وحرية الشخصية[2]، وطه حسين يحث الدولة على تطبيق النظام الديمقراطي ويدعوها إليه، يقول: "ونحن إذا فكرنا قليلا انتهينا إلى أن من أوجب واجبات الدولة المصرية في عشرات الاعوام المقبلة أن تحوط الاستقلال الخارجي، وان تقر النظام الديمقراطي في داخل الحدود المصرية، ومهما يكن جهد الافراد في حياة الاستقلال وتثبيت الديمقراطية، فان هذا الجهد ليس شيئا بالقياس إلى الجهد

١- انظر: طه حسين: المجموعة الكاملة لمؤلفات طه حسين، المجلد التاسع، ص ٢٠٥.

٢- عبد المجيد المحتسب: طه حسين مفكرا، ص ٨١.

الذي يجب أن تبذله الدولة، لان الدولة اقدر على ذلك وأنفذ إليه وهي لم تقم بعد إلا له"(١)، ففي عبارته السابقة دعوة للافراد والحكومة للعمل الجاد من أجل تطبيق هذا النظام والأخذ به. وحول تطبيق مبدأ الديمقراطية في التعليم يقول: "لست في حاجة إلى الاطالة في اثبات أن التعليم الأولي والالزامي ركن اساسي من اركان الحياة الديمقراطية الصحيحة"(٢). فطه حسين يدعو إلى تبني الديمقراطية في الحياة السياسية وفي ميدان التعليم، ومع أن النظام الديمقراطي لا يخلو من بعض نقاط القوة إلا أن هذا لا يعني تبنيه والدعوة إلى الاخذ به. فالديمقراطية مبدأ يقوم على اساس أن الحاكمية للشعب، لان الشعب في البلاد الديمقراطية مصدر السلطات، أما في الاسلام فان الحاكمية لله وحده. لذا فان كل دعوة لتبني النظام الديقراطي تنطوي على مساس صريح بتعاليم الدين الاسلامي الحنيف.

هـ- الدعوة إلى العلمانية وفصل الدين عن الدولة:

ومن آثار تبني الفكر الغربي عند طه حسين، دعوته إلى العلمانية وفصل الدين عن الدولة، وقد كتب طه حسين عدة فصول تحت عنوان "بين العلم والدين" بين فيها ان هناك خصومة بين العلم والدين وبين السياسة والدين، ومن ذلك الفصل الذي كتبه حول

١- انظر: طه حسين: المجموعة الكاملة لمؤلفات طه حسين، المجلد التاسع، ص ٨٦.

٢- المرجع السابق، ص ١٠١.

الدستور المصري الذي ينص في صراحة أن الاسلام دين الدولة يقول: "ومعنى ذلك أن الدولة مكلفة أن تمحو حرية الرأي محوا في كل ما من شأنه أن يمس الاسلام من قريب أوْ بعيد، سواء أصدر ذلك عن مسلم أو عن غير مسلم، ومعنى ذلك أن الدولة مكلفة بحكم الدستور أن تسمع ما يقوله الشيوخ في هذا الباب"(١)، فحرية الرأي التي يؤمن بها طه حسين تتعارض مع كون الاسلام دين الدولة، وهذا راجع لايمانه بالحضاة الغربية التي مارست بالفعل فصل الدين عن شئون الحياة. ويعبر طه حسين عن آرائه هذه بوضوح تام عندما يقول ما نصه: "فالمسلمون إذا قد فطنوا منذ عهد بعيد إلى اصل من اصول الحياة الحديثة وهو، أن السياسة شيْ والدين شيْ آخر، وان نظام الحكم وتكوين الدولة انما يقومان على المنافع العملية قبل أن يقوما على أي شيْ آخر. وهذا التصور هو الذي تقوم عليه الحياة الحديثة في اوربا"(٢) ونحن نقولا أن لدين الاسلامي هو اساس حياة المسلم، فالسياسة والاجتماع والأخلاق والعلم وجميع نواحي الحياة تسير وفق نظام دقيق محدد هو النظام الاسلامي الشامل لجميع جوانب حياة الفرد المسلم والجماعة. وهذا التنظيم الواضح مستمد من قوله تعالى: ﴿قل أن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين﴾(٣).

١- طه حسين: من بعيد، ص ٢٤٢-٢٤٤.

٢- طه حسين: المجموعة الكاملة لمؤلفات الدكتور طه حسين، المجلد التاسع، ص ٢٧.

٣- الأنعام، ١٦٢.

(٢) : الدعوة للقومية المصرية الفرعونية:

لم يكتف طه حسين بالترويج للثقافة الغربية والتغني بحضارتها، واعتبار مصر جزءا لا يتجزأ من الغرب، وأن العقلية المصرية لا تختلف عن العقلية الاوربية، بل نراه يدعو إلى القومية الفرعونية، تلك الدعوة التي جاءت مع الفكر الغربي الرأسمالي، فقد دعا إلى الفرعونية، ودعوته هذه تقوم على دعامتين هما: الاشادة بمصر القديمة والتغني بتاريخها والتركيز على أن لمصر عقلية خاصة، فهي أساغت الاسلام وطبعته بطابعها الخاص[١]. ودعوة طه حسين هذه تتضح بعبارته التالية: "في هذه الرقعة الضيقة من الصحراء تعيش مصر القديمة بوثنيتها الفرعونية واليونانية والرومانية، وتعيش مصر القرون الوسطى باسلامها الساذج ومسيحيتها الساذجة، وتعيش مصر الحديثة ببحثها عن العلم، وتقصيها الآثار، وأخذها باسباب الحضارة الحديثة عن احسن وجه واكمله، ويشرف على هذه الصور المختلفة لمصر في عصورها المختلفة واطوارها المتباينة روح واحد خالد لا يختلف ولا يتغير، ولا يضعف ولا يدركه الفتور، وانما هو دائما يبعث فيما حوله وفيمن حوله الحياة النشاط والملل والثقة واليقين، وهو روح مصر الخالدة التي بقيت، وستبقى مهما تختلف الاحداث، ومهما تتباين الظروف"[٢].

١- انظر: عبد المجيد المحتسب: طه حسين مفكرا، ص٢٢٥-٢٢١.

٢- طه حسين: المجموعة الكاملة لمؤلفات طه حسين، المجلد الثاني عشر، ص ٧٢٩.

والعبارات السابقة تحمل أكثر من معنى فغيها وصف للاسلام بالسذاجة، وانه مجرد حقيقة تاريخية سبقتها حقيقة وتبعتها حقيقة اخرى. ثم أن هذا القول يجعل من روح مصر سيدا على الاسلام وغيره مع أن هذه الروح لا وجود لها إلا بالاسلام. ونلتمس من عباراته إحياء روح القومية الفرعونية. فالاسلام في نظر طه حسين لم يخرج مصر عن عقليتها الاولى[1] ولم ينس المصريون استقلالهم يوما ما ولم تفن شخصيتهم الوطنية في جيل من الأجيال الكثيرة التي أغارت عليهم، لقد احتفظوا بشخصيتهم واتيح لهم بفضل الجهاد في هذا العصر الحديث أن يردوا لهذه الشخصية المصرية الخالدة حقها من العزة والكرامة والاستقلال[2]. وليس على الشخصية المصرية -في نظره- خطر من الحضارة الحديثة إذا سارت على النهج الأوربي[3]. لكن السؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام هو: إلا يجد المرء تعارضا بين الدعوة إلى هذه القومية الضيقة وبين اعتبار مصر جزءا من اوربا؟.

(٢) : المناداة بالقومية العربية:

بعد أن دعا طه حسين إلى تبني الحضارة الغربية والى القومية الفرعونية اتجه فيما بعد إلى الدعوة بالقومية العربية في الفترة التي تلت انفصال سورية عن مصر بعد الوحدة، فقد انكر الاتهام الموجه للمثقفين المصريين على حرصهم على فرعونيتهم وانصرافهم عن

١- انظر: طه حسين: المجموعة الكاملة لمؤلفات طه حسين، المجلد التاسع، ص ٢١.

٢- انظر: المرجع السابق، ص ٥٩.

٣- انظر: المرجع السابق، ص٧٢-٧٤.

القومية العربية يقول: "من أجل هذا لا أعرف ابلغ من السخف ولا ادنى إلى هذيان المحمومين من هذا الكلام الفارغ الذي ترددہ السنة الفئة الباغية في سورية من ان مصر فرعونية حريصة على فرعونيتها، معرضة عن العروبة متنكرة لها"(١). فبعد السنوات الطويلة التي نادى فيها بآراءه السابقة نجده يتجه هذا الاتجاه الجديد، ففي الدورة الثالثة لمؤتمر ادباء العرب المنعقد في القاهرة عام ١٣٧٧هـ-١٩٥٧م أكد إيمانه بالقومية العربية في العبارات التالية: "سمعت الآن من السيد الاستاذ الذي يدير هذه الجلسة.. سمعت أن الشعر أداة للقومية العربية، واني استأذن الاستاذ في أن الاحظ أن الشعر ليس أداة لشيْ، وان الشعر هو منشئ القومية العربية أولا.. وهو الذي شارك في تكوينها وتقويمها بعد أن كونها القرآن، وأن الأدب هو الذي أتاح لهذه القومية العربية أن تنمو وتزكو، وتملأ الأرض علما وثقافة ونورا. فواجب الادب بالقياس إلى القومية العربية هو أن يكون، لا أداة لهذه القومية، وانما وفيّا لهذه القومية، يؤدي ما كان يؤديه في العصور الأولى وما زال يؤديه في هذا العصر"(٢).

ونلمس من هذه العبارات مناداته بالقومية العربية، ولا يكتفي طه حسين بالدعوة إلى القومية العربية بل أنه اوجد لها سندا من كتاب الله الخالد الذي أكد أن المؤمنين أخوة. فالاخوة في الله تتعارض مع القومية التي تجعل اللغة أوْ العرق أوْ الارض أساس الترابط بين أبناء المجتمع الواحد.

١- انظر: عبد المجيد المحتسب: طه حسين مفكرا، ص ٢٢١.

٢- المرجع السابق، ص ٢٤٦.

وبعد الاستعراض السريع لأهم آراء طه حسين يجدر بنا أن نوضح مكانة طه حسين في عصره كما ذكره عبد الجواد المحتسب، حيث يقول: "ان طه حسين ليس مقياسا دقيقا لعصره في بلاد صعيد مصر، بل لا يمثل وجه نظر بلدته أوْ قريته مغاغة من اعمال المنيا، وواقع طه حسين الفكري والثقافي لا يمثل تمثيلا صحيحا موقف عائلته الفكري والثقافي. لأن اباه وإخوته كانوا لا يوافقونه على كثير من آرائه ومواقفه، وقد عارضوه معارضة شديدة في أفكاره وآرائه التي ضمنها كتابه في الشعر الجاهلي بصورة خاصة. وطه حسين واترابه من المطبوعين بالافكار الغربية والثقافة الغربية ليسوا مقياسا صالحا للعصر الذي عاشوا فيه، وهم يمثلون أنفسهم وحسب. وهؤلاء لا يمثلون مصطفى صادق الرافعي، ومحمد الخضر حسين، وسيد قطب... وغيرهم"(١)

هـ- وفاته:

بدأ نشاط طه حسين يقل في اواخر حياته بعد أن ضعفت صحته وزاد مرضه، فقد اصيب بنوبة مرضية اواخر عام ١٢٩٢هـ- ١٩٧٢م نقل على اثرها للمستشفى حيث وافته المنية بعد ايام قلائل، وكان له من العمر ثلاثة وثمانون عاما. وقد عمل له مأتم كبير في الجامعة المصرية(٢). رحم الله موتى المسلمين.

١- انظر: عبد المجيد المحتسب: طه حسين مفكرا، ص ١٥٤.

٢- انظر: سوزان طه حسين: معك، ص ١٢٠.

الفصل الثاني

تربية المرأة عند المودودي

اولا : تعليم المرأة

ثانيا : الاختلاط

ثالثا : الحجاب والسفور

رابعا : عمل المرأة

خامسا : الآداب التي يجب أن تتحلى بها المرأة
(الحياء - العفة - حسن معاشرة الزوج)

تمهيد

تناول المودودي موضوع المرأة في بعض كتبه، فتحدث عن حجابها وتعليمها وعملها وعن الاختلاط بين الجنسين، وفسر الآيات التي تناولت بعض هذه القضايا في سورتي النور والأحزاب، وانتقد بشدة الامور المحدثة في هذا العصر، خاصة تلك التي أثرت على المرأة والأسرة المسلمة والاوضاع الاجتماعية حيث أخرجت المرأة عن دائرتها التي رسمها لها الاسلام، فخالطت الرجال في جميع الميادين، وعملت معهم سافرة متبرجة، فاضاعت بذلك دينها، وأهملت بيتها وأولادها، وجرت تلهث وراء المظاهر والشعارات البراقة التي اتخذها أعداء الاسلام للنيل من المرأة المسلمة، وبالتالي أبناء المسلمين، ثم السيطرة على المجتمعات الاسلامية وغزوها فكريا وإبعادها عن التمسك بكتاب الله وتطبيق مبادئه وتشريعاته، وسأتناول بالتفصيل آراءه في القضايا الرئيسة الخاصة بالمرأة في الصفحات التالية..

أولا: تعليم المرأة

أ- مقدمة

انطلق المودودي في نظرته إلى تعليم المرأة من الأسس التي وضعها الاسلام لها في هذا الشأن، فالاسلام لم يجز للمرأة تعلم العلوم فحسب، بل حثها عليه، فعلى النساء واجب التعرف على دينهن والاهتمام بذلك، وهذا لايقتصر على قراءة القرآن وفهمه بل يتعداه إلى دراسة الحديث والفقه؛ ليتسنى لها معرفة الاحكام المتعلقة بحياتها الشخصية والعائلية والاجتماعية. ويُرجع المودودي السبب في انتشار الكثير من الامور غير الشرعية في بيوت المسلمين وبين اسرهم، واتخاذ الكثير من العادات والتعاليم الجاهلية إلى الجهل بهذه الأحكام[1]. ويذكر المودودي أمثلة عديدة على تعليم المرأة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حيث كانت النساء يتعلمن أمور الدين والآداب والاخلاق الاسلامية السامية، وقد حدد الرسول صلى الله عليه وسلم لهن موعدا كن يحضرن فيه للتعلم، فعن ابي سعيد الخدري:

"قالت النساء للنبي صلى الله عليه وسلم
غَلَبَنَا عليك الرجال فاجعل لنا يوما من
نفسك فوعدهن يوما لقيهن فيه فوعظهن"[2].

١- المودودي: تذكرة دعاة الاسلام، ص ٩٢

٢- البخاري: صحيح البخاري، ج١، ص ٢٦.

ففي هذا الحديث الشريف دلالة على حرص النساء المسلمات في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على التعلم والتفقه في الدين والأخذ منه صلى الله عليه وسلم، ومما يدل على حرصهن أيضاً على طلب العلم ماجاء في الأثر الشريف:

"جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يارسول الله، ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يوما نأتيك فيه، تعلمنا مما علمك الله، فقال اجتمعن في يوم كذا وكذا في مكان كذا وكذا فاجتمعن فأتاهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلمهن مما علمه الله"(١).

وفي هذا دلالة واضحة على حرص المسلمات الاوليات على لقاء النبي والأخذ عنه، كما أنه عليه الصلاة والسلام لم ينكر عليهن ذلك بل حثهن عليه وقرر لهن يوما يجتمعن فيه ليؤدبهن ويعلمهن ويفقههن في الدين، وإيمانا بحق المرأة في التعليم عمل المودودي جاهدا على تأكيد أهمية دور المرأة وضرورة تربيتها، فقد أولى ذلك عناية فائقة، فخلال قيادته للجماعة الاسلامية في الباكستان -حيث كان يعقد دورات لتربية النساء- كان يحرص على اشراك النساء مع الرجال في تلك الدورات مع مراعاة حدود الحجاب وتطبيقه، بل أنه نادى بعمل دورات مستقلة لتربية النساء(٢)

١- البخاري: صحيح البخاري، ج٩، ص ١٢٤.

٢- انظر: المودودي: تذكرة دعاة الاسلام، ص ٩٢.

ومما لاشك فيه أن ما قام به المودودي خطوة هامة للدعوة والتربية في المجتمعات الاسلامية التي تبيح الاختلاط والسفور، فلا معنى لحرمان النساء من التوجيه والتربية الاسلامية السديدة لوجود عقبات في وجه إقامة دورات مستقلة لتربيتهن سواء كان ذلك فيما يتصل بالاعراف والتقاليد الاجتماعية الموجودة او لطبيعة العلاقات بين الرجل والمرأة فيها. فمبدئيا عندما يكون هذا الاختلاط مراعيا لضوابط الشرع، فان التوجيهات التربوية السليمة ستتمكن من صياغة وتشكيل سلوكيات المرأة السلمة الملتزمة بحدود الادب والعفة والفضيلة، والتي تبتعد بنفسها عن مهاوي الرذيلة والجهل والضلال، أما تعمد تجهيل المرأة مهما كانت مبرراته فإنه سوف ينعكس سلبيا ومباشرة على تنشئة الأجيال المسلمة رجالا ونساءً على حد سواء وذلك من خلال التربية الأولية القاصرة للطفل في المنزل بواسطة أم جاهلة بتعاليم دينها وتربيته الصحيحة.

هذا بالاضافة إلى أن الحرص على تربية المرأة وتعليمها مرتبط بكونها كائن مكلف كالرجل تماما، ومن ثم فانها مطالبة بأداء متطلبات التشريع وفرائضه وواجباته وكل ما يحقق عبوديتها لخالقها عن طريق تربيتها وتعليمها وتوجيهها لما يقيمها على هدي الصراط المستقيم. وقد نص التوجيه الالهي على تأكيد التكليف الايماني الذي يقع على عاتق المؤمنين والمؤمنات بصورة متساوية،قال تعالى:

﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض
يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون
الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله
ورسوله﴾..... الآية(١).

١- التوبة: ٧١.

لذلك فقد أكد المودودي على وجوب المساواة بين الرجل والمرأة من حيث إنسانيتهما وحاجتهما إلى العلم والأدب، فكلاهما يحتاج إلى التهذيب والتثقيف والتربية ليقوم بنصيبه في خدمة المجتمع، فالقول بالمساواة بين الجنسين من هذه الجهة صواب لا غبار عليه، ومن الواجب إتاحة فرص الرقي والتقدم للنساء بما يتلاءم مع مواهبهن وكفاءتهن الفردية؛ كي يتحلين بالعلم والتربية، ويمنحن حقوقهن التمدنية والاقتصادية، وينزلن منزلةاجتماعية تحقق لهم العزة والكرامة، وأما عدم المساواة بين الجنسين بهذه الصورة فيقود المجتمع إلى الانحطاط والذل والهوان؛ لأن النساء سيصبحن جاهلات مهينات محرومات من حقوقهن وسبب ذلك عند المودودي هو:

"ان اسقاط شطر كامل من شطري الانسانية
معناه اسقاط الانسانية نفسها"(١).

ومن هذا المنطلق شاركت زوج المودودي في الدعوة إلى الله عن طريق اللجان النسائية في الجماعة الاسلامية وذلك بتدريس القرآن الكريم والقاء الخطب فيهم، وتحملت مع زوجها المصاعب التي واجهته بسبب دعوته إلى إقامة دين الله وتطبيق شريعته(٢).

---

١ - المودودي: الحجاب، ص ٢٠٠.

٢ - انظر: احمد ادريس: أبو الاعلى المودودي صفحات من حياته وجهاده، ص ٤٠.

ب- مستويات تعليم المرأة في نظر المودودي:

بعد أن قرر المودودي حق المرأة المسلمة في التعليم وتفهم أمور الدين كما أمر الاسلام واقتداء بما فعله الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام في عهده، تطرق إلى العلوم التي يجب أن تتعلمها المرأة بعد ذلك، فقد جعل لتعليمها أولويات عليها أن تتخطاها لتنتقل إلى المستويات الاخرى. وأول هذه المستويات في نظره هو الذي يوافق نشاطها ويتناسب مع طبيعتها الانثوية فيجب أن تتلقى علوما خاصة في مجال الأسرة، فهي مطالبة بأن تتعلم ما يجعلها زوجاً مثالية، وأما حنونا، وربة بيت مدبرة[1]. فهو هنا يؤكد على ضرورة تعرف المرأة على حقوقها وواجباتها في الحياة لكي تُعنى ببيتها وأولادها وتدبير أمورهم.

والمستوى الثاني الذي يلي سابقه في نظر المودودي هو الاطلاع بتلك العلوم التي تعلمها المعاني الانسانية، وتهذب أخلاقها، وتوسع أفقها، فهو يرى أنه من الواجب على كل مسلمة أن تتحلى بالأخلاق الفاضلة[2]. وبعد أن أكد المودودي على وجوب تعليمها وتربيتها فيما يفيدها في شخصها وبيتها وما يربطها بأسرتها، ذكر أن لها بعد ذلك الاستزادة من العلوم والفنون الاخرى إذا كانت ترغب في ذلك، شريطة أن تكون ممن وهبهن الله العقل الخصب، فالاسلام لا يعترض سبيلها إذا لم تتعد الحدود التي وضعها الشرع لبنات جنسها[3].

١- انظر: المودودي: الحجاب، ص ٢٦٥.

٢- انظر: المرجع السابق، ص ٢٦٥.

٣- انظر: المرجع السابق، ص ٢٦٥.

والمودودي لم يفصل ولم يحدد بدقة المناهج التي يجب أن تدرس للمرأة، ولكنه ذكر بعض التخصصات التي تستطيع بعض النساء دراستها مثل تطبيب النساء وتمريضهن.

ج-ضوابط تعليم المرأة:

إن تعليم المرأة في نظر المودودي حق من حقوقها بل هو واجب من واجباتها لذا نجده يحرص على تحديد مجموعة من الضوابط التي ينبغي مراعاتها عند تعليم المرأة، ومن هذه الضوابط:

١- أن تدرس المرأة بصفة خاصة علوما تجعلها صالحة للقيام بعملها في دائرة نشاطها على أمثل وجه وأكمله، ولا تكون ثقافتها عين ثقافة الرجال(١). فالاسلام لم يميز بين الرجل والمرأة في ذات التعليم ولكنه يفرق بينهما من حيث النوعية(٢).

٢- إلا تكون ثقافتها في معاهد خليطة بالرجال والنساء، وانما تكون في معاهد خاصة بالنساء(٣)، وذلك منعا للفتنة وانتشار الفساد، وهذا ما تؤكده أحدى الدراسات -منذ سنوات- لمدارس أمريكا الثانوية المختلطة حيث وجد أن الفتيات الحوامل من الزنا بمعدل الف فتاة كل عام، وهن دون السابعة عشرة من عمرهن(٤).

١- انظر: المودودي: الاسلام في مواجهة التحديات المعاصرة، ص ٢٦٦.

٢- انظر: المودودي: الحجاب، ص ٢٦٥.

٣- انظر: المودودي: الاسلام في مواجهة التحديات المعاصرة، ص ٢٦٦.

٤- انظر: المرجع السابق، ص ٢٦٦

٣- يجب على المرأة عند الخروج من البيت لتلقي العلم -أو غيره من الحاجات- ان تراعي جانب العفة والحياء فلا يكون في نفسها حرص على اظهار زينتها وكشف وجهها ويديها والتمايل والتغنج في المشي، كما يجب عليها ألا ترفع صوتها وتتعمد فيه اللين والتشويق ليسمعها الرجال(١).

وقد أوضح المودودي الهدف من تعليم المرأة في الاسلام، فغايته أن تنمي المرأة كفاءاتها ومواهبها الفطرية في حدود النظام الاجتماعي لتقوم بنصيبها من العمل في تعمير التمدن على احسن وجه(٢)، أما غاية التعليم عند الغرب فهو تأهيلها لكسب الرزق إضافة إلى كونها مصدر متعة وتسلية وبهجة للمجالس(٣)، لذا انتقد المودودي أولياء الأمور الذين يبعثون بناتهم إلى أمريكا وانجلترا وغيرها لتلقي العلم(٤)، فالتعليم هناك مختلط، والمرأة سافرة، والمناهج أبعد ما تكون عن الاسلام.

والحقيقة أن رأي المودودي حول تعليم المرأة المسلمة على درجة كبيرة من الموضوعية، فهو تعليم يهدف إلى رقي المرأة وتقدمها بما يتلائم مع مواهبها وكفاءتها الفطرية وفق الضوابط الاسلامية لتعليم المرأة التي اكدها المودودي، فان للمرأة أن تتعلم جميع التخصصات التي تتوفر فيها هذه الضوابط وتتناسب مع طبيعتها

١- انظر: المودودي: الحجاب، ص ٢٢٦.

٢- انظر: المودودي: المرجع السابق، ص ١٦١.

٣- انظر: المودودي: المرجع السابق، ص ١٢٢.

٤- انظر: المودودي: تفسير سورة الأحزاب، ص ٦٢.

وتتمكن بها من الاسهام في إرساء قواعد المدنية، وتطوير المجتمع وعمارته، فلها أن تتعلم فروع العلم الذي يحقق ذلك كالطب والتمريض بفروعهما المختلفة وخاصة فيما يتعلق بطب النساء، كما لها أن تتعلم الهندسة التي تخدم المؤسسات التعليمية النسوية وغيرها من مؤسسات العمل الخاصة بالنساء، مثل هندسة الحاسب الآلي، والكهرباء، والميكانيكا، والتصاميم والديكور، وجميع الفروع التي تحتاجها وسائل واساليب التقنية الحديثة المستخدمة في هذه المؤسسات، وبذا تتوفر الكوادر النسائية المتخصصة في هذه المجالات مما يدعم استقلالية تعليم وعمل كل من الجنسين ويؤكد على ضرورة ذلك وموضوعيته.

وفي رأيي أن هناك قضية تعليمية لابد من أخذها في الاعتبار من حيث طبيعة المناهج التي تدرس للجنسين، فهي في الواقع متطابقة في معظم الدول الاسلامية، والمنطق يحتم أن تكون هناك سمات خاصة تبرز في مناهج كل من الجنسين بما يتلاءم مع طبيعة ونشاط كل منهما في الحياة، فهناك قضايا يجب التركيز عليها لارتباطها الشديد بحياة المرأة ينبغي أن تدركها كل دارسة مثل بعض احكام العبادات المتعلقة بالمرأة واحكام الحجاب وحدوده وتربية الأطفال، ومختلف الفنون المتعلقة بالمنزل، إضافة إلى العلوم الأخرى التي تنفعها في حياتها العامة، وألا تكتفي دراسة المعاملات والزكاة ومما ليس له بها صلة مباشرة. هذا فيما يتعلق بالمناهج الدراسية في المراحل ما قبل الجامعة، أما فيما يتعلق بالمرحلة الجامعية فقد أوصى المؤتمر العالمي الاول للتعليم الاسلامي بأن يراعي في تخصص المرأة في هذه المرحلة ما يناسب رسالتها مثل فروع الاقتصاد والعلوم

المنزلية والعلوم الطبيعية، والآداب والتربية، والعلوم الدينية والطب والخدمة الاجتماعية، مع ايجاد مدارس وكليات مساعدة لاعداد خبيرات المعامل وإعداد الاداريات وأمينات المكتبات، وتخريج الممرضات، وتجمع في جامعة اسلامية متكاملة خاصة بالطالبات(١). فعند ذلك سيكون مردود تعليم المرأة المسلمة ايجابيا يظهر جليا واضحا على افكارها وسلوكها واسرتها ومجتمعها، ومن ثم سيجني المجتمع المسلم خير الثمرات من براعم الاسلام الذين يتربون في احضان هؤلاء الأمهات المؤمنات المثقفات.

ثانيا: الاختلاط

أ- مقدمة:

يقصد بالاختلاط اجتماع النساء بالرجال من غير المحارم في مكان واحد بلا ضرورة، وبدون أن تلتزم المرأة فيه حدود الله التي فرضها عليها، ومع انتشار المدنية الحديثة والانفتاح على الغرب بدأت تظهر في المجتمعات الاسلامية بعض العادات الدخيلة على الاسلام ومنها الاختلاط بين الجنسين في مختلف الميادين، وما نتج عنه من فساد، وقد تصدى لهذه العادات الكثير من علماء المسلمين الغيورين على دينهم وعلى نسائهم، ومن هؤلاء المودودي، فقد حارب ظاهرة الاختلاط وانتقدها بشدة.

١- انظر: جامعة ام القرى: توصيات المؤتمرات التعليمية الاسلامية الأربع، ص ٩٢.

ب- مجالات الاختلاط:

أهم المجالات يتم فيها الاختلاط ووجهة نظر المودودي فيها:

(١) الاختلاط في المؤسسات التعليمية:

إن أخطر المجالات التي يتم فيها الاختلاط هي المدارس والمعاهد والجامعات، حيث تضم هذه المؤسسات أغلب أفراد المجتمع وأكثرها حساسية، فأفرادها هم الاطفال والشباب ركائز المستقبل وقادة المجتمع للاجيال القادمة، وقد حارب المودودي هذا النوع من الاختلاط؛ لما له من خطر على الأفراد والمجتمعات، بل على الحضارة نفسها، وحيث إن المجتمع الغربي كان له السبق في هذا المجال فقد جعله المودودي نموذجا للمجتمع الخليط، وخاصة المدارس بصفتها ركن من اركان ذلك المجتمع، موضحا أثر الاختلاط بين الطلبة والطالبات في تلك المدارس، فأسباب التهييج مقرونة بأسباب التسكين، فالهيجان العاطفي الذي كانت بدايته في عهد الطفولة يشتد في المدارس ويوفي على نهايته[١]، فالأدب الخليع الذي يطالعونه والقصص الغرامية والمجلات الداعرة والكتب الجنسية، أكثر ما يستهوي الطلبة والطالبات في تلك المرحلة، ومن آثار هذا الاختلاط ما ذكره المودودي عن القاضي الامريكي لندس من أن ٤٥٪ من فتيات المدارس يدنسن أعراضهن قبل خروجهن منها، وترتفع هذه النسبة في مراحل التعليم العالية[٢].

١- انظر: المودودي: الحجاب، ص ١١٤.

٢- انظر: المرجع السابق، ص ١١٥.

أما في الجامعات الأمريكية فالاختلاط بين الطلبة والطالبات مضافا إليه ما يدرس من الأدب الفاحش الذي يناقش قضايا الجنس بكل حرية وجرأة يقود إلى الانحراف؛ إذ تخرج الفتيات مع الفتية إلى حفلات البهجة الراقصة وهم جميعا يدخنون ويشربون[1]، وينتهي الأمر بتدنيس الاعراض وممارسة الزنا، وهذا ما عبرت عنه كاتبة انجليزية بقولها:

"على قدر كثرة الاختلاط تكون كثرة اولاد الزنا، وهنا البلاء العظيم على المرأة"[2].

ويأسف المودودي كثيرا على المسلمين الذين يبعثون بناتهم وحدهن في سن الشباب إلى أوربا وأمريكا لتحصيل العلم في المدارس والكليات المختلطة[3]، فتقليد الغرب في الاختلاط خاص في الجامعات والمدارس ليس إلا شبكة أعدها الشياطين لقتل العفة والشرف والفضيلة والبراءة التي فطرت عليها الفتيات وهذا ما يشهد به الواقع[4].

١- انظر: المودودي: الحجاب، ص ١١٥.

٢- محمد رشيد العويد: رسالة إلى حواء، ص ٧١.

وانظر: مصطفى السباعي: المرأة بين الفقه والقانون، ص ١٩.

٣- انظر: المودودي: مرجع سابق، ص ١٤٢-١٤٤.

انظر: المودودي: تفسير سورة الأحزاب، ص ٦٢.

٤- انظر: ناصر عبد الكريم العقل: التقليد والتبعية وأثرهما في كيان الأمة الاسلامية، ص١٥٤.

وما قاله المودودي تدعمه الحقائق المتعلقة بالواقع الذي تعيشه المجتمعات الغربية؛ إذ يبدو أن أمريكا بدأت تدرك أخطار الاختلاط بين الجنسين في التعليم فقد أصبح لديها مائة وثماني جامعة وكلية غير مختلطة(١).

كما اعترف عدد من الدول الأوربية بفشل سياسة التعليم المختلط، وبدأت تفكر في الأخطار الناجمة عن الاختلاط بين البنين والبنات وقد صرح بذلك وزير التعليم البريطاني كينث بيكر، وعضو لجنة التعليم بالبرلمان الألماني (البوند ستاج)(١)، بناء على النتائج التي أثبتتها مجموعة من الدراسات والأبحاث الميدانية التي أجريت في كل من ألمانيا الغربية وبريطانيا حديثا، ومن هذه النتائج:

١- انخفاض مستوى ذكاء الطلاب في المدارس المختلطة بعكس مدارس الجنس الواحد حيث يرتفع الذكاء بين طلابها.

٢- انتشار ظاهرة التلميذات الحوامل سفاحا وعمرهن اقل من ستة عشر عاما، رغم استخدامهن لحبوب منع الحمل.

٣- تزايد معدل الجرائم الجنسية والاعتداء على الفتيات بنسب كبيرة.

٤- انتشار الأمراض بين الطلبة والطالبات فقد قالت الدراسة أن هناك تلميذا مصابا بالايدز في كل مدرسة.

٥- ازدياد السلوك العدواني عند فتيات المدارس المختلطة.

١- توصيات المؤتمرات التعليمية الاسلامية العالمية الأربع، ص ٩٢.

٢- انظر: جريدة "المسلمون" العدد (١١٨) بتاريخ ١/٩/١٤٠٧هـ - ٩/٥/١٩٨٧م.

٦- اختلاط الطلبة والطالبات أدى إلى الغاء دافع المنافسة بينهم، في حين تشتعل روح المنافسة بين التلاميذ بعضهم البعض اوالتلميذات بعضهن البعض في المدارس المنفصلة.

٧- اشتعال الغيرة بين ابناء الجنس الواحد عند اختلاط الجنسين.

٨- أن تلاميذ وتلميذات المدارس المختلطة لا يتمتعون بقدرات ابداعية وهم محدودو المواهب، قليلو الهوايات، بعكس المدارس ذات الجنس الواحد.

٩- تلاميذ وتلميذات المدارس المختلطة يعجزون عن التعامل مع العالم الخارجي وانهم خجلون انطوائيون.

لذلك وبناء على هذه النتائج فمدارس اوربا الغربية تحاول اعادة النظر في المدارس المختلطة(١).

ورغم الأخطار الجسيمة التي نتجت عن الاختلاط في التعليم إلا أن مما يؤسف له أن كثيرا من الدول العربية والاسلامية لا زالت تطبق نظام التعليم المختلط.

(٢) الاختلاط في العمل:

يعتقد المودودي بأن عمل المرأة في الهيئات والمؤسسات المختلطة ليس إلا من نتائج تطبيق النظم الغربية على البلدان الشرقية(٢)، فقد وصلت الدول الغربية إلى حالة يرثى لها من

١- انظر: جريدة "المسلمون" العدد (١١٨) بتاريخ ١/٩/١٤٠٧هـ - ٩/٥/١٩٨٧م.

٢- انظر: المودودي: الحجاب، ص ١٤٢.

الفوضى الجنسية نتيجة تهافت النساء على الأشغال التجارية ووظائف المكاتب والحرف المختلفة التي تتيح لهن فرص الاختلاط بالرجال صباح مساء، مما حط من المستوى الخلقي لكلا الجنسين(١).

والواقع أن المودودي له موقف واحد ومحدد وهو عدم اجازة اختلاط الجنسين سواء في التعليم أو العمل وفي شتى ميادين الحياة، ورأيه هذا مستمد من حكم الاسلام في الاختلاط، فالاسلام من حيث المبدأ عدو للبيئة الخليطة بالرجال والنساء، ولا يرحب بهذه البيئة ولا يرضى بها أي نظام يهتم بتماسك الأسرة.(٢)

لقد أنكر المودودي الاختلاط بين الجنسين أشد الانكار، كما انتقد بشدة اختلاط المرأة بالرجال في ميادين العمل التي لا تليق بها مثل مجالس الحكم وضيافة المسافرين والعمل في المستشفيات المختلطة، وارتياد النوادي وتلقي التعليم في المدارس والكليات المختلطة وغيرها، لأنه لا يوجد أي مبرر لها لوضوح رأي الاسلام فيها(٣)، فموقف الاسلام واضح لا جدال فيه، ولكن ما القول في خروج لمرأة من بيتها لأداء العبادات التي أمرها الله بها، وهل لها أن تختلط بالرجال حينذاك؟ من حيث الصلاة فقد بيّن المودودي أن المرأة مأمورة بها كما أمر بها الرجال، بل أن الاسلام حث على حضور

١- انظر: المودودي: الحجاب، ص١٢٨.

٢- انظر: المودودي: الاسلام في مواجهة التحديات المعاصرة، ص ٢٦٤.

٣- انظر: المودودي: الحجاب ص ١٤٢، ٢٢٨. تفسير سورة الأحزاب، ص ٦٢، ١٥٠. وتفسير سورة النور، ص ١٧٦.

المساجد مع الجماعة، إلا أنه أمر النساء بعكس ما أمر به الرجال، فحيث أن أفضل صلاة للرجل هي صلاة الجماعة، فإن أفضل صلاة للمرأة هي صلاتها في أقصى مكان في بيتها، والحكمة من ذلك هو منع الاختلاط بين الجنسين في جماعة المسجد، إلا أنها لم تمنع من حضور المساجد(١). وقد وردت أحاديث كثيرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم تدل على ذلك:

"إذا استأذنكم نساؤكم بالليل إلى المسجد فأذنوا لهن"(٢).

وعنه صلى الله عليه وسلم:

"إذا استأذنت امرأة أحدكم إلى المسجد فلا يمنعها"(٣).

ففي هذين الحديثين دلالة على أن المرأة لم تمنع عن الصلاة في المساجد رغم أن صلاتها في بيتها أفضل، فالسماح للمرأة بالصلاة مع الجماعة في المساجد لا يجيز لها أن تختلط بالرجال، وقد وردت أحاديث كثيرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم تدل على ذلك:

"عن أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا سلم يمكث في مكانه يسيرا، قال ابن شهاب: فنرى والله أعلم لكي ينفذ من ينصرف من النساء"(٤).

١- انظر: المودودي: الحجاب، ص ٢٢٨،٢٢٩.

٢- البخاري: صحيح البخاري، ج (١)، ص ٢١٩.

٣- المرجع السابق، ج(٧)، ص ٤٩.

٤- المرجع السابق، ج(١)، ص ٢١٥.

"وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سلم قام النساء حين يقضي تسليمه وهو يمكث في مقامه يسيرا قبل أن يقوم، قالت: نرى والله أعلم أن ذلك كان لكي ينصرف النساء قبل أن يدركهن الرجال"[1].

وفي هذا دلالة على ضرورة تجنب النساء مخالطة الرجال عند الصلاة، كما أن تعيين صفوف النساء خلف صفوف الرجال يدل على وجوب فصل النساء عن الرجال عند اداء الصلاة مع الجماعة، وكما أن خير صفوف الرجال اولها فان خير صفوف النساء آخرها؛ وقد أورد المودودي شروط حضور النساء للمساجد التي أمر بها الاسلام وهي:

١- أن لا يحضرنها في النهار بل يشتركن في الصلوات التي تصلى في سواد الليل[2]، مستدلا بحديث عائشة رضي الله عنها قالت:

"كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي الصبح فينصرف النساء متلفعات بمروطهن ما يعرفن من الغلس"[3].

١- البخاري: صحيح البخاري، ج (١) ص ٢٢٠.

٢- انظر: المودودي: الحجاب، ص ٢٤٢.

٣- البخاري: مرجع سابق، ج(١)، ص ٢١٩.

٢- ألا يحضرن المسجد متزينات ولا متطيبات(١)؛ مستدلا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"أيما امرأة أصابت بخورا، فلا تشهد معنا العشاء الآخرة"(٢).

٣- أن لا تختلط النساء بالرجال في الجماعة، ولا يسبقن إلى الصفوف الأمامية بل يجب أن يقمن خلف صفوف الرجال؛ فقد قال صلى الله عليه وسلم:

"خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها"(٣).

وكان عليه الصلاة والسلام قد أمر في صلاة الجماعة أن يكون للنساء صفهن الخاص خلف الرجال حتى لو كانا زوجين أو أما وابنا.

"فعن أنس بن مالك قال: صليت أنا واليتيم في بيتنا خلف النبي صلى الله عليه وسلم وأمي أم سليم خلفنا"(٤).

٤- أن لا ترفع النساء أصواتهن في الصلاة، وأما إذا وجب تنبيه الامام في أثناء الصلاة فللرجال التسبيح ولهن التصفيق، فعن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

١- انظر: المودودي: المرجع السابق، ص ٢٤٢.

٢- مسلم بن الحجاج: الجامع الصحيح، ج(٢)، ص ٢٤.

٣- المرجع السابق، نفس الجزء، ص ٣٢.

٤- البخاري: صحيح البخاري، ج (١)، ص ١٨٥.

"التسبيح للرجال والتصفيق للنساء"(١).

أما في الحج وهو فرض على النساء كما هو على الرجال فقد أمرت النساء فيه بتجنب مخالطة الرجال في المطاف ما استطعن، وقد أخرج عطاء أن النساء كن يطفن بالبيت مع الرجال على عهد النبي بدون أن يخالطن الرجال أسوة بعائشة رضي الله عنها*.

أما عن خروج النساء للعيدين فقد أباح لهن الشارع ذلك مع الالتزام بسائر شروط حضورهن صلاة الجماعة، فعن أم عطية قالت:

"أمرنا أن نخرج العواتق وذوات الخدور

ويعتزلن الحيض المصلى"(٢).

وكان اجتماع النساء في العيدين مستقلا عن اجتماع الرجال ويدل على ذلك حديث ابن عباس قال:

"خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم

فطر أوْ أضحى فصلى ثم خطب ثم أتى النساء

فوعظهن وذكّرهن وأمرهن بالصدقة"(٣).

وبالنسبة لزيارة القبور واتباع الجنائز فقد ذكر المودودي أنها فرض كفاية في الاسلام، فقد حث على اتباع جنازة المسلم ولكن للرجال، أما المرأة فقد نهيت عنها بدون تشديد؛ عن أم عطية رضي الله عنها قالت:

---

* انظر الحديث كاملا في: صحيح البخاري، ج (٢)، باب طواف النساء مع الرجال، ص ١٨٧.

١- البخاري: صحيح البخاري، ج (١)، ص ٨٠.

٢- المرجع السابق، ج (٢)، ص ٢٦.

٣- المرجع السابق، نفس الجزء، ص ٢٦.

"نهينا عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا" (١).

أما زيارة القبور؛ فهي مكروهة للنساء إلا أنهن لم يمنعن منعا باتا؛ مراعاة لرقة قلوبهن؛ لذا لم يحب عليه الصلاة والسلام أن يكبتن عواطفهن وأحاسيسهن كبتا (٢)، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

"مر النبي صلى الله عليه وسلم بامرأة عند قبر وهي تبكي فقال: اتقي الله واصبري" (٣).

من العرض السابق يتضح حكم الاسلام في خروج المرأة للعبادة أوْ العيدين أوْ اتباع الجنائز وزيارة القبور، وهي مواقع مختلفة لاوضاع حياتية متعددة تكون النزعات الجنسية فيها إما معدومة أوْ يغلب عليها ماهو أزكى وأطهر منها، إلا أن الشرع لم يرض أن يختلط النساء بالرجال في أي موضع من المواضع أوْ المجامع والمناسك؛ لئلا يكون للفتنة أدنى مجال (٤)، تلك أحكام الله شرعها لعباده حفاظا على الأخلاق وعلى كيان الأمة المسلمة، فمنع اختلاط الرجال بالنساء في اماكن بعيدة عن الشبهة كالمساجد حريّ به أن يمنع في غير تلك الاماكن والمناسبات، فمنع الاختلاط في دور العلم والنوادي والمكاتب وغيرها من باب أولى.

١- البخاري: صحيح البخاري، ج (٢)، ص ٩٩.

٢- المودودي: الحجاب، ص ٢٤٦.

٣- البخاري: مرجع سابق، ص ٩٣.

٤- انظر: المودودي: مرجع سابق، ص ٢٤٧.

ج- نتائج الاختلاط:

دلت تجارب الأمم التي تمارس الاختلاط بين الجنسين أنها لم تجن إلا أسوأ النتائج، وان الاختلاط لا يحمد عقباه بحال من الاحوال فآثاره السيئة تعدت الأفراد إلى المجتمعات، بل لا أبالغ إذا قلت أنها من الاسباب التي قد تقضي على الأمم والحضارات، وقد بين المودودي النتائج التي وصلت اليها المجتمعات الغربية نتيجة ممارسة الاختلاط بين النساء والرجال عامة، واهمها:

١- زوال الحياء الفطري عند النساء، فالمدنية الحديثة في الغرب وما يمارس فيها من اختلاط علني بين الرجال والنساء في محافل الرقص والغناء والخمر وسواحل البحار والمسابح أدت إلى القضاء على هذا الحياء، وانتشار العري المشين، وبالتالي إلى كثرة الفواحش والأمراض(١).

٢- الاختلاط المطلق بين النساء والرجال وما يصاحب ذلك من لهو ومتعة جعل المرأة تحرص على ابراز جمالها للحصول على تلك اللذة(٢)، وهذا أدى إلى:

أ- الحرص على ابراز مفاتن الجسد، وبالتالي اللجوء إلى تحديد النسل أو وقف الانجاب، لأن انجاب الذرية في نظر اولئك يفقد المرأة الكثير من جمالها ورشاقتها، كما أن تربية الأبناء تشغلها عن التمتع بلذات الحياة.

١- انظر: المودودي: حركة تحديد النسل، ص ٢٦، الحجاب، ص ٢٥.

٢- انظر: المودودي: المرجع السابق، ص ١٢، الحجاب، وانظر: ص ٢٥.

ب- الحرص على ابراز الجمال والاهتمام بأناقة الملبس والهندام يتطلب أموالا طائلة تنفقها المرأة على نفسها من أجل الحصول على المظاهر التي تزينها في أعين الرجال.

٣- أدى الاختلاط في الغرب إلى الفوضى الجنسية وانحطاط المستوى الخلقي عند الرجال والنساء، وانتشار ظاهر اعتداء الرجال على النساء، كما أدى إلى اطلاق العلاقة الشهوانية بين الجنسين دون قيود(١)، وتؤيد الاحصاءات الرسمية وجهة نظر المودودي؛ ففي ألمانيا مثلا تغتصب امرأة كل ربع ساعة، أي ٢٥٠,٠٠٠* امرأة في السنة، وهذا العدد يمثل الحوادث المسجلة لدى الشرطة فقط، أما حوادث الاغتصاب غير المسجلة فتصل إلى خمسة أضعاف هذا الرقم(٢).

٤- أما بالنسبة للرجال فان الاختلاط وما يجدونه من المظاهر الخلابة من الجمال النسوي ما يزيدهم إلا شوقا وطموحا ونهما، فهم يطلبون لمزيد من السفور والتكشف، ويهيئون الأجواء التي تمكنهم اطفاء شهواتهم(٣).

٥- وحيث أن انتشار ظاهرة الاختلاط بين المسلمين هو احد نتائج تقليد الغرب وأخطرها، فقد أدى إلى هدم أخلاق شباب الامة الاسلامية وانتزاع الحياء والحشمة والشرف من فتياتها(٤).

١- انظر: المودودي: الحجاب، ص ١٢٨.

* لعل الرقم الصحيح هو ٣٥٠٤٠ على اساس ان العام الميلادي ٣٦٥ يوما.

٢- انظر: محمد رشيد العويد: رسالة إلى حواء، ص٩٨.

٣- انظر: المودودي: المرجع السابق، ص ٣٦.

٤- انظر: ناصر عبد الكريم العقل: التقليد والتبعية وأثرهما في كيان الأمة الاسلامية، ص ١٥٤.

وعن موضوع اختلاط المرأة بالرجال في العمل كتبت الانجليزية السيدة كوك قبل عشرات السنين في احدى الصحف:

"يا أيها الوالدان! لا يغرنكما دريهمات تكسبها بناتكن باشتغالهن في المعامل ونحوها، علموهن الابتعاد عن الرجال، أخبروهن بعاقبة الكيد الكامن لهن بالمرصاد، لقد دلتنا الاحصاءات على أن البلاء الناتج من حمل الزنا يعظم ويتفاقم، حيث يكثر اختلاط النساء بالرجال، ألم تروا أن أكثر أمهات أولاد الزنا من المشتغلات في المعامل، والخادمات في البيوت، وكثير من السيدات المعرضات للانظار... لقد أدت بنا هذه الحالة إلى حد من الدناءة لم يكن تصورها في الامكان... وهذا غاية الهبوط بالمدنية"(١).

ومثل هذه النماذج كثيرة شهد بها الغربيون على أنفسهم قبل أن نشهد بها نحن عليهم، ولكنهم لا يزالون يسيرون على طريقتهم، بل أن كثيرا من المجتمعات الاسلامية بدأت تحذو حذوهم وتتخذهم قدوة مخالفة بذلك توجيهات القرآن الكريم، وقد قال تعالى:

١- محمد رشيد العويد: رسالة إلى حواء، ص ٧١-٧٢.

﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾... الآية[١].

﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾..... الآية[٢].

من العرض السابق تبين لنا أن منع الاختلاط يحفظ للمرأة المسلمة الحياء الذي فطرت عليه، ويجعلها أكثر تركيزا خلال فترة تعليمها، وأكثر انتاجا خلال عملها الوظيفي، بحيث لا تصرف اهتمامها وفكرها في إبراز جمالها وزينتها وكل ما يجعلها في أعين الرجال، ومنع الاختلاط سيجعل الرجل أيضاً أكثر فعاليّة في مجتمعه، فالطالب سيكون اكثر حرصا على دراسته، والرجل أكثر عطاءا في عمله، وفصل بيئة النساء عن الرجال بصورة عامة يزيد في استقرار الأسرة وترابطها ويحفظها من عوامل الانحلال، كما أنه عامل مهم في حفظ أخلاق الشباب، وستكون النساء في بيئتهن أكثر حرصا على الحشمة والوقار وصيانة الشرف.

ونظرا لأهمية الدور التربوي الذي تقوم به المؤسسات التعليمية في تنشئة الأجيال، كان من الضروري أن يركز المسئولون عن التربية والتعليم في العالم الاسلامي على قضية اختلاط الجنسين في المدارس والكليات بعد أن اتضحت الاخطار الناجمة عن ذلك والتي جنتها المجتمعات الغربية حيث اباحت هذا النوع من الاختلاط، فلا بد

١- المائدة: ٥١.

٢- البقرة: ١٢٠.

من الاجتهاد في إقامة المؤسسات التعليمية على أساس الفصل بين الجنسين وذلك ما وصى به المؤتمرون في المؤتمر العالمي الأول للتعليم الاسلامي بأن يفصل بين الجنسين في العلم والعمل، وان يكون هذا الفصل من المبادئ الاساسية في كل مراحل التعليم؛ لأنه لا علاقة للاختلاط بالتقدم العلمي والتقني، وأنه ليس إلا مخطط صليبي لافساد المرأة[1]، وقد أثبت تطبيق هذا المبدأ النجاح الكبير في المملكة العربية السعودية على سبيل المثال، غير أن كثيرا من الدول الاسلامية تجعل تطبيق هذا الأمر مرهونا بامكاناتها المادية، وهذه ليست حجة يبطل بها شرع الله حيث إن الأمر مرتبط بقناعات القائمين على المؤسسات التعليمية وغيرها من مؤسسات وشركات العمل، فالامكانات المادية غالبا ما تنحصر في القدرة على توفير المباني المستقلة وكلفة هيئة التدريس المستقلة، اضافة إلى عدم توفر الشبكات التلفزيونية التعليمية في المدارس والجامعات، ولابد مبدئيا أن يوضع هدف تكوين المؤسسات التعليمية والعملية المستقلة لكلا الجنسين فهذا الأمر يساعد حتما على تخريج الأعداد المطلوبة من هيئة التدريس في المدارس والجامعات وكافة الكوادر العاملة في تلك المؤسسات، وذلك يمكن من تدعيم هذه الاستقلالية لكلا الجنسين، وفي نظري هناك خطوات أولية يمكن العمل بها، وتتلخص في:

١- انظر: جامعة أم القرى: توصيات المؤتمرات التعليمية الاسلامية العالمية الأربع، ص ٩٣.

أولا: الفصل بين الجنسين في المدرسة الواحدة بحيث تكون الفتيات في فصول مستقلة عن فصول الفتية، والفصل بين الجنسين في مدرجات الجامعة بحيث يكون لكل جنس مكان مخصص منفصل عن الآخر.

ثانيا: الفصل النهائي بين الجنسين في مدارس وجامعات منفصلة عند توفر هيئة التدريس لجميع تلك المدارس والجامعات.

ثالثا: الفصل بين الجنسين في هيئة التدريس بحيث يدرس الرجال في مدراس الطلاب وجامعاتهم، والنساء في مدارس الطالبات وجامعاتهن.

وهذه الخطوات وان كانت طويلة المدى فانها أفضل ما يمكن به تدارك الموقف في المجتمعات الاسلامية، ولابد مع ذلك أن تطبق هذه الخطوات في اجواء الالتزام بالحجاب والتحلي بالحياء والعفة والفضيلة. وكل ما يصلح للتعليم من هذه الجهة ينطبق على العمل، حيث السعي لايجاد الأجواء والبيئة الملائمة لعمل الجنسين بصورة مستقلة. وحيث أن أهم أهداف منع الاختلاط هو توفير الاجواء والبيئة النظيفة التي تحفظ عرض المسلم والمسلمة وعفتهما، فانه لا معنى من استقلالية كلا الجنسين في مجال التعليم والعمل مع الاحتيال بطرائق وأساليب منحرفة لممارسة كل ما يتعارض مع تحقيق هذا الهدف، لذلك فان تنفيذ هذه المبادئ لابد أن يسبقها طهارة النفس وقناعة العقل بوسائل التوجيه والتوعية والتربية الدينية والخلقية الصحيحة، ليمكن تطبيق المبادئ والنظم بما يحقق اهدافها ومراميها الربانية.

ثالثا: الحجاب* والسفور**

عالج المودودي في كتابه الحجاب مسألة الحجاب في المجتمعات الاسلامية، وبين موقف الأمم الاخرى قديمها وحديثها من المرأة وما أدى إليه الافراط والتفريط في مسألة المرأة، مالها وما عليها، وبيّن في كتابه مقصد القانون الاجتماعي الاسلامي فهو حفظ ضابط الزواج ومنع الفوضى الجنسية، ولذلك اتخذ الشارع تدابير ثلاثة، اولها اصلاح الاخلاق، والثاني الحدود والعقوبات، والثالث: التدابير الوقائية. ومن هذا المنطلق عالج المودودي مسألة الحجاب، مستندا في ذلك إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم خاصة تلك الآيات التي وردت صراحة في أحكام الحجاب في سورتي النور والأحزاب، ورأي الاسلام في ذلك.

---

* الحجاب لغة:

فهو الستر، حجب الشئ يحجبه حجبا وحجابا. وحجبه: ستره، وقد احتجب وتحجب إذا اكتن من وراء حجاب، وامرأة محجوبة: قد سترت بستر. انظر: ابن منظور: لسان العربي، ج (١)، مادة حجب، ص ٢٨٩.

** السفور لغة:

من معناه: سفرت المرأة وجهها: إذا كشفت النقاب عن وجهها، تسفر سفورا ومنه سفرت المرأة نقابها، تسفره سفورا فهي سافرة: جلتـه. انظر ابن منظور: لسان العربي، ج (٦)، مادة سفر، ص ٢٥.

يرى المودوي أن استخدام لفظ "التبرج*" للمرأة يكون على ثلاثة معان: الأول: أنها تري الناس جمال وجهها وجسدها. والثاني: أنها تظهر ما عليه لباسها وزينتها أمام الآخرين. والثالث: أنها تظهر نفسها وتلفت الانظار اليها بتميعها وتغنجها في القول والمشي والحركة(١). وقد بين المودوي أن نزعة المرأة في اظهار زينتها يكمن في مطاوي النفس الذي تظهر آثاره في زينة اللباس وتجميل الشعر وانتخاب الأزياء الرقيقة الجذابة، وما إلى ذلك من الجزئيات الخفيفة التي لا يمكن حصرها، وقد عبر القرآن عن كل ذلك بمصطلح جامع هو "تبرج الجاهلية"(٢). فالمقصود من تبرج الجاهلية: هو خروج النساء من الدور والبيوت متزينات مظهرات لجمال الوجه ومفاتن الجسد بارتداء الملابس الضيقة أوْ العاريسة ثم الخروج والمشي في تبختر وترقص وتمايل، فكل هذه طرائق وأساليب الجاهلية التي لا تصح في الاسلام ولا تنفع(٣).

---

* التبـــــــرج:

فهو اظهار المرأة زينتها ومحاسنها للرجال، وتبرجت المرأة أظهرت وجهها، واذا أبدت المراة محاسن جيدها ووجهها، قيل: تبرجت، وترى مع ذلك في عينيها حسن نظر. انظر ابن منظور: لسان العرب، ج (٢)، مادة (برج) ص ٢٢.

١- انظر: المودودي: تفسير سورة الأحزاب، ص٦٤.

٢- انظر: المودودي: الحجاب، ص٢٨٢.

٣- انظر: المودودي: تفسير سورة الأحزاب، ص ٦٥.

وقد ورد لفظ تبرج الجاهلية الاولى وأحكام الحجاب وعدم ابداء الزينة في القرآن الكريم، والتي سيأتي شرحها وحكمها في الصفحات التالية أن شاء الله.

يعتبر كتاب المودوي الحجاب دعوة خالصة إلى تأييد الحجاب والتمسك به، ونبذ السفور والتبرج الذي تأتيه نساء هذا العصر، وهو يخالف الذين يدّعون بأن هذا العصر عصر تقدم ورقي، وان الحجاب يقف في طريقه ويشل حركته، لذا فهم يرون ضرورة تخفيفه أوْ الغائه، فالمودودي يصر على التمسك به، ويوجه الناس إلى العناية بأمره خاصة في هذا العصر وفي مثل هذه الظروف الحرجة حيث انتشرت الفتنة والفساد، وانهارت القيم والأخلاق وانبهر المسلمون بالغرب، فالغاء الحجاب عنده معناه الخراب الكامل الشامل على الأخلاق وعلى النظام الاجتماعي(١)، ويؤكد على ذلك بقوله: "إن أوضاع بلادنا لاتطلب تخفيفا في الحجاب، بل هي تتطلب مزيدا من العناية بأمره"(٢).

ومن القضايا الأساسية التي أبرزها المودودي فيما يتعلق بحجاب المرأة: غض البصر، وحدود الزينة، وحكم الوجه والنقاب. وقد استدل بآية الحجاب في سورة النور، قال تعالى:

﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾... الآية(٣).

١- انظر: المودودي: الحجاب، ص٢٦٥.

٢- المرجع السابق، ص ٢٦٦.

٣- النور: ٣١.

فمعنى قوله تعالى {وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن} كما يفسره المودودي هو ان النساء لا يحل لهن أن ينظرن إلى الرجال عمداً، وأنه إذا وقع نظرهن عليهم فليصرفنه، وأن عليهن أن يجتنبن النظر إلى عورات الرجال والنساء إلا أن الشدة في نظر النساء إلى الرجال الاجانب ليست مثل الشدة في نظر الرجال إلى النساء الاجنبيات*، ومع ذلك فلا يصح أن تكرر النساء النظر إلى الرجال ويمتحن أنفسهن بحسنهم[1]. والحكمة من غض البصر هنا هو أن التلذذ برؤية جمال الأجنبيات وزينتهن مبعث الفتنة للرجال، كما أن الطموح بالبصر إلى الاجانب من الرجال هو مصدر الفتنة للنساء ومن هنا يصبح طبعاً وعادة، ولذلك كان أول ماسد من الابواب وهذا هو المراد بغض النظر عند المودودي فالمقصود من ذلك سد ذريعة الفتنة، ولذلك منع النظر الذي لا تدعو إليه حاجة ولا فيه للتمدن منفعة، بل فيه أسباب محركة لنزعات الشهوة في الانسان[2]. وقد خصص الله تعالى الاناث بقوله {وقل للمؤمنات} على طريق التأكيد، فقوله تعالى {قل للمؤمنين} يكفي لأنه قول عام يتناول الذكر والأنثى من المؤمنين، وقد بدأ بالغض قبل الفرج لأن البصر رائد القلب، كما أن الحمّى رائد الموت[3].

---

* المقصود بالاجنبيات، هن من غير المحارم.

١- انظر: المودودي: تفسير سورة النور، ص ١٥٤- ١٥٥.

٢- انظر: المودودي: الحجاب، ص ٢٠٥-٢٠٧.

٣- انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج (١٢)، ص ٢٢٦،٢٢٧.

والمعنى:

"وقل يامحمد للمؤمنات من أمتك يغضضن من
أبصارهن عما يكره الله النظر إليهِ مما
نهاكم عن النظر إليهِ"[1].

أما معنى الزينة التي وردت في الآية الكريمة فقد بيّن المودوي أنها تطلق على أشياء ثلاثة: (١) الملابس الجميلة (٢) الحلي (٣) ما تتزين به النساء عامة في رؤوسهن ووجوههن وغيرها من اعضاء أجسادهن، مما يعبر عنه في هذا الزمان بكلمة التجميل[2]، فهذه الاشياء الثلاثة هي الزينة التي امر النساء بعدم ابدائها للرجال إلا لمن استثنى الله منهم من المحارم في الآية الكريمة، اما الطبري فقد قسم زينة المرأة إلى زينتين احداهما ما خفي وذلك كالخلخال والسوارين والقرطين والقلائد، والأخرى ما ظهر منها. وفيها اقوال: فبعضهم يقول: أنها زينة الثياب الظاهرة مثل ابن مسعود وقال آخرون: الظاهر من الزينة التي ابيح لها أن تبديه: الكحل والخاتم والسواران والوجه والكفان، وقال آخرون: عنى به الوجه والثياب. ويرجح الطبري قول من قال، عنى بذلك الوجه والكفين ويدخل في ذلك إذا كان كذلك الكحل والخاتم والسوار والخضاب[3].

١- الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن، المجلد (٨)، ج (١٨)، ص ٩٢.

٢- انظر: المودودي: الحجاب، ص ١٧٥.

٣- انظر: الطبري: مرجع سابق، ص ٩٢-٩٤.

ومثل ذلك تفسير القرطبي وزاد: أن المرأة إذا كانت جميلة وخيف من وجهها وكفيها الفتنة فعليها ستر ذلك، واذا كانت عجوزا أوْ مقبّحة جاز لها أن تكشف وجهها وكفيها[1].

ولكن المودودي اختلف مع هؤلاء المفسرين في الزينة المستثناة -الظاهرة- فهو يرى أن النساء عليهن إلا يظهرن محاسن ملابسهن وحليهن ووجوههن وأيديهن وسائر أعضاء أجسادهن، واستثنى من هذا الحكم ما ظهر منها: أي ما كان ظاهرا لا يمكن اخفاؤه كالرداء الذي تجلل به النساء ملابسهن لكونه على بدن المرأة على كل حال، أوْ هو ظهر بدون قصد الاظهار -كأن يخف الرداء لهبوب الريح وتنكشف بعض الزينة مثلا-، فلا يجوز للنساء أن يتعمدن اظهار هذه الزينة[2].

وحجة المودودي في ذلك تستبين عند شرح معنى (ماظهر) فهو يفرق بين أن يظهر الشئ بنفسه وبين أن يظهره الانسان بقصد، وهذا الفرق واضح لا يكاد يخفى على أحد، والظاهر من الآية أن القرآن ينهى عن ابداء الزينة ويرخص في ما إذا ظهرت من غير قصد، فالتوسع في هذه الرخصة إلى حد "اظهارها عمدا" مخالف للقرآن؛ لذا فانه يعتقد بأن الامر بالحجاب كان شاملا للوجه وان النقاب كان جزءا من لباس النساء المسلمات إلا في الاحرام، ويفرق المودودي بين الحجاب

١- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج (١٢)، ص ٢٢٩.

٢- انظر: المودودي: تفسير سورة النور، ص ١٥٧.

وستر العورة للمرأة، فالعورة مالا يجوز كشفه حتى للمحارم من الرجال، واما الحجاب فهو شئ فوق ستر العورة وهو: ما حيل بين النساء والاجانب من الرجال، وموضوع البحث في هذه الآية هو الحجاب لا ستر العورة[1].

ويتفق المودودي مع شيخ الاسلام ابن تيمية في ماذهب اليه: فالزينة الباطنة عنده هي الزينة التي لا يجوز ابداؤها إلا للزوج والزينة الظاهرة على اختلاف آراء الفقهاء فيها يجوز ابداؤها لغير الزوج وذوي المحارم، فالوجه واليدان عند ابن تيمية مما لا يجوز النظر إليه من غير المحارم، مستدلا على أن النساء كنّ قبل الحجاب يخرجن بلا جلباب، يرى الرجل وجهها ويديها، وكان إذْ ذاك يجوز لها أن تظهر الوجه والكفين، وكان يجوز النظر اليها؛ لأنه يجوز لها اظهارها، ثم لما أنزل الله آية الحجاب بقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[2].

حجب النساء عن الرجال، والجلباب هو الملاءة أوْ الازار أوْ الرداء يغطي الرأس وسائر البدن فلا يظهر إلا العين، وقد كانت النساء ينتقبن بعد نزول آية الحجاب[3]،

١- انظر: المودودي: الحجاب، ص ١٥٧-١٥٨.

٢- الأحزاب: ٥٩.

٣- انظر: ابن تيمية: مجموع الفتاوى، المجلد (٢٢)، ص ١١٠،١١١.

أما من يستشهد بمنع المرأة من لبس النقاب والقفازين في الاحرام على اساس جواز اظهار الوجه والكفين عامة، فقد ذكر ابن تيمية أن المحرمة تغطي وجهها ويديها لانها كلها عورة ولكن بغير اللباس المصنوع بقدر العضو -يقصد النقاب والقفازين- كما أن الرجل لا يلبس السراويل ويلبس الازار[1]. أما قوله تعالى:

﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾

فالخمر: جمع الخمار، وهو ما تغطي به رأسها، ومنه اختمرت المرأة وتخمرت، فهو أمر بالاختمار، والجيوب جمع جيب، و "على جيوبهن" أي على صدورهن، والآية أمر من الله تعالى بليّ الخمار على الجيوب وهيئة ذلك أن تضرب المرأة بخمارها على جيبها لتستر صدرها[2]، فتستر النساء بذلك شعورهن واعناقهن وقرطهن[3]، وهذا ما ذكره المودودي في تفسير الآية فالمراد بضرب النساء بخمرهن على جيوبهن -عنده- أن يغطين رؤوسهن واعناقهن ونحورهن وصدورهن بكل ما فيها من زينة وحلي، على خلاف ما كانت عليه حال النساء في الجاهلية[4]

وقد سارع نساء المسلمين إلى تنفيذ أمر الله تعالى في تلك الآية، فعن عائشة رضي الله عنها قالت:

١- انظر: ابن تيمية: مجموع الفتاوى، المجلد (٢٢)، ص ١٢٠.

٢- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج (١٢)، ص ٢٣٠.

٣- الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن، المجلد (٨)، ج (١٨)، ص ٩٤.

٤- انظر: المودودي: تفسير سورة النور، ص ١٥٨.

"يرحم الله نساء المهاجرات الأول لما أنزل الله: ﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾ شققن مروطهن فاختمرن به"(١).

وعن صفية بنت شيبة:

"ان عائشة رضي الله عنها كانت تقول: لما نزلت هذه الآية ﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾ أخذن أزرهن فشققنها من قبل الحواشي فاختمرن بها"(٢).

أما فيما يتعلق بإبداء الزينة في قوله تعالى:

﴿ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن﴾

المقصود الزينة غير الظاهرة أي الخفية منها وذلك كالخلخال والقرط والدملج وما أمرت بتغطيته بخمارها من فوق الجيب وما وراء ما أبيح لها كشفه وابرازه في الصلاة وللأجنبيين من الناس والذراعين إلى فوق ذلك وقال ابن عباس في تفسير ﴿ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن﴾ إلى قوله ﴿عورات النساء﴾ قال: الزينة التي يبدينها لهؤلاء قرطاها وقلادتها وسوارها فأما خلخالاها ومعضداها

١- البخاري: صحيح البخاري، ج ٦، ص ١٢٦.

٢- المرجع السابق، نفس الجزء، نفس الصفحة.

ونحرها وشعرها فانه لاتبديه إلا لزوجها[1]، وقد ذكر الله تعالى الأزواج وبدأ بهم ثم ثنى بذوي المحارم وسوّى بينهم في ابداء الزينة، ولكن تختلف مراتبهم بحسب ما في نفوس البشر. فكشف الاب والأخ على المرأة أحوط من كشف ولد زوجها، وتختلف مراتب ما يبدى لهم، فيبدى للأب ما لا يجوز ابداؤه لولد الزوج[2]، وبعد ذكر المحارم في الآية الكريمة مما يجوز للمرأة أن تبدي لهم زينتها ذكر الله تعالى (نسائهن) ويرجح المودوي الرأي الذي يقول بأن المراد بنسائهن: النساء المختصات بهن بالصحبة والخدمة والتعارف سواء كن مسلمات اوغير مسلمات، وان الغرض من الآية أن تخرج من دائرة النساء الاجنبيات اللاتي لا يعرف عن أخلاقهن وآدابهن وعاداتهن، أوْ تكون أحوالهن الظاهرة مشتبهة لا يوثق لها ولو كن مسلمات[3]، وتفسير المودودي لمعنى (نسائهن) السابق لا يوافق ما ذهب إليه بعض المفسرين من أن المقصود بهن: نساء المسلمين ومنهن الاماء المؤمنات[4]، كما أن للنساء أن يبدين زينتهن لما ملكت ايمانهن

١- الطبري: جامع البيان في فسير القرآن، المجلد (٨)، ج (١٨)، ص ٩٢.

٢- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج (١٢)، ص ٢٣٢.

٣- المودودي: تفسير سورة النور، ص ١٦٥، ١٦٦.

٤- انظر: القرطبي: مصدر سابق، ج (١٢)، ص ٢٣٣.

وانظر: الطبري: مصدر سابق، نفس المجلد، نفس الجزء، ص ٩٥.

قيل مماليكهن، وبعضهم قال مما ملكت أيمانهن من اماء المشركين[١].
وهذا ما ذكره المودودي في تفسير معنى {أوْ ما ملكت أيمانهن}[٢]، وللنساء ابداء الزينة للتابعين غير أولي الاربة فهذا تصريح بان المرأة لا يجوز لها أن تظهر زينتها لرجل من غير محارمها وملك يمينها إلا أن يكون متصفا بصفتين:

اولا : أن يكون تابعا كالخادم والأجير الذي ليس بكفء لها.

ثانيا: أن يكون من غير اولي الاربة، والمراد بالاربة الاشتهاء للنساء[٣].

وهذا المعنى قريب لما جاء في كتب التفسير؛ فقد ذكر الطبري أن التابعين غير أولي الإربة من الرجال: هم الذين يتبعونكم لطعام يأكلونه عندكم ممن لا ارب له في النساء من الرجال ولا حاجة به اليهن[٤]، أوْ ما ذكره القرطبي بأنه ممن لا فهم له ولاهمة ينتبه بها الى أمر النساء[٥]، وممن يجوز للمرأة ابداء زينتها لهم: الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء وهم الأطفال الذين لا يثير فيهم جسم المرأة وحركاتها وسكناتها شعورا بالجنس، أما الأطفال الذين

١- انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج (١٢)، ص ٢٢٣-٢٢٤.
وانظر: الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن، المجلد (٨)، ج (١٨)، ص ٩٥.

٢- انظر: المودودي: تفسير سورة النور، ص ١٦٧.

٣ - المودودي: مرجع سابق، ص ١٦٨.

٤- الطبري: مرجع سابق، نفس المجلد، نفس الجزء، ص ٩٥.

٥- القرطبي: مرجع سابق، نفس الجزء، ص ٤٢٣.

ينطبق فيهم هذا الوصف فلا تبدي لهم المرأة زينتها حتى ولو لم يبلغوا الحلم[١]. واختلف المفسرون في صفة هؤلاء الأطفال مع ما ذهب إليه المودودي، فالأطفال الذين لم يظهروا على عورات النساء هم الذين لم يكشفوا عن عوراتهن بجماعهن فيظهروا عليها لصغرهن، وقيل لم يبلغوا أن يطيقوا النساء[٢]، فالآية الكريمة السابقة تبين من يجوز للمرأة ابداء زينتها لهم، فلا يجوز بعد ذلك أن تخلع الحجاب وتخالط الرجال في المجالس بعد أن اتضح الأمر لها، وبين المودودي الحكمة في ذلك بقوله: أن مقصود الشرع من الآية هو تحديد ابداء النساء لزينتهن في حلقة لا يخشى فيها أن تبعث زينتها وجمالها عواطف سوء في القلوب أوْ تهيّ أسبابا للفوضى الجنسية[٣].

ويدخل في حكم ابداء الزينة سماع صوت الزينة كأن تضرب المرأةبرجلها إذا مشت لتسمع صوت خلخالها؛ فسماع هذه الزينة أشد تحريكا للشهوة من ابدائها[٤]، والمودودي يوسع في هذا المعنى فلا يقتصر الحكم على صوت الحلي فقط، بل أخذ منه قاعدة كلية، هي أن كل فعل من أفعال المرأة إذا كان يثير حواس الرجال ومشاعرهم

١- انظر: المودودي: تفسير سورة النور، ص ١٦٩.

٢- انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج (١٢) ص ٢٢٦.

وانظر: الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن، المجلد (٨)، ج (١٨)، ص ٩٧.

٣- انظر: المودودي: مرجع سابق، ص ٢١٥.

٤- انظر: القرطبي: مرجع سابق، نفس الجزء، ص ٢٢٨،٢٢٧.

-اسماعهم وأبصارهم فقط- ينافي الغاية التي لأجلها نهي النساء عن اظهار زينتهن، ومن ذلك خروج النساء متعطرات متطيبات[1].

اضافة إلى آية الحجاب في سورة النور، فقد ورد الأمر بالحجاب في آية أخرى في سورة الأحزاب، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾[2].

والمقصود بالآية صراحة أن تتغطى النساء تماما ويلففن أنفسهن بجلابيبهن ثم يسدلن عليهن من فوق بعضها منها أوْ طرفها، وهو ما يعرف عامة باسم النقاب[3]، وهذا قريب للمعنى الذي أورده بعض المفسرين للآية الكريمة فمنهم من قال: يقصد بالآية أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب ويبدين عينا واحدة، وقال آخرون: بل أمرن أن يشددن جلابيبهن على جباههن[4]،

١- انظر: المودودي: تفسير سورة النور، ص ١٧٠.

٢- الأحزاب: ٥٩.

٣- انظر: المودودي: تفسير سورة الأحزاب، ص ١٦٢.

٤- انظر: الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن، المجلد (١٨)، ج (٢٢)، ص ٢٣.

وقال آخرون: أن الجلباب هو الثوب الذي يستر جميع البدن، وقيل أنه القناع، وصورة ارخائه أن تلويه المرأة حتى لا يظهر منها إلا عين واحدة تبصر بها[1]، وهذا التفسير في نظر المودودي يقصد به النقاب الذي قد اقترحه القرآن من حيث حقيقته ومعناه وان لم يصطلح عليه لفظا[2]، ذلك النقاب الذي يعده الغرب عنوانا للظلم والوحشية وضيق الفكر، ومن الخطأ في نظر المودودي أن تفسر أحكام الاسلام بوجهة نظر الغرب؛ لأن مقاييس الغرب للأشياء مختلف عن مقاييس الاسلام وتقويمها كل الاختلاف[3]، لذلك فان من الخطأ كل الخطأ أن تعمد النساء المسلمات إلى تقليد الغرب في أفكارهم وسلوكهم، فمقاصد الشريعة الاسلامية وأحكامها واضحة لا تجيز للنساء بعد ذلك أن يخرجن سافرات متبرجات أمام الرجال، ويؤكد المودودي ذلك بقوله:

> "إن أكثر مايؤثر في نفس المرء من امرئ آخر هو وجهه، فالجمال الطبيعي الذي وضعه الله في وجه الانسان هو اكثر ما يستهوي الناظر، وهو أكبر عامل للتحريك الجنسي"[4].

١- انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج (١٤)، ص ٢٢٤.

٢- انظر: المودودي: الحجاب، ص ٢٢٦.

٣- انظر: المرجع السابق، ص ٢٢٨.

٤- المرجع السابق، ص ٢٣٠.

ورغم ذلك فالاسلام دين سمح فقد أجيز للنساء أن يكشفن عن وجوههن عند الضرورة، بشرط أن لا يقصد بذلك اظهار الجمال بل يكون المقصود قضاء الحاجة وحده، وسد بعد ذلك باب الفتنة من قبل الرجال بأن أمروا بغض أبصارهم. وبعد أن ذكر المودودي احكام الحجاب التي وردت في الآيتين الكريمتين يدعو إلى التمعن فيهما، فلا بد أن يتبين لكل قارئ بعد ذلك:

"إن الحجاب الاسلامي ليس بشيْ من باب التقاليد الجاهلية، بل هو قانون عقلي ومنطقي، إذْ أن التقليد الجاهلي يكون جامدا لا مرونة فيه ابدا"[1].

ويحذر من التهاون في الحجاب الذي قد لا تظهر آثاره مباشرة في هذا الجيل، ذلك ان اخطاره ستظهر بلا شك في جيل لاحق، وستصل المجتمعات التي تتهاون في أمره إلى النتائج التي وصلت إليها أوربا وأمريكا بعد ثلاثة أو أربع أجيال[2]، من دعوتها إلى مساواة المرأة بالرجل، وبما سمّي بحركة تحرير المرأة، والتي ظهرت مع مطلع القرن العشرين[3]، حتى وصلت المرأة الغربية إلى الحال التي هي عليه اليوم والتي لا تسر عاقل؛ لذا أرى من الضروري أن ينال موضوع حجاب المرأة المسلمة والتزامها بالحشمة والوقار مزيدا من العناية، فالأسرة المسلمة متمثلة في الزوجين لها الدور الأساسي في ترسيخ المفاهيم والقيم الاسلامية لدى الأبناء، وبالتالي

١- المودودي: الحجاب، ص ٢٢٠.

٢- انظر: المرجع السابق، ص ١٤٧.

٣- انظر: المرجع السابق، ص ٨٥.

بكل ما أمر الله به، فالزوج يتحمل جزءا من المسئولية تجاه زوجه وبناته فهو مأمور بحثهن على التقيد بالحجاب الاسلامي وتشجيعهن على ذلك، والأم نظرا لدورها الأساسي في تنشئة ابنائها منذ الصغر، فعلى عاتقها تقع مسئولية كبيرة تجاه بناتها فهي القدوة التي يقتدي بها، والتي باستطاعتها أن تحبب بناتها في الحجاب وتزينه في نفوسهن وتجعلهن ممن يلتزم بشرع الله. ومن البيت تنتقل الفتاة إلى المدرسة المحيط الأوسع تتشرب منه المزيد من القيم والسلوكيات، فالمدرسة عليها أن تكمل ما بدأت بناء الأسرة المسلمة تجاه تشكيل اتجاهات الطالبات نحو الحجاب، كما ان عليها أن تصحح المفاهيم الخاطئة التي قد تكتسبها بعض الطالبات من أسرهن، وذلك يتمثل في المعلمات اللواتي يفترض أن يكنّ قدوة صالحة للطالبات إذْ كيف يمكن أن تحث المعلمة طالباتها بشيْ لا تؤمن به ولم تلتزم به، فلا بد أن يؤخذ في الاعتبار اختيار المعلمات المسلمات ذوات الكفاءة الملتزمات بشرع الله فكرا وسلوكا؛ ليتحقق الهدف الأساسي من تعليمهن، ومن المعلمة إلى المنهج، فلا بد من معرفة موقف المناهج الدراسية التي تدرس للطالبات من الحجاب والسفور، إذْ لا يمكن أن تمر قضية حيوية كهذه خلال مناهج دراسية لمراحل متعددة دون أن يشار إلى موقف الاسلام منها، حيث أن هذه المناهج لها دور أساسي في تشكيل اتجاهات الطالبات ومن ثم سلوكهن، فتركيز مناهج الطالبات على مثل هذه القضايا يجب أن يبدأ في المراحل الأولية، وفي مراحل متقدمة تناقش قضية سفور المرأة وتحريرها مع الطالبات لتتعرف المعلمة على وجهات نظر الطالبات تجاه هذه القضية، ومن ثم توجههن الوجهة الصحيحة بالارشاد والاقناع بزيف هذه القضية والهدف من ورائها،

وتدليهن المعلمة على الرأي الصواب حول ذلك مستشهدة بالكتاب والسنة والتاريخ الاسلامي، وواقع المجتمعات الغربية التي تبنت هذه القضية ونادت بتحرير المرأة وسفورها وما آل إليه حالهم. والواقع أن مناقشة قضية الحجاب والسفور بصورة علمية يجب أن تؤخذ في عين الاعتبار لأن المرأة المسلمة اليوم أصبحت هدف أعداء الاسلام يريدون الوصول اليها بطرائق عديدة وملتوية للقضاء عليها وتسخيرها لخدمة أغراضهم وأهدافهم التي تنتهي بالقضاء على الاسلام وأمة الاسلام، وهم بذلك ينشرون وسائل التبرج وأدوات الزينة بأنواعها لفتنة المرأة واشغالها بها، لذا لابد من تضافر جهود الاسرة والمدرسة متمثلة في الأم والمعلمة والمنهج في تكوين اتجاهات الطالبات نحو استخدام أدوات الزينة من منطلق اسلامي وعلمي، فلا بد أن تتعرف الطالبات على رأي الاسلام حول ذلك والاشارة إلى ما توصل إليه العلماء من أبحاث حول تلك المواد الكيماوية التي تملأ الأسواق وتتهافت على شرائها النساء لتطلى بها الوجوه والأجساد.

لقد بين المودودي ما فهمه من موقف الاسلام من الحجاب والسفور مستدلا بآيات صريحة واضحة لا مجال للنقاش فيها، كما أوضح حدود الزينة وحكم ابدائها، ودعا إلى الالتزام بما جاء به الشرع حول ذلك، وهذا ما يجب أن تفعله المدرسة أيضاً. وبناء على ما سبق لا بد من محاربة المؤسسات التي تبيح السفور وتتهاون في الحجاب وتوجيه النقد اليها.

رابعا: عمل المرأة

مع بداية هذا القرن ظهرت موجة حادة تحمل شعارات تدعو في ظاهرها إلى تحرير المرأة ومساواتها بالرجل، وتصف المرأة بأنها

نصف المجتمع العاطل، المسجون بين جدران البيت، النصف الذي لا يشارك في نشاط المجتمع وازدهاره، النصف المسلوب الحرية، الذي دفنت مواهبه وقدراته في اعمال المنزل وادارة شئونه التافهة كل ذلك من أجل اخراج المرأة المسلمة من بيتها ومن بين ابنائها لتشارك الرجل في وظيفته وعمله ولتسهم بعد ذلك في رقي الأمة والنهوض بالمجتمع -على حد زعمهم-* وقد حارب هذه الفكرة كل عالم ملتزم بالاسلام يغار على عقدته ودينه، وكان أبو الأعلى المودودي أحد هؤلاء، فقد وضح رأيه بصراحة في عمل المرأة وعارض بشدة عملها في الحكومات ومناصب الدولة على اساس تحقيق المساواة بينهما(١)، ووضح المكان الملائم والصحيح لعمل المرأة، فواجب المرأة في نظر المودودي هو تدبير المنزل بما يكسبه الزوج من عمله، وايجاد جوّ أسري عن طريق تهيئة اسباب الراحة والسعادة لأفراد اسرتها(٢)، لذلك أمرت المرأة في الاسلام بالا تخرج من بيتها دون حاجة، فقد أعفيت من مسؤولية ما هو خارج البيت من الشئون، وتركت للرجل؛ لتتفرغ لبيتها وأولادها. إن الاسلام لم يمنع المرأة من الخروج من بيتها، بل اذن لها عند احتياجها لذلك:

---

* ومن هؤلاء هدى شعراوي وقاسم امين الذي الف في ذلك كتابين هما، المرأة الجديدة وتحرير المرأة، كما كتب آخرون في هذا الموضوع في الدول الاسلامية والغربية بل أن بعض الصحف والمجلات -وللأسف الشديد- لاتزال تنادي بذلك يسايرها في ذلك وسائل الاعلام المرئية والمسموعة.

١- انظر: المودودي: تدوين الدستور الاسلامي، ص ٧٧.

٢- انظر: المودودي: مبادئ الاسلام، ص ١٧٥.

"قال صلى الله عليه وسلم: قد أذن لكن أن تخرجن لحوائجكن"[1].

والاسلام اراد افهام المرأة حقيقة أن البيت هو الدائرة الحقيقية لواجباتها، فعليها ألّا تصرف ذكاءها وقوتها وموهبتها إلا فيما يصلح من شأن البيت ويفيد أفراد الاسرة[2]، هذا رأي المودودي مستدلا فيه بقوله تعالى:

{وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ}... الآية[3].

فقرن هنا كما نقل المودودي عن بعض علماء اللغة أنه من القرار، والبعض ذكر أنه من الوقار، فان كان من القرار فالمعنى إلزمن بيوتكن، وان كان من الوقار فالمعنى عشن في بيوتكن في سكينة وحلم ورزانة[4]، فالآية في نظر المودودي تعني في الحالتين أن البيت هو دائرة عمل المرأة الاصلية وعليها أن تلزم هذه الدائرة وتؤدي واجباتها في سكينة ووقار ولا تخرج إلا لقضاء حاجة ملحة[5].

١- انظر: البخاري: صحيح البخاري، ج ٧، ص ٤٩.

٢- انظر: المودودي: مبادئ الاسلام، ص ١٧٦.

٣- انظر: الأحزاب: ٣٣.

٤- انظر: المودودي: تفسير سورة الاحزاب، ص ٦٢.

٥- انظر: المرجع السابق، ص ٦٢.

واكد المودودي على مساواة الرجل والمرأة في انسانيتهما: قال تعالى:

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ انّي لاَ اضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ اوْ انْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾..... الآية[١].

إلا أنه لا يمكن المساواة بينهما في نوعية العمل لاختلافهما في نظامهما الجسدي وخصائصهما النفسية، إضافة إلى اختلافهما في قوتهما ومقدرتهما الجسدية[٢]، وهذه الاختلافات قد أكدتها الدراسات العلمية، وقد افرد المودودي فصلا كاملا في كتابه الحجاب موضحا فيه الاختلاف بين المرأة والرجل في كل شئ ابتداء من الصورة والاعضاء الخارجية وحتى الخلايا النسيجية لكل منهما، وبداية الاختلاف تكون منذ حصول التكوين الجنسي في الجنسين فهيكل المرأة ونظام جسدها يركب كله تركيبا تستعد به لولادة الولد وتربيته، وخلال فترة محيضها تتاثر كل أعضائها وجوارحها بذلك بدلالة علم الأحياء والتشريح، التي تدني المرأة الصحيحة إلى حالة المرض بحيث يستحيل التمييز بين صحتها ومرضها[٣]، ويستشهد المودودي بنتائج ابحاث علماء الغرب ومنها على سبيل المثال أن الحائض تقترب من الجنون وليس من الغريب أن تنتحر في حيضها، ومعظم الجرائم التي ترتكبها النساء يرتكبنها في حالة المحيض، كما أنها خلال هذه الفترة تفقد السيطرة على ارادتها ويتعطل حكمها واختيارها[٤].

١- آل عمران:١٩٥.

٢- انظر: المودودي: الحجاب، ص ٢٠١.

٣- انظر: المرجع السابق، ص ٢٠٢-٢٠٨.

٤- انظر: المرجع السابق، ص ٢٠٧.

والوضع لا يقتصر على حالة المرأة في محيضها بل أيضاً في فترة حملها حيث يختل مجموعها العصبي على اشهر متعددة فيتأثر بذلك مزاجها وافكارها وشعورها، ليس هذا وحسب بل أن لشهر الاخير من الحمل لا يصح فيه تكليف المرأة أي جهد بدني أوْ عقلي هذا ما ذكره المودودي نقلاً عن علماء الغرب(١).

والمودودي عندما يستشهد بالاحصائيات التي اجرتها دوائر البحث وعلمائه في الغرب فانه يأتي بها على سبيل التأكيد واقامة الحجة على من ينسبون انفسهم للعلمية والعقلانية، فهؤلاء لا تثبت لديهم البراهين إلا بكل مشاهد ومحسوس من نتاج الأبحاث والدراسات، وبالتالي فهو يدرك أن ما ورد من هذه الدراسات لا ينطبق بالضرورة على البيئة والمجتمعات الاسلامية والنساء المسلمات، فوازع الايمان يحول بصورة أوْ باخرى بين المسلمة وبين ارتكاب الحماقات بتأثير تغيّر النشاط الهرموني الكيميائي في الجسم بفعل الحيض أوْ الحمل والولادة، ثم أن المظاهر تتفاوت في التأثير والقوة بين امرأة واخرى، فلن تظهر جميعها في امرأة واحدة وبنفس القوة والشدة، انما هي احصائية لمجموع ما يظهر على عموم النساء، وهذه المظاهر والعوارض تأكيد واضح على ما يتبع الفروق العضوية والاختلافات بين الرجل والمرأة، ولاتملك المرأة تداركه أوْ تغييره أن ارادت ذلك، لأنها حقائق تتعلق بالتغيّر اللاإرادي داخل الجسم والأعضاء ذات التحكم اللاإرادي من غدد وما اليها. وبالنسبة للمرأة في شهورها الاخيرة لايرفع عنها الاسلام التكليف لان حقوق الله يجب أن تؤدى كاملة ولكن الله يسرلها الأمور ولا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها.

١- انظر: المودودي: الحجاب، ص ٢٠٨-٢٠٩.

وبعد الوضع تبقى المرأة عدة اسابيع حتى تعود إلى حالتها الطبيعية نوعا ما، أما فترة الرضاعة فلا تحيا المرأة فيها لنفسها بل يشاركها في ذلك وليدها الذي استودعه الله اياها يشاركها طعامها وشرابها الذي تتناوله[1].

والقرآن الكريم يذكر لنا ما تعانيه المرأة من تعب ومشقة خلال فترة حملها ووضعها ورضاعة طفلها، قال تعالى:

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلإنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾[2].

ومعنى وهنا على وهن: أي حملته امه ضعفا على ضعف وشدة على شدة[3]، وقال آخرون: حملته في بطنها وهي تزداد كل يوم ضعفا على ضعف، وقيل: المرأة ضعيفة الخلقة ثم يضعفها الحمل[4]. وقال تعالى:

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلإنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً﴾..... الآية[5].

١- انظر: المودودي: الحجاب، ص ٢٠٩.

٢- لقمان: ١٤.

٣- انظر: الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن، المجلد (٨)، ج (٢١)، ص ٤٤.

٤- انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج(١٤)، ص ٦٤.

٥- الأحقاف: ١٥.

وحملته أمه كرها أي حملته في بطنها مشقة ووضعته مشقة[١]. وعن الرضاعة قال تعالى:

﴿وَٱلْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾... الآية[٢].

وهذه الآيات كلها تؤكد ما تتحمله الأم من مشقة في حملها لوليدها ووضعه وارضاعه ولا يتوقف الأمر على ذلك بل أنها تستمر في حضانته ورعايته وتربيته لسنوات عديدة. ونظرا لانشغال المرأة بنفسها وبصحتها خلال فترات محيضها وعند حملها وحضانة وليدها وتربيته يقول المودودي:

"يستطيع كل ذي عقل سليم أن يفهم أن الرجل والمرأة، وان فرض انهما متكافئان في القوة الجسدية، والاستعداد الذهني، فلم تحمل الفطرة عليهما مع ذلك واجبات متساوية، وذلك أن الرجل لم يجعل عليه من خدمة بقاء النوع غير أن يلقي بذره في الحرث، ثم يروح لسبيله حتى يعمل فيما يشاء من شعب الحياة، أما المرأة -بخلاف ذلك- قد حملت معظم أعباء تلك الخدمة[٣].

١- انظر: الطبري: المرجع السابق، المجلد (٩)، ج (٢٦)، ص ١١.

٢- البقرة: ٢٣٣.

٣- المودودي: الحجاب، ص ٢١١.

ومن عدم الانصاف عنده أن يطلب من المرأة أن تقوم بواجباتها الفطرية من حمل ورضاعة ورعاية ثم تخرج من البيت كالرجال لتعاني مشقة الكسب وتكون معهم على قدم المساواة في القيام بأعمال السياسة والقضاء والصناعات والمهن التي لم تخلق إلا للرجال، ليس هذا فحسب بل أنها تطالب بعد ذلك أن تغشى المحافل والنوادي لامتاع الرجال، أن مطالبة المرأة بكل هذا ظلم لها وليس انصافا، فالصنف الذي كلفته الفطرة أعباء جساما، لا يكلف من اعمال التمدن إلا ما هو خفيف المحمل، اما الصنف الذي لم تكلفه الفطرة شيئا عظيما، يحمل عليه من واجبات التمدن ما هو أهم وأثقل وأدعى للجهد والتعب، ويكون أيضاً قواما على الاسرة يرعاها ويربيها. إضافة إلى أن المرأة ليست أهلا كل الأهلية للقيام بواجبات الرجل(١)

وهذه نقطة جوهرية ركز عليها المودودي من حيث طبيعة العمل فيما يتوافق مع التركيب والمسئوليات التي حملها الله لكل من الرجل والمرأة فهو لا يعارض أصلا عمل المرأة، انما يناقش مبدأ مساواة المرأة بالرجل في ممارسة اعمال موحدة لاتتناسب في طبيعتها مع المرأة بناء على الدراسات والتجارب، اضافة إلى واقع المرأة الملموس، ومدى صلاحيتها للقيام بالأعمال التي اوجدت أصلا للفئة القوية من المجتمع وهم فئة الرجال، ومن النتائج التي ذكرها المودودي عند تقليد النساء أعمال الرجال:

---

١ - انظر: المودودي: الحجاب،ص ٢١٢.

١- انهيار الحياة الأسرية التي تتحمل معظم تبعاتها المرأة، واذا لم تكن هذه هي النتيجة فان المرأة ستتحمل اعباء مضاعفه، حيث تقوم بواجباتها الفطرية التي لا يستطيع الرجل أن يشاركها فيها، اضافة إلى تحملها بعض أعمال الرجال[١].

٢- مضرة ذلك على نفسها حيث تفسد خصائص المرأة ومزاياها الأنثوية، فهي لا تنسلخ من أنوثتها تماما، ولا تدخل في الرجولة تماما*، وتبوء بالفشل في دائرة نشاطها الأصلية.

٣- مضرتها على المجتمع، وذلك بوضع عمالا غير أكفاء -وهم النساء- بدلا من العمال الأكفاء -وهم الرجال[٢].

وقد ثبت رسميا في مصر أن النساء الشاغلات لمختلف المناصب قد أثبتت - في الغالب- عدم جدارتهن فيما يقمن به من الأعمال، وقدرتهن على العمل لا تشكل اكثر من ٥٥٪ من قدرة الرجال، إضافة إلى عدم حفظ اسرار العمل عند النساء[٣]، وتؤكد احصائيات أخرى ذلك، فمعظم ما يحدث في بلاد الغرب من حوادث الجاسوسية يكون عن طريق النساء.

١- انظر: المودودي: الاسلام في مواجهة التحديات المعاصرة، ص ٢٦٤.

* اطلق بعضهم على هذا النوع من النساء مسمى: الجنس الثالث.

انظر: محمد علي البار: عمل المرأة في الميزان، ص ١٢٢-١٢٧.

٢- انظر: المرجع السابق، ص ٢٦٥.

٣- انظر: المودودي: الاسلام في مواجهة التحديات المعاصرة، ص ٢٦٥-٢٦٦.

ومعظم الراغبات في الطلاق في فرنسا من اللواتي يمارسن الأعمال والمهن[1]، اضافة إلى ذلك فان اشراك المرأة بالعمل مع الرجال يتيح لها فرصة الاختلاط والخلوة، وكان من نتائج ذلك كما يشهد بذلك واقع الغرب كثرة حوادث الاغتصاب والاعتداء على الموظفات من قبل المدراء غالباً، ويضم ذلك الشرطيات أيضاً حيث تتعرض اكثر من نصفهن للاعتداء الجنسي من رؤسائهن[2].

ميادين عمل المرأة:

وضح المودودي رأيه القاطع في مسالة مساواة المرأة مع الرجال في أعمالهم، فالمرأة مكان عملها الاساسي هو البيت والقيام على خدمته ورعايته، ولكنه اكد أن الاسلام لم يمنعها من الخروج من بيتها والعمل خارجه بعد أداء واجباتها الأساسية، فلها أن تسهم في خدمة مجتمعها بأن تعمل في مؤسسات خاصة بالنساء كالتدريس في مدارس وكليات البنات والعمل في المستشفيات النسائية[4]، شريطة أن تلتزم بأحكام الاسلام وآدابه وتتجنب السفور والتبرج والاختلاط. ومن الاعمال التي يرى ضرورتها لكل امرأة مسلمة، هو الدعوة إلى الله، فقد ركز على المرأة الداعية، ووضح

١- انظر: محمد رشيد العويد: رسالة إلى حواء، ص ٦٦.

٢- انظر: محمد علي البار: عمل المرأة في الميزان، ص ١٧١-١٨٧.

٣- انظر: المودودي: الاسلام في مواجهة التحديات المعاصرة ص ٩٥.

أهمية دورها في المجتمع وما يجب عليها لمن حولها من اهلها واولادها وأقاربها[١]، والمرأة المتعلمة عليها تبليغ علم الدين لمن حولها من النساء في اوقات فراغها فتعلم الصغيرات مبادئ الاسلام وتعاليمه، وتلقن الأميات ممن حولها العلم، كما أن عليها أن تقدم الكتب النافعة للنساء المثقفات[٢]. وعلى المؤمنات واجب الوقوف في وجه التيار الجارف الذي يدعو إلى الضلال والانحلال الفكري الخلقي بكل الوسائل. وعليهن أن يصرحن بكل جراءة بعدم استعداد المرأة المسلمة للخروج من حدود الله[٣]، والتاريخ الاسلامي يشهد بدور المرأة وقدرتها على العمل، فبالاضافة إلى نجاحها في رعاية اسرتها فقد اشتهرت العديد من النساء المسلمات في مجالات مختلفة كالطب والفقه والشعر والجهاد في سبيل الله وغيره، فمن الفقيهات اشتهرت امهات المؤمنين رضي الله عنهن وخاصة عائشة رضي الله عنها زوج رسول الله، ومن الفقيهات العالمات الأديبات سكينة بنت الحسين، وممن اشتهرت بالطب في عهد بني أمية زينب طبيبة بني أود كانت طبيبة عيون ناجحة، ومن طبيبات الأندلس أخت أبي بكر بن زهر وابنتها اللتان كانتا تعالجان نساء المنصور وأهله، واشتهرت ام الحسن الطنجاني بالشعر وحفظ القرآن الكريم والطب[٤]، وفي عهد

١- انظر: المودودي: تذكرة دعاة الاسلام، ص ٩٤.

٢- انظر: المرجع السابق، ص ٩٥.

٣- انظر: المرجع السابق، ص ٩٦.

٤- انظر: محمد علي البار، عمل المرأة في الميزان، ص ٢٠٩-٢١٠.

رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيح للنساء أن يشاركن الرجال في خدمات الحرب بما يتناسب مع طبيعتهن كسقي المجاهدين، طبخ الطعام، ومداواة المرضى، وحين ذاك يخفف من حدود الحجاب ولا ينزع[1]. فقد وردت احاديث عن جهاد النساء وبيّن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جهاد النساء هو حجهن:

"فعن عائشة رضي الله عنها قالت: استأذنت النبي صلى الله عليه وسلم في الجهاد فقال جهادكن الحج"[2]

ويستدل المودودي بجواز خروج المرأة للجهاد في عهده صلى الله عليه وسلم بالعديد من الأحاديث الشريفة؛ فقد طلبت امرأة من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يجعلها ممن يركبون البحر في سبيل الله، فقال: "اللهم اجعلها منهم"[3]، وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج للغزو أقرع بين نسائه فأيتهن يخرج سهمها خرج بها[4]، فكانت النساء تحمل القرب لتسقي المجاهدين ومنهن عائشة وأم سليم رضي الله عنهاوأم سليط من نساء الأنصار[5].

١- انظر: المودودي: الحجاب، ص ٢٤٨.

٢- البخاري: صحيح البخاري، ج ٤، ص ٢٩.

٣- المرجع السابق، نفس الجزء، ص ٢٩

٤- انظر: المرجع السابق، نفس الجزء، ص ٤٠.

٥- المرجع السابق، نفس الجزء، ص ٤٠. وانظر: الجامع الصحيح: ج ٢، ص ١٨٥.

"وعن الرُّبَيِّع بنت معوذ قالت: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم نسقي ونداوي الجرحى ونرد القتلى إلى المدينة"(١).

"وعنها قالت: كنا نغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم فنسقي القوم ونخدمهم ونرد الجرحى والقتلى إلى المدينة"(٢).

وهكذا يتضح أن الاسلام وضع كلا من الرجل والمرأة في مكانه الملائم وطالب كلا منهما بما يلائم طبيعته، فعمل المرأة في اعمال الرجال له اضراره.

ووضح المودودي مكانة كل من الرجل والمرأة في المجتمع بقوله:

"ان الحياة والحضارة حاجتهما إلى الغلظة والشدة والصلابة، كمثل حاجتها إلى الرقة واللين والمرونة، وافتقارهما إلى القواد البارعين والساسة والاداريين الحازمين كافتقارهما إلى الأمهات المربيات والزوجات الوفيات والنساء الصنع المدبرات، فأيما واحدة من هاتين الطبيقتين اسقطتها اهملتها، جرّت على التمدن في كل حال الضرر والخسارة"(٣).

١- البخاري: صحيح البخاري، ج ٤، ص ٤١.

٢- المرجع السابق، ص ٤١.

٣- المودودي: الحجاب، ص ٢١٥-٢١٦.

إن عمل المرأة مرتبط بتعليمها وبفروع العلم الذي تعلمتها، وقد أشار المودودي في مبحث تعليم المرأة إلى أن فرص العلم متاحة لها في جميع فروع المعرفة وفق ضوابط وغايات معينة. واذا كان من الواجب أن يختلف تعليم المرأة عن تعليم الرجل فان ذلك فيما أرى لا ينطبق حتما على نوعية برنامج التخصص كمّا وكيفا لأن هناك علوما وأعمالا يشترك فيها النساء والرجال ولابد أن تُدرس وفق برنامج تخصصي واحد مثل الطب بفروعه والهندسة والادارة أيضاً وغيرها من العلوم والأعمال التي ينبغي توفير متخصصات مؤهلات فيها. فتغيير برنامج التخصص كما وكيفا يؤثر حتما على مستوى الأداء الوظيفي للمرأة في العمل وذلك مالا ينبغي أن يحدث؛ لذلك فان التغيير يمكن أن يكون في عناصر المنهاج الدراسي، فحين يهتم المنهاج عند الطلاب بالتدريب العسكري والرياضي بأنواعه، فان المنهاج عند الطالبات يركز على تعليمهن المهارات المنزلية لاعدادهن المستقبلي، وهذه الأمر ينبغي أن يؤكد عليه في مراحل التعليم العامة على وجه الخصوص، أما مراحل التخصص العليا فانها تخضع لاعتبارات القدرات والاستعدادات التي تؤهل بعض النساء لاكمال تخصصاتهن في فروع العلم المختلفة منها ما سبق الاشارة إليه، بعد الحصول على قدر كاف من الاعداد للمهمة المستقبلية في المراحل العامة. وعلى كل حال يجب أن تُراعى حدود الله خلال اعداد المراة للعمل وعند اتاحة الفرصة لها لتعمل.

خامسا: الآداب التي يجب أن تتحلى بها المرأة

الحياء - العفة - حسن معاشرة الزوج

من العرض السابق لآراء المودودي حول قضايا التعليم والاختلاط

والحجاب والعمل يتضح أن المودودي يركز على تطبيق شرع الله والعمل به فالمرأة مأمورة بغض البصر، وحفظ الفرج، وعدم ابداء الزينة للأجانب والابتعاد عن التبرج الذي لا داعي له وعليها الاحتجاب من الاجانب وعند حديث المرأة إلى الرجل عند الحاجة عليها أن تبتعد عن الخضوع والليونة والنعومة فلا تتعمد أن تحرك احاسيس سامعها وتستثير عواطفه فتشجعه فيطمع ويتجرأ(١)، قال تعالى:

﴿إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾.....الآية(٢).

فكل الآداب التي امرت المرأة المسلمة بها تهدف إلى المحافظة على عفافها وكرامتها وهي متى تهاونت فيها عرضت سمعتها وعفتها وكرامتها للانحطاط والفساد.

والحياء في نظر المودودي:

"ذلك الشعور من الخجل الذي يشعر به الانسان في نفسه امام فطرته وامام الله تعالى حين يميل إلى منكر"(٣).

وقد قال عليه الصلاة والسلام:

"الحياء من الايمان"(٤).

١- انظر: المودودي: تفسير سورة الأحزاب، ص ٦١.

٢- الأحزاب: ٣٢.

٣- المودودي: الحجاب، ص ٢٧٩.

٤- البخاري: صحيح البخاري، ج ١، ص ١٢.

وهو شعبة من الايمان على كل مسلم أن يتحلى به، فالمرأة المسلمة حين تطيع الله فتنفذ أوامره تطمع في رضاه سبحانه وتعالى وتخشى عذابه، وبالتالي فحياؤها يمنعها من ارتكاب المعاصي التي تخدش ايمانها وعفتها. كما أمر المرأة والرجل على السواء بحسن المعاشرة، وقد اهتم المودودي بعلاقة الزوجين وأثر ذلك على الأسرة ومما قاله:

"ان قانون الزواج هو أهم قانون من قوانين المجتمع، وهو اكثرها اتساعا واوسعها تأثيرا... فالحق أن العلاقة الزوجية بين المرء وزوجه هي حجر الزاوية في المجتمع الانساني وحضارته، وليس في مقدور أي فرد -رجلا كان ام امرأة- أن يخرج عن دائرة نفوذ هذا القانون الذي خصص لضبط هذه العلاقة"(١).

وانطلاقا من أهمية العلاقة بين الزوجين افرد المودودي لهذا الموضوع كتابا مستقلا بيّن فيه الأمور التي تتعلق بالزواج والزوجين* فأول أهداف الزواج في الاسلام هو حماية الاخلاق وصون العفاف لكل من الرجل والمرأة وذلك عن طريق الاحصان، قال تعالى،

﴿فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلاَ مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾..... الآية(٢).

١- المودودي: حقوق الزوجين، ص ١٠.

* وهو كتاب حقوق الزوجين، كان قد نشر في سلسلة مقالات في مجلة ترجمان القرآن.

٢- النساء: ٢٥.

والغرض الثاني من الزواج في نظر المودودي: هو أن تكون العلاقة الزوجية بين شطري النوع البشري قائمة على اساس المودة والرحمة، قال تعالى:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أن خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أنفُسِكُمْ أزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إن فِيْ ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُوْنَ﴾(١).

وقد أوضح المودودي واجبات وحقوق كل من الزوجين نحو الآخر كما جاء في كتاب الله الكريم وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، هذا في دائرة الحياة الزوجية، أما خارجها فقد حارب المودودي كل ماهن شانه أن يهدم ما بناه نظام الاسلام، فقد حارب بشدة ما يسمى بالأدب الجديد الذي له أثر كبير في تربية العقول، فهذا الأدب يدعو في مضمونه إلى هتك الفضيلة والآداب الاسلامية عن طريق نظريات خلقية ابتدعها الغرب وأخذها المسلمون المتأثرون بهم واخذوا ينشرونها في بعض المجلات والكتب والتي يتداولها الطلبة والطالبات(٢)، فيتأثرن بها فتبعدهم عن آدابهم وأخلاقهم الاسلامية شيئا فشيئا حيث تزين لهم الفاحشة وتهون من امرها وتدلهم إلى طريقها، وقد ذكر المودوي امثلة من هذا الأدب الاردي مثل قصة "الندامة" وقصة "أخو الزوج" وهي قصص تربي العقل وتغذ، بما يتناسب مع النظام الغربي للحياة من الجهة الفكرية الخلقية. وعنايتهم في ذلك مصروفة إلى المرأة على وجه خاص لكي لا يترك فيها أثر للحياء(٣).

١- الروم: ٢١

٢- انظر: المودودي: الحجاب، ص ١٢٤.

٣- انظر: المرجع السابق، ص ١٤١.

والآداب التي يجب أن تتحلى بها المرأة في رأي المودودي لا تستقيم في سلوك المرأة وأخلاقها إلا بتربية أولية وهذه التربية في نظري تهتم بما يلي:

أولا: ترسيخ المفاهيم والمبادئ الاسلامية في النفوس منذ الصغر لكل من الرجل والمرأة، فيغرس في نفسيهما أن الهدف الأول من هذه الحياة هو اقامة العبودية لله في الأرض ومن ثم فان مظاهر الحياة والكون بعده تحقق هذه الغاية، ومن هذه المظاهر الاختلاف بين الجنسين ليتم التزاوج بينهما حفظا للنسل الانساني الذي سيحقق هذه العبودية بالخلافة في الارض. ومن هنا تصبح طبيعة العلاقة محددة في اطار ما شرعه الله، فليس هناك انتهاك للحرمات أو انطلاق جامح للشهوات والغرائز.

ثانيا: يترتب على ما سبق أن يستقر في نفس الرجال المحافظة على كرامة المرأة وعفتها وعدم استدراجها لمهاوي الرذيلة، كما يستقر في نفوس النساء الحفاظ على حياتهن وعفتهن وكرامتهن، فلا تبرج أو خضوع وميوعة في القول وما اليهما من مظاهر منافية للأدب للفت انظار الرجال اليهن واستمالتهم.

ثالثا: وفي صميم العلاقة الشرعيةبين الرجل والمرأة؛ فان حسن معاشرة الزوجين احدهما للآخر مترتبة على الاسس والاهداف التي ترمي لتحقيقها هذه العلاقة فيكون اختيار الزوجين لبعضهما البعض وفق اسس بينة تقوم على افضلية الدين والتقوى، عند ذلك سيسعى كل منهما إلى اقامة حدود الله بينهما بهدف تحقيق غاية الخلق والوجود الانساني، وعند وقوع المحاذير بعد أخذ الاحتياطات من حسن الاختيار والوعي بطبيعة هذه العلاقة وهدفها، فان الصبر يكون ميزان العلاقة وركيزتها ويصبح طلب الجزاء الأخروي مدعم الاساليب حسن العشرة من كلا الطرفين أو احدهما، واذا استحال بقاء الحال على ما هو عليه فان الاسلام وضع الحل الأخير وهو الانفصال.

وعلى الرغم من أن المنزل يعنى بترسيخ التربية السابقة عن طريق التوجيه والقدوة في محيط الاسرة، إلا أن المنهاج الدراسي له دور كبير في عرض السلوكيات السليمة للفتاة المسلمة والاسرة المسلمة مدعما بامثلة تاريخية من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ممثلا في سلوك الصحابيات المسلمات الأوائل مع تركيزه على الاهتمام بارساء قواعد وأصول الدين في نفوس الطلبة والطالبات لتمكنه من قبول التوجيهات والتشريعات بالتسليم والطاعة وتوجيههم الى أنه خير للفرد والانسانية جمعاء لتوفير البيئة الصالحة في اجواء العفاف والفضيلة والالتزام.

الفصل الثالث

تربية المرأة عند طه حسين

اولا : تعليم المرأة

ثانيا : الاختلاط

ثالثا : الحجاب والسفور

رابعا : عمل المرأة

خامسا : الآداب التي يجب أن تتحلى بها المرأة

(الحياء - العفة - حسن معاشرة الزوج)

أولا: تعليم المرأة

مقدمة:

تناول طه حسين خلال حياته دراسة ومناقشة العديد من الموضوعات مثل السيرة والتاريخ، والادب، والتربية، والفن والشعر، والترجمة، وغير ذلك من الموضوعات التي الف عنها كتبا أوْ نشر عنها مقالات في الصحف والمجلات، هذا وقد أعيد نشر معظم مقالاته في كتب، مثل المقالات التي نشرها في جريدة كوكب الشرق، إذْ قام بجمعها محمد السيد كيلاني في كتب مثل: حديث المساء، وغرابيل، وتجديد.

ومن خلال كتاباته تلك يتضح للباحث تصورات طه حسين حول المرأة، سواء ذكر رأيه فيها صراحة أوْ ضمنا، فقد أشار طه حسين منذ بداية حياته إلى ضرورة تربية المرأة والعناية بأمرها ففي مقالة له نشرتها مجلة الهداية عام ١٣٢٩هـ - ١٩١١م يقول:

"إذا عني الرجال في هذه الأيام بمسألة المرأة، فانما يعنون بمسألتهم قبل كل شئ، إذْ كان ما ينالهم وينال أنسالهم من هوى ورقي نتيجة لازمة لما يكون عليه حال المرأة من صلاح وفساد، كيف لا والمرأة هي قالب النوع الانساني يفرغه الله فيه، ويصوغه على مثاله تحمل وليده نسما، وترضعه شفعا، وتربيه طفلا، وتؤدبه يافعا، غلاما وكهلا"(١).

---

١ - محمد سيد كيلاني: طه حسين الشاعر الكاتب، ص ١٢٥.

وهو هنا يقر حقيقة هامة: هي أثر المرأة في رقي الامة أو انحطاطها، فهي الام المربية والمؤدبة، والمرشدة، فالعناية بأمرها عناية بجيل كامل ولا شك، وإهمالها أيضاً إهمال لذلك الجيل، لذا وجب على الرجال أن يعتنوا بها قبل كل شئ حتى تصلح ويصلح الأجيال من بعدها، وهذا ما تركز عليه التربية الاسلامية.

فالاسلام لم يهمل المرأة في اية مرحلة من مراحل حياتها فقد وجب العناية بها وهي طفلة، قال صلى الله عليه وسلم :

"ايما رجل كانت عنده وليدة، فعلمها فاحسن تعليمها، وأدبها فاحسن تاديبها، ثم اعتقها وتزوجها فله اجران..." الحديث.(١)

كما وجبت العناية بها زوجة، قال صلى الله عليه وسلم :

"خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي"(٢)

كما وجبت العناية بها أما، قال تعالى:

﴿ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير﴾(٣).

وهكذا يتضح أن العديد من الآيات والاحاديث والشواهد تدل على ذلك.

١- البخاري: صحيح البخاري، ج ٧، ص ٧.

٢- ابن ماجه: سنن ابن ماجه، ج ١، ص ٦٠٩.

٣- لقمان آية: ١٤.

الدعوة إلى تعليم المرأة:

إن احساس طه حسين بأهمية المرأة في المجتمع ودورها الحيوي في نهوضه ورقيه، جعله يدعو إلى وجوب تعليمها وفتح المدارس لها، وهو يعلم أن الاسلام دعا إلى ذلك وأوجبه يقول:

"أباح الاسلام للمرأة أن تخرج من منزلها
فتغشى مجالس العلم ومساجد العبادة ومواضع
الرياضة في غير ما فتنة ولا فسوق"(١)

وهو يقر هنا بوجوب الابتعاد عن الفتنة ومواضعها وطرائق الفسوق، والمتتبع لرأيه حول هذا الامر يرى أنه شجع على تعليم الفتاة إلا أنه نسي أو تناسى جانب الحذر من الفتنة والفسوق، حيث الاختلاط بين الجنسين في دور العلم والتبرج والسفور في مجالس العلم التي ذكرها، كما يصور اعجابه بالفتاة المتعلمة التي تناقش الرجال وتحاورهم، وها هو يعبر عن شعوره عند لقائه بفتاة من ذلك النوع:

"... لقيت ذات يوم تلك الفتاة التي كان
الناس يتحدثون عنها فيكثرون الحديث، لا
لأنها كانت جميلة فاتنة، ولا لأنها جذابة
وخلابة، ولكن لأنها كانت طامحة ملحة في
الطموح، ظفرت لاول مرة بالشهادة الثانوية،
وكانت اول فتاة ظفرت بها وهي نبوية
موسى". (٢)

وقبل أن يلقى تلك الفتاة لم يكن قد رأى في بيئته الريفية التي عاش فيها فتاة مثلها، فلم يلق من سيدات تلك البيئة القارئة

١- محمد سيد كيلاني: طه حسين الشاعر الكاتب، ص ١٢٨.

٢- طه حسين : الأيام، ص ٢٧.

الكاتبة التي تحاور الرجال وتقابلهم وتشتد في خصامهم -حسب رأيه-، وقد تجاهل أن تلك البيئة الريفية هي التي ربته في طفولته وعنت بامره حتى بعد أن غادرها ، تجاهل والدته واخواته اللاتي عنين بامره لمجرد أنه لم ير فيهن المتعلمة التي تحسن القراءة والكتابة ومحاورة الرجال ومناقشتهم.

وينطلق طه حسين في رايه حول ضرورة تعلم المرأة على اساس المساواة بينها وبين الرجل فيقول:

"إذا كان التعليم خيرا فهو خير بالقياس
إلى الفتاة وهوخير بالقياس إلى الفتى
واذا كان التلعيم شرا فهو شر لهما جميعا،
واباحة التعليم لأحدهما وحظره على الآخر
تحكم شنيع قد عصمنا الله من التورط فيه
فنحن نعلم الفتيات والفتيان كل فروع العلم
وان كانت معاهد وكليات لم تتسع للفتيات
بعد ولكنها ستتسع لهن غدا أوْ بعد غد".(١)

ونحن لانشك في أن التعليم خير للفتاة وللفتى على السواء وان لكليهما حق التعليم ولكن الاختلاف هو في نوعية التعليم وتخصصه، فالرجل يحتاج إلى نوع من التعليم يكفل له مهنة بعد ذلك يعول بها اسرته وابناءه وينفع بها مجتمعه أيضاً، فالمجتمع بحاجة إلى الطبيب والمهندس والكهربائي كما يحتاج إلى النجار والسباك والمحاسب والقاضي والمعلم والتاجر، أيضاً المجتمع بحاجة إلى الطبيبة والمدرسة والممرضة.

١- محمود أبو زيد عثمان: "رد على مقالة: خريجات الجامعة لايصلحن زوجات" مقالة نشرت في: النذير. العدد(٢) من السنة الخامسة- ٢٦ محرم ١٣٦١هـ. ص ١-٢.

فالاسلام لا يحظر على المرأة العمل أو التعليم، بل أنه يرى وجود علم مشترك بين الرجل والمرأة كل بحسب سنه، وهو العلم بالدين ولكن هذا لا يعني تطابق المنهاج حتى في المجال الواحد الذي يتخصص فيه الرجال والنساء على حد سواء، فالمرأة تحتاج إلى تربية نسوية تعدها لوظيفتها وتعلمها ما تحتاج إليه هذه الوظيفة من ادارة شؤون المنزل ورعاية الاطفال والطرائق المثلى لتربيتهم، ولها بعد ذلك أن تتعلم ما تجد في نفسها قابلية له وقدرة عليه شريطة أن لا تصرفها هذه الدراسة نفسيا وعقليا عن وظيفتها الرئيسية التي ينبغي أن تعد من اجلها.

وقبل كل شئ لابد من توفر المُدرّسة المسلمة التي تعطي القدوة بزيها واخلاقها وفكرها وسمتها الاسلامية وروحها الاسلامية[1]. ولكن يبدو أن طه حسين لاياخذ بهذا المنهج عند الحديث عن تعليم المرأة، فقد جاء في مقال كتبه حول صلاحية خريجات الجامعة لتكوين اسر أوضح فيه حاجة المرأة إلى تعليم كامل كالرجل وليس إلى تعليم محدود تتخصص بعده لحياتها الزوجية والأمومة، يقول ما نصه:

"ومن الناس من يظن أن الفتاة يجب أن تتعلم إلى حد ما، وان تتخصص بعد ذلك لحياة البيت لتكون زوجا وأما ومشرفة على امور الدار كأن حياة البيت لا تعتمد إلا على الجهل المطلق أو على العلم الناقص وما عسى هؤلاء لو قيل لهم إن الفتى يجب أن

١- انظر: محمد قطب: منهج التربية الاسلامية، ج ٢،ص ٢١٧.

يتعلم تعليما محدودا وان يخصص بعد ذلك
لحياة البيت ليصبح زوجا وابا وشريكا في
تدبير الدار، ليتحقق التناسب بين الزوجين،
تناسب في العلم المحدود وتناسب في الجهل
وتناسب في اتقان شئون الأسرة وفي اتقان
شئون الاصومة"(١)

وانا لا أعتقد أن تعليم المرأة تلك العلوم التي تؤهلها للنجاح والاستقرار في حياتها الزوجية وفي نجاحها في العناية بامر اطفالها وبيتها وتفهم حقيقة مهمتها الاساسية هو علم ناقص لان ذلك هو ما تحتاجه المرأة بالفعل، اضافة إلى علوم دينها التي تنير لها الطريق، فتربيتها على هذا النحو لاتعني بالضرورة حرمانها من تعلم فروع العلم التي تناسب طبيعتها وترغب في دراستها، لكن تباين بعض تخصصات النساء والرجال لايعني علو احدهما على الآخر بلا ان للمرأة تكون لها الاولوية في امور كثيرة أمر بها الاسلام كالبر بالوالدين فقد قدمت المرأة على الرجل في كثير من المواضع في القرآن الكريم أو في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم فرعاية المرأة لبيتها وشؤون زوجها واطفالها اسمى واعلى الوظائف مقاما لآثارها القوية على المجتمع، واذا كان المجتمع بحاجة إلى المرأة العاملة في نطاق مهمتها الاساسية وحدودها الشرعية كتعلم الفتيات أو تمريض النساء وتوليدهن وغيرها فلها ان تدرس بعد ذلك علوما تنفعها في هذا المجال مراعية حدود الله، وهذه المجالات إذا تخصصت فيها فئة من

١- محمود أبو زيد عثمان: "رد على مقالة: خريجات الجامعة لايصلحن زوجات" مقالة نشرت في: النذير. العدد(٢) من السنة الخامسة- ٢٦ محرم ١٣٦١هـ. ص ١-٢.

الناس سقطت عن الاخريات، إلا أن طه حسين يرى أن العلم بحد ذاته خير لها وحسب دون أن يوجهها إلىماينفعها، وذلك عندما يقول: "فلتتعلم الفتاة في الجامعة وفي الازهر وفيما شاءت من معاهد العلم على اختلافه فلن نجني من هذا كله إلا خيرا".(١)

وانا ارى أن نتائج هذا العلم واساليبه والطرق إليه هي التي تحدد ما إذا كان هذا خيرا ام لا، فالعلم لايطلب لذاته، ومعنى هذا أن الحكم على فائدة العلم يعتمد على معايير خارجة عن العلم ذاته.

لقد اتاح طه حسين فرصة اكبر لقبول الطالبات في مدارس البنات الابتدائية والشانوية ومدارس المعلمات الأوليه فحين كان وزيرا للمعارف (وزارة التربية والتعليم حاليا) عام ١٢٦٩هـ ١٩٥٠م سجلت الاحصائيات فرقا كبيرا في عدد المقبولات بين تلك السنة والتي قبلها(٢)، وهذا أمر طيب إلا أن مما يؤخذ عليه في سياسته التربوية هو ميله إلى تكوين المدارس ونظام التعليم تكوينا اوربيا، يقول:

"والتعليم عندنا على أي نحو قد اقمنا صروحه ووضعنا مناهجه وبرامجه منذ القرن الماضي؟ على النحو الأوربي الخالص، مافي ذلك شك ولا نزاع فنحن نكون ابناءنا في مدارسنا الأولية والشانوية والعالية تكوينا اوربيا لا تشوبه شائبة".(٣)

١- محمود أبو زيد عثمان: "رد على مقالة: خريجات الجامعة لايصلحن زوجات" مقالة نشرت في: النذير. العدد (٢) من السنة الخامسة- ٢٦ محرم ١٣٦١هـ. ص ١-٢.

٢- انظر: محمد أبو الحسن: طه حسين وديمقراطية التعليم، ص ٨١-٨٢.

٣- طه حسين: المجموعة الكاملة لمؤلفات الدكتور طه حسين، المجلد التاسع، ص ٤٦-٤٧.

ويقـــــول:

"اننا في هذا العصر الحديث نريد أن نتصل باوربا اتصالا يزداد قوة من يوم إلى يوم حتى نصبح جزءا منها لفظا ومعنى وحقيقة وشكلا". (١)

ولا شك أن من مميزات هذا التكوين لنظام التعليم والاتصال بأوربا بهذا الشكل هو الاختلاط بين البنين والبنات، وفصل تعاليم الدين الاسلامي عن التعليم والحياة، وهذا مالا يرضاه الله ولا عباده المتقون، وقد ثبت في اوربا وامريكا ممن تطبق النظم التعليمية سوء نتائج ذلك التطبيق*

دور طه حسين في دخول الفتاة الجامعة:

لا شك أن طه حسين لعب دورا كبيرا في تسهيل عملية انضمام الفتاة المصرية للجامعة مع الطلبة، فقد فتحت الجامعة المصرية في عهده ابوابها للفتيات لتلقي التعليم الجامعي، وقد شجع ذلك ودعى إليهِ بمساعدة احمد لطفي السيد الذي كان مديرا للجامعة وقتئذ، ففي احدى المقابلات الاخيرة التي اجريت مع طه حسين يقول:

"بأنه يشعر بالفخر بالمدى الذي وصل إليهِ تعليم المرأة في الجامعات لأنه اول من اقترح على احمد لطفي السيد أن يقبل الفتيات لأول مرة". (٢).

١- طه حسين: المجموعة الكاملة لمؤلفات الدكتور طه حسين، المجلد التاسع، ص ٤٤.

* في الفصل الثاني من الدراسة تطرقت الباحثة إلى نتائج بعض الدراسات حول التعليم المختلط، انظر (ص ٨٠-٨٨).

٢- جمال الدين الالوسي: طه حسين بين انصره وخصومه، ص ٢٥٢.

وهذا لا شك اعتراف صريح من طه حسين بدوره في تشجيع المرأة على مواصلة تعليمها العالي، والانضمام إلى الجامعة والدراسة بها، ولا عيب في ذلك لو لم تكن الدراسة ولا تزال في الجامعة المصرية مختلطة بين البنين والبنات، وتذكر زوج طه حسين السيدة سوزان في مذكراتها كيف استطاع زوجها الوقوف في وجه المسئولين عندما رفضوا دخول الفتيات للجامعة بحجة أن الدستور يعطي لكل مصري الحق في دخول الجامعة، واللفظ هنا مذكر وبالتالي فهو لا يعني النساء، إلا أن زوجها طه حسين حسم الأمر بقوله:

"إلا تعني كلمة (المصريون) مجموع سكان مصر، اذن ذلك يعني النساء أيضاً".(١)

ولم يكتف طه حسين بتشجيع الفتاة على الدراسة في الجامعة بل كان أول المهنئين لها بعد التخرج، فقد كتب مقالا طويلا في جريدة كوكب الشرق علم ١٣٥٢هـ- ١٩٣٣م بعنوان "فوز" بمناسبة تخرج أول دفعة من الفتيات تلن الدرجة الجامعية في الآداب والحقوق، هناهن بفوزهن؛ كل فتاة باسمها وتخصصها، وبعد ذلك قال:

"فأي حدث خطير هذا الحدث في حياتنا المصرية العقلية والاجتماعية، واي فوز عظيم هذا الفوز لانصار الرقي والنهوض واصحاب تحرير المرأة والتسوية بينها وبين الرجل في الحقوق والواجبات، هؤلاء فتياتنا قد ظفرن بما يظفر به فتياننا من التعليم العالي، وانتهين إلى ما ينتهي إليه فتياننا من نيل درجاته والنجاح فيه،

١- سوزان طه حسين: معك، ص ١١٢.

فلتهنئ مصر بهذا الفوز ولتهنئ المرأة المصرية بهذا التوفيق ولتهنئ الجامعة المصرية بأنها هي التي مهدت السبيل بهذا الفوز والتوفيق". (١)

فطه حسين يرى أن ظفر المرأة بالشهادة الجامعية فوز كبير لمجرد حصولها على تلك الدرجة العالية من التعليم مثلها مثل الرجل، متجاهلا مدى افادتها من هذه الدرجة في حياتها الشخصية والاسرية والاجتماعية، فهو يقارنها بالرجل ويساويها به، وهذا خطأ كبير، فالدراسة المشتركة بين الفتى والفتاة على برامج موحدة ومراحل دراسية وسنوات موحدة لم تلغ فوارق الفطرة العميقة، ولم تؤد إلى المساواة المطلقة في كل شئ وما ذلك إلا تحد للفطرة من أجل الشيطان. (٢)

هذا وقد أقام الاتحاد النسائي احتفاء بتلك المناسبة في ١٣٢٥هـ-١٩٣٢م حفلا عبرت عنه زوج طه حسين "سوزان" بأنه:

"انتصار للطفي وطه اللذين كانا قد فتحا أبواب الجامعة أمام المرأة المصرية". (٣)

ودخول المرأة المصرية الجامعة واختلاطها بالطلبة سبّب ردود فعل قوية لدى الغيورين على دينهم، وستتم مناقشة هذه القضية باذن الله عند الحديث عن الاختلاط.

١- جريدة كوكب الشرق، ٢٦/٢/١٩٣٢م، ص ٦
انظر أيضاً طه حسين : شارع قوله، ص ٦٢-٦٤.
٢- انظر: محمد قطب: منهج التربية الاسلامية، ج ٢، ص ٢٠٨.
٣- سوزان طه حسين: معك، ص ١١١

ويقول محمد قطب عن الجامعة المصرية أنها لم تكن قد انشئت لترعى القيم الاسلامية، ولا لترعى تنشئة الشبان والفتيات تنشئة اسلامية، فقد دخلت المراة الجامعة لا لتتعلم فقط ولكن (لتتحرر)، لتتحرر من الدين والاخلاق والتقاليد، فقد قيل لها أن التعليم والاختلاط و (التجربة) كلها حقوق للمرأة، كان الدين والاخلاق والتقاليد تمنعها عن مزاولتها.(١)

ثانيا : الاختلاط

نادى طه حسين بوجوب تربية المراة والعناية بامرها ولكنه لم ينظر لتلك الامور بمنظار اسلامي، حيث لم يكن يمانع في اختلاط الجنسين، بل تدل الشواهد على انه اول المشجعين لذلك، واول من أتاح الفرصة لدخول الفتاة الجامعة المصرية كما علمنا.

والواقع أن طه حسين ينظر إلى الفصل بين الجنسين على أنه نوع من التقاليد والعادات؛ ففي كتابه مستقبل الثقافة في مصر يتهكم من عزل الطالبات عن الطلبة عند الدراسة في معهد التربية المعلمين بحجة أن الجنسين كانوا يدرسون سويا في الجامعة، يقول:

"وهناك امر لايخلو من فكاهة فقد شعرت وزارة المعارف بانها محتاجة إلى المعلمات كما هي محتاجة إلى المعلمين، وكان الطبيعي أن يقبل الفتيات الجامعيات مع زملائهم في المعهد اثناء الدرس على أن تكون لهن دارهن الخاصة التي ياوين اليها بالطبع،

١- انظر: محمد قطب: واقعنا المعاصر، ص ٢٢٦ - ٢٢٧.

ولكن صاحب المعالي حلمي عيسى باشا رأى أن من الخطر على الاخلاق فيما يظهر، أن يختلف الفتيات والفتيان معا إلى الدروس في المعهد فانشئت لهن معهدا خاصا ونسيت الوزارة أوْ جهلت أن هؤلاء الفتيات والفتيان قد اختلفوا معا إلى الدروس في الجامعة اربعة اعوام كاملة على الاقل قبل أن يدخلوا المعهد، وقد ترك حلمي باشا وزارة المعارف وضعف بعده سلطان التقاليد، ولكن هذا المعهد الخاص بالفتيات مازال قائما وسيظل قائما فيما يظهر حتى يقضي الله امرا كان مفعولا". (١)

وفي موضع آخر يقول:

"وفكر وزير المعارف أن ينشئ للفتيات معهدا خاصا، غلوا منه في المحافظة، واصرارا منه على التقليد، وانكرنا عليه تلك الخطة لان فيها عبثا واسرافا، ولان فيها تناقضا واضطرابا، فما دامت التقاليد اذنت أن يختلف الطلاب والطالبات إلى دروس العلم في الجامعة فانها تأذن -من غير شك- في أن يختلف الطلاب والطالبات إلى دروس العلم في معهد التربية". (٢)

١- طه حسين: المجموعة الكاملة لمؤلفات الدكتور طه حسين، المجلد التاسع، ص ٢٢٢.

٢- جريدة كوكب الشرق: ١٩٣٢/٦/٢٦م، طه حسين : شارع قوله، ص ٦٥.

وكان من المفروض على رجل تربية مثل طه حسين أن يعمل جاهدا من أجل فصل الجنسين في الجامعة أيضاً، بدل أن يكتب تلك المقالات التي تعلي من شأن الاختلاط وتقلل من أهمية المحافظة على قيم ومبادئ الدين الحنيف والاستخفاف بها، وطه حسين وذاك رأيه لم يكن يحس بالحرج منذ البداية عند اختلاطه بالنساء وفي المجالس العامة، فبفضل لطفي السيد عرف طه حسين صالون مي زيادة الأدبي*، الذي كان يعقد ابان الحرب العالمية الاولى، وصار يتردد عليه مساء الثلاثاء من كل اسبوع، ويصور لنا طه حسين شعوره في اول يوم يذهب فيه إلى ذلك الصالون، فيقول:

"وفي مساء الثلاثاء رأى الفتى نفسه لاول مرة في حياته في صالون فتاة تستقبل الزائرين من الرجال، حفية بهم معاتبة لهم في رشاقة أي رشاقة، وفي ظرف أي ظرف، وفي حديث عذب يخلب القلوب ويستاثر بالالباب". (١)

وبعد خمسين سنة من ذلك الزمن كان طه حسين يذكر تلك اللقاءات في صالون مي الأدبي وغيرها من الصالونات الأدبية التي تميز تلك الفترة حسب رأيه. (٢)

---

* اديبة شاعرة لبنانية مسيحية اسمها (ماري زيادة).

١- انظر: طه حسين : الأيام، ج ٣، ص ٢٨.

٢- انظر: جمال الدين الالوسي: طه حسين بين انصاره وخصومه، ص ٢٥٠.

أما زوج طه حسين فتتحدث في مذكراتها عن كثير من سيرة زوجها وممارساته خلال حياتهما الزوجية؛ فقد كان يخالط النساء ويحادثهم ولا ينكر ذلك على نفسه ولا على زوجه التي كانت تذهب معه إلى كل مكان وتحضر معه جلساته في مصر التي كانت في الغالب كلها رجال فقد كانت منذ تزوجها ولا زالت محافظة على ديانتها المسيحية وتمارس عاداتها وتقاليدها الفرنسية وطقوسها الدينية دون أن تتأثر بالبيئة المصرية -المسلمة- التي عاشت فيها مدة طويلة، وهذا يدل دلالة واضحة على أن طه حسين لم يكن له أي دور في توجيهها أوْ التأثير عليها أوْ دعوتها للاسلام(١)، وتغيير بعض عاداتها، والباحث الذي يطالع تلك المذكرات يدرك بوضوح مدى تمسكها بديانتها ومبادئها وعاداتها ولغتها الفرنسية، فهي لا تخفي ذلك بل تبين تأثر زوجها بها؛ تقول في مذكراتها موجهة الحديث لزوجها:

"وإذ أذكر اليوم هذا الصباح، افكر بهذا
التوافق الخفي الذي وحدنا دوما في احترام
كل لدين الآخر، لقد دهش البعض من ذلك، في
حين فهم البعض الآخر؛ إذْ رأى ان بوسعي ان

١- انظر كتاب "معك" سوزان طه حسين ص ١٢٠-١٧-٢٠-٢٤-٢٨-٦٥-٩٦ على سبيل المثال.

أردد صلاتي على حين تستمع إلى القرآن في الغرفة المجاورة، ويصدفني اليوم أن افتح المذياع لأستمع إلى آيات من القرآن عندما أبدأ تسبيحي، بل اني لأسمعه على كل حال في اعماق نفسي، كنت غالبا ما تحدثني عن القرآن، وتردد البسملة التي كنت تحبها بوجه خاص، وكنت تقرأ التوراة وكنت اتحدث عن يسوع، كنت تردد في كثير من الأحيان اننا لا نكذب على الله، لقد قالها أيضاً القديس بولس، لا شك اننا لا نكذب على الله وويل للمكذبين". (١)

وتقول في كتابها عن رسالة بعث بها اليها زوجها طه حسين من مصر حين كانت في فرنسا عام ١٢٢٩هـ- ١٩٢١م:

"وهكذا ياحبي! عندما رجعت إلى البيت ذهبت مباشرة إلى الصورة، وركعت أمامها وقصصت عليها الامر بصوت عال ياسوزان وبالتفصيل"...(٢)

وفي رسالة أخرى يقول:

"اوحي لي يا ملهمتي! فأنت تمنحيني كل شئ،

١- سوزان طه حسين: معك، ص ٢٨.

٢- المرجع السابق، ص ٢٨.

كل شيْ، هل تسمعين كل شيْ بدون استثناء؟!
لقد رحلت فلحق بك ذكائي، كل قلبي، كل
نفسي، كل شيْ في هذه الرسالة". (١)

هذه حياة طه حسين مع زوجته المسيحية، فمنذ متى كان المسلم يركع أمام الصورة ويتكلم معها؟ ومنذ متى يضيع فكر الانسان وذكاؤه ويفقد كل شيْ -وبدون استثناء- عند غياب زوجته عنه؟ فهي في نظر طه حسين ملهمته التي تمنحه كل شيْ!!

أما ابناؤها فهم لايتكلمون إلا الفرنسية في بيتهم وتسميهم باسمائهم الفرنسية التي اطلقتها عليهم بجانب اسمائهم العربية، فهذا مؤنس تسميه (كلود) وهذه امينة تسميها (مرجريت)، كما نسبت نفسها لاسم زوجها كعادة الغربيين بذلك، وفي مذكراتها تذكر زياراتها ورحلاتها التي تقوم بها بصحبة زوجها وابنائها للعديد من الكنائس في مختلف الأزمان والأماكن؛ تقول:

"ولحظة وصولي إلى فرنسا قمت بصلاة خاشعة في كنيسة قائمة على لسان جبلي مطل على البحر، حيث جاء اليها الكثير من البحارة للصلاة أيضاً". (٢) "وتعرفت بفضل مؤنس على بعض الكنائس (آفانتين Aventin) وكنيسة (سانت ماري كوسميدين Santa - Maria - Cosmedin) الصغيرة تلك التي اثّرت فيّ اكثر من غيرها". (٣)

١- سوزان طه حسين: معك، ص ٢٩.
٢- المرجع السابق، ص ١٤٥.
٣- المرجع السابق، ص ١٧٤.

وخلاصة القول أن مذكراتها خلاصة لحياتها مع زوجها وابنائها والاطلاع عليها يعطي صورة واضحة لأسلوب الحياة الذي كان طه حسين يعيشها بصحبة زوجته الفرنسية المسيحية، وهناك ممارسات شائعة في حياة طه حسين يستطيع أن يستخلصها القارئ لكتاب سوزان المذكور، والخصها في الآتي:

١- زيارة الكنائس مع زوجها وسماع الموسيقى هناك.

٢- حضور الحفلات العديدة التي تقام على شرف رجال دين مسيحين ومبشرين.

٣- الزيارات التي تتم بين عائلة طه حسين والعديد من العائلات الغربية والعلاقات الودية والقوية بينهم وما يكتنف ذلك من اختلاط بين الجنسين.

٤- استقبال الرهبان المسيحيين في منزلهم والصداقة الحميمة التي تربطهم به، مثل الأب (قنواتي) والاب (جوميه) وغيرهم.(١)

٥- رضا طه حسين بأن يقلد صليبا من أحد الملوك.(٢)

٦- حضور أعياد القديسين من المسيحيين والمشاركة فيها.

إن هذه الممارسات تدل دلالة واضحة على تأثر الزوج طه حسين وابنيه بزوجته وعاداتها وديانتها. وفي احدى المناسبات التي اقيمت احياء لذكرى الشيخ محمد عبده أسهمت الجامعة في ذلك الاحتفال وقد سأل طه حسين سؤالا خبيثا -على حد تعبير زوجته- في أحد الاجتماعات التي اقيمت للاعداد للحفل، فقد سأل:

١- انظر: سوزان طه حسين: معك، ص ٢٦٦.

٢- انظر: المرجع السابق، ص ١٧٦، ص ١٨٢.

"هل ستشارك النساء في هذا الاحتفال؟"(١)

هذا ماذكرته زوجته، وهي تعلم جيدا ماكان وراء هذا السؤال!

وعند تأسيس الجامعة المصرية عام ١٣٤٤هـ- ١٩٢٥م بدأ طه حسين يعقد في بيته جلسات اسبوعية مساء كل أحد، وكان طه حسين وزوجه يستقبلان الضيوف رجالا ونساء معظمهم من الاجانب، تقول سوزان:

"كان طه خلال تلك الجلسات قطبا حقيقيا من الجاذبية، إذْ ماكان الاساتذه الأجانب الذين كانوا يؤلفون اول فريق يصلون إلى مصر، حتى ياتون بالطبع إلى بيتنا لقضاء ساعة أوْ ساعتين برفقة زوجاتهم، كان منهم العميد (جرايجور) والفيلسوف (اميل برهييه) وعالم الآثار الانجليزي (جريدور)... وغيرهم".(٢)

ولا يقف الأمر عند هذا الحد بل أن طه حسين حضر حفلة الاستقبال الكبرى التي اقامتها صحيفة السياسة التي كان يعمل بها آنذاك على شرف سيمون التي كانت تمثل في الأوبرا فقد كتب طه عنها مقالا شكرته عليه بحرارة.(٣)

فطه حسين يحضر الحفلات المختلفة والاحتفالات التي تقام على شرف النساء، واي نساء؟ من أهل الفن ومن النجوم! ولا يتوقف الامر عند ذلك، بل يكتب حول ذلك المقالات التي يمتدحهن فيه ويؤيدهن ويشجعهن*.

١- سوزان طه حسين: معك، ص ٤٤.

٢- المرجع السابق، ص ٤٤.

٣- انظر: المرجع السابق، ص ٦٩.

* كتب طه حسين عدة مقالات عن ممثلات وملكات جمال، سيأتي ذكره فيما بعد أن شاء الله.

وطه حسين في منزله يستقبل النساء ويرحب بهن، فبالاضافة إلى جلسات الآحاد حيث كان يستقبل الزوار من النساء دون تحرج، استقبل ذات مرة وفدا من مدرسة داخلية مكونا من اثنتي عشرة فتاة بصحبة مديرتهن ومعلماتهن، صعدن إلى الطابق الأعلى من بيته لتحيته وهن يحملن الأزهار وقد غنت له الفتيات، وكان هذه -حسبما تقول زوجته- في منتهى الجمال.(١)

وممن استقبلهن طه حسين في بيته أيضاً سهير القلماوي ابنة طه حسين الروحية -على حد تعبير زوجته- وهي احدى أوائل الفتيات اللواتي قبلن في الجامعة بصحبة زوجها، كما كان يقابل صديقات زوجته مثل ماري التي كانت تزوره وتعانقه وتتناقش معه ومع الحاضرين(٢)، وكذلك جان التي تعتبرها سوزان سكرتيرة وقارئة لطه، وخاصة لتلك الكتب الدينية الفرنسية.(٣)

أما في فرنسا: فقد كان طه حسين يعيش كما يعيش الفرنسيون، بل كان يحضر العديد من المناسبات التي كانت تقام في الكنائس مع زوجته، مثل تلك اللقاءات التي كان ينظمها عمدة فلورنسا جيور جيو لابيرا: فقد كانت هذه اللقاءات تقام تحت شعار "الحضارة المسيحية والاسلام" ويجتمع فيها الرجال والنساء، تقول زوجته:

"كان يوم ٢٤ يونية، يوم عيد فلورنسا في الدوم، يوما مشهودا، قد قاد لابيرا إلى

١- انظر: سوزان طه حسين: معك، ص ٢٥٨.

٢- انظر: المرجع السابق، ص ٢٦٨.

٣- انظر: المرجع السابق، ص ٢٦٩.

الدوم كل مدعويه، كان المندوبون يجلسون في المكان المخصص للكورس، في حين جلست النساء في الصفوف الأولى في جناح الكنيسة الكبير". (١)

وفي مناسبة أخرى اقامها الكونت تشيني (Cini) في قصره في جزيرة سان جيورجيو في البندقية -عام ١٣٧١هـ- ١٩٥٢م- كان طه حسين وزوجه من المدعوين، وعن ذلك تقول:

"استأثرت ابنة مضيفنا -وهي امرأة شابة- بطه وتفاهما على نحو جيد، وقد وجد طه نفسه على سجيتها في هذا الوسط الزكي المرهف بلا ادعاء". (٢)

أما فيما يتعلق باختلاط الطلبة والطالبات لأول مرة في الجامعة المصرية والتي كان لطه حسين اليد الطولى في ذلك؛ فقد عقدت جلسات خاصة في مجلس النواب آنذاك حيث قدم الدكتور عبد الحميد سعيد استجوابا نوقش فيه أمر طه حسين حول هذه القضية وقد طالب فيها بمعاقبة طه حسين وابعاده عن الجامعة بسبب مايقوم به من الاعمال فهو يحرض الشباب والشابات على الاختلاط وتعدي حدود الآداب والتقاليد العامة، ففي عام ١٣٥٠هـ- ١٩٣٢م أشار المجلس إلى الأخطار التي اتصلت بانشاء معهد التمثيل والرقص التوقيعي وهو المعهد الذي أنشأه طه حسين وقد طلب المجلس من وزير المعارف ايجاد حل لهذا الموقف مراعاة لتعاليم الدين وتقاليد البلاد، وقد قام الوزير باغلاق هذا المعهد، ولكن ظهور الدكتور طه حسين في صورة نشرت في جريدة الاهرام عدد (١٦٩٥٩) وقد جلس حوله طلبة كلية الآداب وظهرت

١- سوزان طه حسين: معك، ص ١٩٩.

٢- المرجع السابق، ص ١٩٥.

كل شابة إلى جانب شاب، اثار حمية الغيورين على الدين واعربوا عن دهشتهم من موقف وزير المعارف الذي صرح في وقت سابق بانه لا يسمح باختلاط الجنسين في معاهد التعليم.(١)

وكان من نتائج الاستجواب السابق والتحقيقات حول هذه القضية صدور قرار مجلس الوزراء في ذي القعدة ١٣٥٥هـ - ١٩٣٢/٣/٢١م، بفصل طه حسين من خدمة الحكومة.(٢) وقد عبرت زوجة طه حسين عن ذلك بقولها:

"ثم وقعت المحنة في مارس ١٩٣٢م حيث كان طه يدفع ثمن جريمته أن يكون انسانا حرا".(٣)

وقد كان رد طه حسين على علماء الازهر في شأن ذلك الاتجاه الخطر الذي دعا إليهِ وشجعه في الجامعة هو:

"لا أعلم نصا من كتاب الله وسنة نبيه يمنع اختلاط الشباب بالشابات لطلب العلم".(٤)

ومع أن طه حسين أعيد إلى الجامعة عام ١٣٢٥هـ- الموافق ديسمبر ١٩٣٤م عندما تغير رئيس الوزراء إلا أن موضوع طه حسين لم يطو، فقد وقف الدكتور عبد الحميد سعيد مرة اخرى في مجلس النواب عام ١٣٥٨هـ- يونية ١٩٣٩م وتحدث عن طه حسين قائلا:

١- انظر: الوقائع المصرية، العدد (٢١)، السنة ١٠٢، ٢٩ شوال ١٣٥٠هـ - ٧ مارس ١٩٣٢م.

٢- انظر: انور الجندي: طه حسين حياته وفكره في ميزان الاسلام، ص ٢٣.

٣- سوزان طه حسين: معك، ص ٩٨.

٤- انور الجندي: مرجع سابق، ص ٦٩.

"اني اتكلم في الموضوع لان صاحب هذا التاريخ لا يزال يلقي على ابناء الجامعة تعاليميه الخبيثة، في ظل الاباحية، وتحت ستار حرية التفكير تنشر المبادئ الضارة المخزية، ويحبذون مايسمونه بحرية المراة واختلاط الجنسين، وماهن شك في أن اختلاط الجنسين خصوصا الطلبة والطالبات مهما تفلسف المتفلسفون في تبريره، ليس إلا ناشرا للفساد ومشجعا عليه، باعثا على الاباحية مدمرا للاخلاق والفضيلة.(١)

وانتقد بشدة طالبات القسم الفرنسي بكلية الآداب لتبرجهن وتمثيلهن للروايات الغرامية في دار الاوبرا الملكية مع الطلبة، حيث يقوم بدور الحبيب والحبيبة طالب وطالبة.

مما سبق يتضح بجلاء تبني طه حسين الدعوة للاختلاط وذلك تقليدا أعمى للغرب بدون النظر إلى مساوئه على المجتمع والتي حذر منها الدين الاسلامي الحنيف وبدا يشهد أضرارها بعض عقلاء ومفكري الغرب المنصفين.

١- الوقائع المصرية، العدد (٦٥)، ١٥ جمادى الاولى ١٢٥٨هـ- ٥ يونية ١٩٣٩م .

ثالثـا: الحجـاب والسفور

إن قضية السفور والحجاب من أهم قضايا المرأة التي ابتدعها انصار المرأة كما يقولون عن انفسهم، فقد كانت المطالبة بنزع حجاب المرأة المسلمة بداية الطريق لاخراجها من بيتها العفيف ثم من عقيدتها، ويقف وراء هذه القضية من ورائها من اعداء الاسلام الذين ارادوا الوصول إلى الشباب المسلم والسيطرة عليه واخراجه عن دينه فوجدوا أن الأم المسلمة والزوجة المسلمة حجر عثرة في طريقهم لما لها من تأثير على تربية ابنائها، لذا ابتدعوا ما أطلق عليه قضية المرأة وتحريرها للوصول إلى اهدافهم من اجل هدم الاسلام وابعاد المسلمين عن دينهم*.

أما عن رأي طه حسين في الحجاب فيمكن التعرف عليه من خلال بعض كتبه فقد كتب سلسلة مقالات في مجلة الهداية سنة ١٣٢٩هـ-١٩١١م تحت عنوان "كلمات في المرأة" بين فيها آراءه في سفور المرأة وتعليمها، وموضوع زواج المسلم بكتابية**.

والملاحظ أن طه حسين كتب هذه المقالات في سن مبكر -كان حينذاك

---

* لمعرفة اصول هذه القضية يمكن الرجوع إلى كتاب محمد قطب: واقعنا المعاصر، ص ٢٥٠- ٢٩٥.

** صاحب المجلة هو عبد العزيز جاويش، والباحثة لم تستطيع الحصول على اصل المجلة، وتم الحصول على اصل المقالات كاملة من كتاب: طه حسين الشاعر الكاتب، محمد سيد الكيلاني، من ص ١٢٤ إلى ص ١٥٢.

في الثانية والعشرين من العمر- يقول تحت عنوان "حرية المرأة":

"ماالذي تريده المرأة إذا اباح الله لها
أن تظهر من زينتها مثل مايظهره الرجل؟ لم
يأخذ الاسلام بحجاب ولا نقاب، ولئن سألت
الذين ينتحلون ذلك على الاسلام من أي آية في
كتاب الله أوْ أي حديث في سنة نبيه اخذتم
حكم الحجاب والنقاب لنالهم الاعياء
والقصور". (١)

وفي موضع آخر يقول:

"ليس في كتاب الله ولا في سنة نبيه نص
ظاهر أوْ مؤول يوجب على المرأة الحجاب أوْ
النقاب". (٢)

فطه حسين يؤكد بكلامه هذا انكار الحجاب وفرضه على المرأة، بل يؤكد على أن كتاب الله وكذا سنة نبيه تخلو من حكم الحجاب، وسيصاب بالاعياء والتعب من بحث عن ذلك، وهذا أمر في شدة الغرابة، فطه حسين الذي حفظ القرآن في التاسعة من عمره وظل يحفظ الكثير من آياته بعد ذلك، ينسى آية الحجاب في سورة النور، يقول تعالى:

﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن
فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ماظهر منها
وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين
زينتهن إلا لبعولتهن أوْ آبائهن اوْ آباء
بعولتهن". (٣)

١- محمد سيد كيلاني: طه حسين الشاعر الكاتب، ص ١٢٨.

٢- المرجع السابق، ص ١٤٠

٣- النور آية: ٣١.

كما حثت السنة المطهرة على الحجاب، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

"يا أسماء! أن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصح أن يرى منها إلا هذا، وأشار إلى وجهه وكفيه". (١)

ورغم ذلك فطه حسين يؤكد في مقالته بان الاسلام جاء بأحسن نظام تسمو إليه المرأة، وسن لها أقوم سنة تطمع فيها وتبلغ بها اقصى درجات الرقي والكمال، فهو يستحب رأي الاسلام في حظر الخلوة بين الرجل والمرأة، كما يرى أن حظر سفرها بلا محرم فيه عناية بامرها ورفعة من شانها، ولكن يبدو أن الحجاب لا يروق لطه حسين ولا يعتبره أحد ركائز نظام الاسلام الذي وضعه للمرأة، ويرى أن هناك مساواة بين المرأة والرجل في حريتهما، ويفسر ذلك بقوله:

"لافرق بين المرأة والرجل في الحرية، وكلاهما مأمور بمكارم الاخلاق منهي عن مساوئها، محظور عليه أن يتعرض لمظان الشبهه، فالمرأة لا تخلو بالاجنبي ولا تسافر وحدها، ولا تتبرج تبرج الجاهلية الاولى، ولها بعد ذلك أن تفعل ماتشاء في غير اثم ولا لغو، لها أن تطرح النقاب وترفع الحجاب، وتتمتع بلذات الحياة كما يتمتع الرجل، وليس عليها إلا أن تقوم بما اخذت به من الواجب لنفسها وزوجها والنوع الانساني كافة". (٢)

١- أبو داود: سنن أبي داود، ج (٤)، ص ٢٥٧.

٢- محمد سيد كيلاني: طه حسين الشاعر الكاتب، ص ١٢٩.

فطرح النقاب ورفع الحجاب عن المرأة هو جزء من حريتها في نظر طه حسين ولها أيضاً أن تتلذذ بالحياة وتفعل ما تشاء في غير اثم ولا لغو، ويكفيها أن تتجنب الخلوة بالاجنبي والسفر بلا محرم، وهو يرى أن الالتزام بهذه الآداب هي من مكارم الأخلاق والبعد عن التعرض للشبهة، ويصبح في مقدور المرأة التي تفعل ذلك أن تنزع الحجاب أوْ النقاب وان تتساوى مع الرجل في امور الحياة المختلفة.

لكن الحقيقة تقتضي القول أن الحجاب لم يكن في أي يوم من الايام عقبة في طريق المرأة يمنعها من التمتع بملذات الحياة اللهم إلا إذا كانت هذه الملذات تتعارض في حد ذاتها مع الحجاب وبالتالي تتعارض مع تعاليم الاسلام، فقد اعطيت المرأة في الاسلام من الحقوق مالم تعط في أي نظام آخر على مد العصور، واساءة معاملة المرأة المسلمة والحط من مكانتها من قبل فئة معينة في مجتمع ما أوْ بيئة معينة لا يعني ابدا أن العيب في التشريع، بل العيب في الناس ليس إلا، واضيف هنا بان حب الزينة والتباهي بها من طبيعة الانثى، فالمرأة تميل إليهِ وتحبذه، لذا فان خروج المرأة بلا حجاب يتبعه -كما هو ملاحظ- اظهار للزينة، والواقع يؤكد هذه المقولة فهاهي نساء المسلمين ممن خرجن عن دينهن يبذلن قصارى جهدهن في ابراز جمالهن وانوثتهن ورقتهن.(١)

ويؤكد الاستاذ محمد قطب بأن وجود المرأة الجاهلة في المجتمع الاسلامي -على غير ما أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم - من اكبر الثغرات التي نفذ منها الغزو الفكري إلى العالم الاسلامي من أجل القضاء على الاسلام في القرنيين الماضيين، وما قضية المرأة المثارة اليوم في مجتمعاتنا من المحيط إلى المحيط، على نسق

١- انظر: محمد قطب: واقعنا المعاصر، ص ٢٦٩.

القضية الاوربية وبنفس اهدافها ونفس نتائجها: من تحطيم الدين والاخلاق والتقاليد وتفكيك الاسرة وافساد الجيل الناشئ واشاعة القلق والاضطراب والحيرة والضياع وهذا كله نتيجة من نتائج وجود هذه الشفرة التي نفذ منها الأعداء.(١)

إن الله سبحانه وتعالى عالم بطبيعة مخلوقاته، فقد اوجب الحجاب درءا للفتنة والفساد، لكن يباح للمرأة أن تظهر زينتها وجمالها في محيط النساء وبين المحارم وباعتدال أيضاً -لأن الاسراف ممقوت في كل الاحوال-، والمتتبع لاحوال النساء يلاحظ أن السفور والتبرج متلازمان فمتى مشت المرأة سافرة، فانها ولابد ستتخذ اشكالا شتى من الزينة، سواء في ملبسها، أوْ شعرها وأصباغ وجهها واظافرها، أوْ الروائح المختلفة التي تتعطر بها، إلى غير ذلك من هذه الأمور. والمؤسف حقا أن طه حسين الذي كتب تلك المقالة حول حرية المرأة وحجابها وسفورها يؤكد في مقالة اخرى فكرته الاولى ويحاول أن يثبتها بالحجة والبرهان فلا دليل في كتاب الله أوْ سنة نبيه -في نظره- نص على حجاب المرأة، ويرد على من ادعى بأن السفور مفسدة لانه سبيل إلى الخلو بالاجنبي بقول:

"ولنا في رد ذلك سبل ثلاث:

الاولى: أن الحجاب لا يدرأ المفسدة.

الثانية: أنه سبيل اليها.

الثالثة: أنه آية فساد الأخلاق في الرجل والمرأة.(٢)

١- انظر: محمد قطب: منهج التربية الاسلامية، ج (٢)، ص٢١٥.

٢- محمد سيد كيلاني: طه حسين الشاعر الكاتب، ص ١٤١.

يتضح من هذا الاقتباس أن طه حسين ينكر شرعية الحجاب الاسلامي ودوره الذي كان من اسس بناء المجتمع الاسلامي المتماسك النظيف، ومن اسباب سعادة الاسرة ودعائم بنائها، والأنكى من ذلك أنه يرى في الحجاب طريقا إلى الفساد، وهذا طعن صريح وواضح لسنة من سنن هذه الشريعة، وانكار ورفض لحكم من احكام الله، فمنذ متى كان الحجاب طريقا إلى المفسدة؟ وأي مفسدة تلك التي تحاول المرأة أن تحجب نفسها، وجمالها، وعفتها، عن أعين وأسماع الرجال، أي مفسدة تلك التي تحفظ فيها المرأة كرامتها وعفتها وحياءها من أي خدش، ومنذ متى كانت المفاسد تاتي عن طريق التمسك بأحكام الله وتطبيقها؟ والبديهي الذي لا يخفى على أحد أن المفسدة لم تات إلا عن طريق العرض السخي الذي تعرضه فتيات ونساء ممن لا يربطهن بالفضيلة والحياء رباط، عرض للمفاتن، واستفزاز للشهوات عن طريق التبرج والسفور، والنتائج التي وصلت اليها تلك المجتمعات التي انحلت فيها قيود الآداب والأخلاق مقرونة بتلك العروض الرخيصة من قبل النساء، هي أكبر دليل على أن المفاسد لم تكن إلا نتيجة الابتعاد عن حكم الله ونقض أحد أركانه والحجاب احدها.

أما قوله بأن الحجاب آية فساد الأخلاق في الرجل والمرأة؛ فهو قول لا يتقبله عقل؛ لأن الالتزام به دليل على العفة والتقى والصلاح، والتمسك به من دلائل الوعي والفهم لأمور الدين وتعاليمه، فالمرأة الصالحة لا ترتضي لنفسها بالسفور والتبرج؛ لأن في ذلك مخالفة لأمر الله، كما أن الرجل الصالح يحرص على أهل بيته، فهو يحثهم على مكارم الأخلاق وفضائل الآداب، فيأبى إلا أن يرى نساء بيته محتشمات مصونات، فمن المغالطة قلب الأوضاع والادعاء بعكسها؛ فالحجاب آية للصلاح والهداية للمرأة والرجل، وما سفور المرأة واختلاطها بالرجال

متزينة متبرجة إلا من الأسباب المؤدية إلى الفساد والرذيلة، إذْ أنه لا يمكن نزع خصائص فطرية عن الانسان -أوْ الضغط عليها- كالغريزة الجنسية في جوّ يعمل على تحريكها واثارتها، فكيف يطلب من الرجال بعد ذلك الانضباط وهم أمام مثيرات واجواء تحتم حدوث المفسدة وانحلال الأخلاق؟ ألا يكون السفور هو آية الفساد!

ويذهب طه حسين إلى أبعد من ذلك عندما يقول إن الحجاب وسيلة صناعية لاتقاء الشر وانه لا يصلح إلا للشواذ من الأفراد"(١) فالحجاب في نظره وسيلة اصطناعية لاتقاء الشر، وهو في الحقيقة حكم من احكام الله لم يتخذ عقوبة للمرأة، ولا حجرا عليها، ولكنه تكريم لقدرها وأداة لدفع الاذى عنها، والشاهد على ذلك أن الحجاب منذ فرض على المرأة المسلمة على مدى أربعة عشر قرنا لم يجن منه إلا كل خير، ولم تلق المرأة به إلا العفة والشرف والطهر. وعلى عهده صلى الله عليه وسلم بعد أن نزلت آية الحجاب احتجبت نساء المسلمين عن الرجال، وأي رجال؟! صحابة رسول الله وتابعيه، إلا نحتاج اليوم إلى ماهو أشد من الحجاب في هذا الواقع الذي ضعف فيه الايمان وانتشرت فيه البدع والمنكرات!! ولطه حسين وجهة نظر اخرى حول الحجاب فهو لا يصلح إلا للشواذ، حكم بناه دون اساس، والواقع اني لا أعلم من يقصد بالشواذ من النساء، هل هن العفيفات الشريفات؟ وهن في الحقيقة غير شواذ، ام هن الفاسدات الفاجرات؟ فاذا كان هذا مقصده فان الحجاب لا يصلح لهذا النوع من النساء لأن حياءهن وخوفهن من الله لم يردعهن عن الانحراف فكيف بالحجاب يتخذ وسلة لاصلاحهن وتهذيبهن؟.

١- انظر: محمد سيد كيلاني: طه حسين الشاعر الكاتب، ص ١٤٢.

ويربط طه حسين بين الحجاب والجهل، وسادام الجهل ممقوتا فان الربط بينه وبين الحجاب يؤدي إلى النفور من الحجاب، ولكي يوصل طه حسين المرأة إلى هذه النتيجة نجده يقول:

"ان المرأة لا يسكتها على الحجاب إلا الجهل، فاذا تعلمت وجب علينا ان نحسب لعلمها حسابا كبيرا، فليس من البعيد بعد أن يتعلم النساء تعلما صحيحا ان تكون منهن قوية العارضة، شديدة الشكيمة، وليس من البعيد أن تكون بينهن امثال اولئك السيدات اللاتي كن يجهرن بالحق ويدعون الله في وجه الائمة من خلفاء المسلمين".(١)

والاسلام الذي اوجب الحجاب وشرعه، أمر بتعليم المراة، فللمراة حق التعلم، بل ان ما تطمح إليه المراة المسلمة هو الوصول إلى ما وصلت إليه الصحابيات الجليلات من علم ودين وخلق وعفاف وطهر، ولكن ذلك لا ياتي إلا بالتمسك بتعاليم الاسلام والتحلي بمكارم الأخلاق، واولها الحجاب، وللمراة حق الدعوة إلى الله، بل هي ماصورة به، أنها تبدأ بنفسها ثم باولادها وافراد اسرتها وبمن حولها من افراد المجتمع، أما القول بان الحجاب ملازم للجهل، وانه يقف في طريق العلم فيه خطأ كبير إذْ لا تعارض بين الحجاب والتعليم؛ فالاسلام الذي أمر بالحجاب هو الذي دعا إلى طلب العلم والتفقه في الدين وتعلم اللغات والعلوم، وأكبر مثال على ذلك هو تعليم الفتاة في المملكة العربية السعودية، وما وصل إليه من تقدم مع الالتزام بالحجاب والحرص عليه، ومن الأسس العامة التي يقوم عليها التعليم في المملكة العربية السعودية:

١- محمد سيد كيلاني: طه حسين الشاعر الكاتب، ص ١٤٢.

"تقرير حق الفتاة في التعليم بما يلائم فطرتها ويعدها لمهمتها في الحياة على أن يتم هذا بحشمة ووقار، وفي ضوء شريعة الاسلام". (١)

لقد اتيحت الفرصة بالفعل امام الفتاة السعودية لمسايرة ركب الحضارة والعلم ونيل نصيبها منه حتى حصلت على اعلى الدرجات العلمية واصبح هناك معلمات وطبيبات سعوديات تفخر بهن البلاد، وقد نالت الفتاة السعودية ذلك وهي في جو اسلامي، ملئ بالمبادئ والقيم الحميدة، بعيدا عن الاختلاط والسفور والتبرج، والمملكة العربية السعودية باعتبارها دولة اسلامية ملتزمة حريصة على تحقيق ذلك أتاحت للفتيات فرصة التعليم إلا أنها لم تتنازل عن أمر من تعاليم الدين الحنيف واشترطت لذلك الفصل بين الجنسين في جميع مراحل التعليم إلا دور الحضانة ورياض الأطفال، على أن يتم التعليم في جوّ من الحشمة والوقار متفقا في كيفيته وانواعه مع احكام الاسلام. (٢).

هذا ماحققه تعليم الفتاة في هذه البلاد، فالتدريس تقوم به النساء فالمديرة والعاملات والمستخدمات في المدرسة كلهن من النساء، وايضا عند حدوث النقص في المدرسات -خاصة المستويات العليا- في التخصصات التي لا تتوافر فيها الكوادر النسائية فانه يستعان فيها بالرجال مع الأخذ في الاعتبار منع الاختلاط وذلك عن طريق التعليم بواسطة دائرة التلفاز، وهذا الامر معمول به في جامعات المملكة العربية السعودية، ومنها جامعة ام القرى بمكة المكرمة.

١- سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية، ص ٩.

٢- انظر: المرجع السابق، ص ٢٠.

ومن مساوئ الحجاب عند طه حسين أيضا أنه قد يستغل لأعمال الشر، ومعنى قوله هذا أن بعض النساء قد يستخدمن الحجاب وسيلة لارتكاب المفاسد، يقول ما نصه:

"ان الحجاب سبيل من سبل النفاق، وانه يجري تحته من السيئات والآثام ما لو ظهر لنا لاستطعنا علاجه".(١)

ويقول:

"لا شك في أن الحجاب بطبيعته مبغض إلى نفس المرأة ممقوت منها؛ لانه تقييد لحريتها الفطرية التي لم تستند إلى حجة من عقل أوْ دين، ومما لا شك فيه أن عوامل السوء التي تدفع المرأة إلى اقتراف الاثم أقوى من الحجاب، لانها صادرة عن النفس بعد اتقان الحيلة وتمهيد السبيل، فاذا كان للحجاب عمل ظاهر فانما هو اخفاء الشر، واسدال الستر عليه".(٢)

ولو دققنا فيما يقوله طه حسين لوجدنا أنه يستند إلى مسلمات ثلاث وهي:

١- أن الحجاب يتعارض مع حرية المرأة.

٢- أن هناك دوافع شريرة عند المرأة أقوى من الحجاب.

٣- أن الاسلام يأتي بالحجاب دون أن يسبقه أوْ يصاحبه إعداد وتربية خاصة.

١- محمد سيد كيلاني: طه حسين الشاعر الكاتب، ص ١٤١

٢- المرجع السابق، ص

والآن نود أن نناقش المسلمة الأولى: أن من الخطأ أن يربط المرء بين حرية المرأة وبين حجابها؛ لأن الحجاب أن لم يكن هو طريق حريتها ونهضتها فانه لن يكون تقييدا لها، فالحرية التي اعطيت للمرأة في الاسلام مستمدة من نظرة الاسلام إلى الانسان باعتباره خليفة مصداقا لقوله تعالى:

﴿واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة﴾.....الآية(١)

فخلافة الانسان تقتضي أن يكون كائنا ايجابيا متفاعلا مع كل ما يحيط به، ويشير القرآن الكريم في آيات عديدة إلى حرية الانسان -ومن ضمنها حرية المرأة- ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى:

﴿وهديناه النجدين﴾.(٢)

فالحجاب ليس جزءا من الطبيعة الانسانيةلكنه وسيلة تربوية هادفة تعين المرأة على اختيار السلوك الصحيح؛ لذا يعجب المرء من ربط طه حسين بين طرح الحجاب وبين حرية المرأة؛ فالمرأة متى تركت حجابها ومن ثم طهرها وحياءها وعفتها فانها لا شك ستتهاوى في الرذيلة والفساد.

أما فيما يتعلق بدوافع الشر لدى المرأة فنقولا أن لانسان مفطور على الخير مصداقا لقوله عليه الصلاة والسلام: "مامن مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه".(٣)

١- البقرة آية (٣٠)

٢- البلد (١٠)

٣- مسلم بن الحجاج: الجامع الصحيح، ج (٨)، ص ٥٢.

فنفسية المرأة نقية في الأصل، أما الانحراف في مسلكها فأمر طارئ يحدث لأسباب شتى، وقد فرض الله الحجاب من أجل دفع الاثم والسوء، فالاسلام قبل أن يأمر بالحجاب طهر النفس وحصنها بقوة الايمان وصفاء العقيدة، وغذى العقل والروح بالعلم والايمان، فالأصل في الحجاب أن يصون المرأة وان يجنبها مواطن الريبة.

من هنا يتضح خطأ قول طه حسين عندما يقولا أن الحجاب يمهد السبيل امام اقتراف الآثام، قد تقوم بعض النساء الشواذ باتخاذ الحجاب وسيلة لتحقيق غايات لا تتفق مع تعاليم الاسلام، لكن هذا لا يغير من صحة القاعدة الاساسية، ولو صح ما يقوله طه حسين لوجب تحريم شرب الماء أو العصير؛ لان بعض الناس يشرقون من شربه فيموتون.

ومما يؤكد صحة ما يدعو إليه الاسلام أن غالبية المجتمعات الوضعية لا تلتزم نساؤها بالحجاب، وتستطيع المرأة فيها أن تمارس الرذيلة بدون حرج، فهل ادّى ترك الحجاب إلى الحشمة والى العفة؟؟

وآثار الحجاب السيئة لاتقف عند حدود المرأة كما يرى ذلك طه حسين بل تتعداها وتصل إلى الرجل؛ فالعلاقة الزوجية في بيت تلتزم فيه المرأة بالحجاب متوترة يسودها الشك والريبة، ويصور تلك العلاقة فيقول: "ان الحجاب مجلبة لسوء ظن الرجل بزوجته، والمرأة بقرينها إذا كان لأحدهما حظ من علم أوْ نصيب من معرفة، فليس مصدر الحجاب من الرجل إلا الأثرة واحتقار المرأة بسوء السيرة نفسها، وليس مصدر خضوع المرأة للحجاب إلا سوء ظنها بنفسها، والا ضعف عزيمتها وغلوها في الخوف من الرجل ولا شك في أن هذا كله لا ينتج أقل من البغض والنفور بين الزوجين".(١)

١- محمد سيد كيلاني: طه حسين الشاعر الكاتب، ص ١٤٢.

فالحجاب -عند طه حسين - يجعل الرجل سئ الظن بزوجته، والواقع أن العكس هو الصحيح: إذْ كيف يسئ الرجل الظن بزوجته وهي تحجب نفسها عن اعين الغرباء إلا عنه؟ كيف يسئ الظن بزوجته وهي تحفظ نفسها وعفتها وطهرها وكرامتها رضا لله سبحانه وتعالى، ثم من أجل زوجها؟ أن سوء الظن اولى بالرجل الذي تخرج زوجته متبرجة تبرج الجاهلية الأولى، وتخلو بالرجال وتختلط بهم.

أن طه حسين ينظر إلى الحجاب نظرة جاهلية تشاؤمية، فالحجاب في نظره امتهان للمرأة واحتقار لها وأنانية من الرجل، ومصدر سوء في سيرتها، والمرأة متى خضعت للحجاب، فذلك نتيجة لسوء ظنها بنفسها وخضوعها وخوفها من الرجل، وذلك كله لا ينتج إلا التباغض والنفور بين الزوجين.

ولكن الله سبحانه وتعالى وهو خالق عباده، العالم بنفوسهم وطبائعهم، وما يضرهم وينفعهم، وقد جعل منهم الازواج واوجد بينهم المودة والرحمة، ولو كان في الحجاب مضرة للمرأة أوْ الرجل لما أمر الله به اصلا.

ومما يعاب على كتابات طه حسين أنه يعارض نفسه بنفسه في بعض الاحيان، فقد ذكر في موضع سابق أن الحجاب آية فساد الأخلاق في الرجل والمرأة، وانه سبيل إلى الفساد، ثم يعود فيقول:

"إذا كنا نخشى من السفور شرا فلنعلم قبل كل شئ أن هذا الشر ليس لازما (ذاتيا) للسفور انما هو نتيجة لازمة لفساد النفوس، تقع في السفور وتحت الحجاب على السواء وليس لها من دواء إلا أن نتوخى في نهضتنا اصلاح نفس المرأة والرجل اصلاحا دينيا منذ النشأة الاولى، فنشعر قلبيهما حب الفضيلة وبغض الرذيلة، ونملأ فؤاديهما رهبة من

الله ورغبة في مرضاته، وهذا هو الدواء
النافع لهذا الداء العضال". (١)

ورغم تاييده الظاهر هنا للسفور إلا انه ذكر أن الفساد يقع تحت الحجاب والسفور على السواء وليس من علاج لمنع هذا الفساد إلا الاصلاح: اصلاح النفوس وتهذيبها منذ الطفولة وتربية الرجل والمرأة تربية دينية؛ منعا لوقوع الشر والفساد، وهو قبل ذلك يذكر أن الحجاب سبب لوقوع الفساد والشر، واصلاح نفس المرأة والرجل وغرس حب الفضيلة وبغض الرذيلة منذ الصغر لا ياتي نظريا، فلابد من التطبيق؛ لذا فحب الفضيلة عند المرأة يكون في احتشامها وتجنب مخالطة الرجال، وطاعة زوجها، وصيانة بيتها وتربية اولادها، فعلى المرأة المسلمة أن تتمسك بالحجاب وعلى الرجل المسلم أن يشجعها على ذلك سواء كانت اخته أوْ زوجته أوْ ابنته، بل هو مامور بحثها على ذلك.

وعندما يدعو طه حسين إلى ترك الحجاب فانه لا يفوته أن يبحث عن مبررات من الواقع يدعم بها وجهة نظره انه يبرر السفور ويحبذه عن طريق سلوك بعض الأفراد بغض النظر عما إذا كانوا على حق أوْ لا، يقول:

"أريد أن يطمئن المشفقون والخائفون، وأن يقبلوا عن رضى وأمن على هذه الحضارة التي يقبلون عليها عن اشفاق وخوف، واني لأعرف هذا الرجل الصالح الكريم من هذه البيئة المحافظة أوْ تلك ينكر الحضارة الاوربية اشد الانكار وهو غارق فيها إلى اذنيه،

---

١ - محمد سيد كيلاني: طه حسين الشاعر الكاتب، ص ١٤٢-١٤٤.

يتقلب فيها إذا اصبح ويتقلب فيها إذا أمسى، ويدفع اليها ابناءه وبناته دفعا، واني لأعرف قوما كراما صالحين كانوا ينكرون السفور واختلاط الفتيان والفتيات، يجهرون بهذا الانكار ويجاهدون في سبيله، وبناتهم يذهبن إلى المدارس والى المدارس الاجنبية ويتخذن من الأزياء ما ليس بينه وبين الحجاب صلة". (١)

فاذا كان هناك فئة تقول مالا تفعله فهذا ليس قياسا عاما، واذا كانت هناك فئة فتنت بحضارة الغرب رغم تأثرها بأصول دينها، فذلك ليس عيبا في الدين وأهله، انما العيب في الأفراد الذين لم يحكموا عقولهم وامورهم لم يزنوها بميزان الاسلام، فالمسلم المدرك يعرف ماذا ياخذ عن الغرب وماذا يترك، صحيح أنه لايمكننا أن نتناسى الواقع الذي نعيش فيه، لكننا نخطئ أن اتخذنا الواقع معيارا للحكم على الاشياء، فالمبادئ الاسلامية -لاواقع المسلمين- هو المعيار الذي نحتكم إليه لتقرير امور الحياة، وهذه حقيقة اساسية عجز طه حسين عن ادراكها على وجهها الصحيح.

وطه حسين المعجب بفرنسا يصف لنا الحياة فيها بتفاصيلها ودقائق امورها في أحد كتبه بعد أن ذكر فوائد الرحلة إلى اوربا أوْ غيرها من البلاد الاجنبية واوضاع الرجال فيها، يقول:

"أما النساء فلهن منطق معقول: هن متجردات في النهار على الساحل، متجردات في الليل إذا أقبلن إلى الكازينو، ولكنهن لا يطهرن

١- طه حسين: المجموعة الكاملة لمؤلفات الدكتور طه حسين، المجلد التاسع، ص ٦٨.

من اجسامهن في الليل ما يظهرن في النهار،
انما يظهرن في النهار نصفا وفي الليل نصفا
آخر: للنهار الأعجاز والليل الصدور". (١)

وطه حسين حين يذكر منطق النساء فانه يقدم له بمقدمة لطيفة فيها دعاية لتلك البلاد والذهاب اليها في فصل الصيف، وهو الذي احب فرنسا من كل قلبه يقول عنها:

"انا من عشاق المدن ومن عشاق باريس بنوع
خاص، فيها أجد هذه اللذة التي قسم لي ان
آخذ منها بأكبر حظ ممكن وهي لذة العقل
والشعور، فليس غريبا إلا أترك باريس إلا
كارها، وكيف اتركها راضيا وأنا أعلم انني
مادمت في باريس فأنا استطيع أن ارضي فن
عقلي وقلبي وشعوري، أي ناحية شئت". (٢)

وكتب مقالا بعنوان "ادب الصيف" تحدث فيه عن ما يحدث في اوربا إذا اقبل الصيف خاصة فيما يتعلق بالادباء والكتاب ونشاطهم خلال هذا الفصل -الصيف- ثم يقارن ذلك بأدباء مصر وكتابها وينتقدهم بشدة، يقول:

"شيئان اثنان يعنى بهما الكتاب المصريون
إذا كان هذا الفصل: احدهما موسم الامتحانات
وما يثير من ضجيج وعجيج ومن شكاة واستعطاف
ومن نقد للاسئلة ولوم للسائليين، والثاني
مصايف البحر وما تثير من هذا السخط الذي

١- طه حسين : في الصيف، ص ٨٧.

٢-المرجع السابق، ص ٩٢.

تمتلئ به نفوس جماعة من المتحرجين، يغضبون للحياء والأخلاق، وما أظن أن كتابنا يعنون بغير هذين الأمرين من أمور الصيف خاصة". (١)

وهو هنا يتهكم بمن عندهم غيرة على الآداب والأخلاق، وما يعنيه طه حسين هنا هو قضية استحمام الرجال والنساء على الشواطئ أشباه عراة خلال هذا الصيف، وهو يعتبر السخط على هؤلاء المستحمين والكتابة عنهم واستنكار هذه الأخلاق نوع من التحرج والتزمت لاداعي للكتابة عنها كلما أقبل الصيف، ويرى أن هناك أمورا أكثر أهمية يجب أن تثير اهتمام الكتاب. إلا يكون هذا دليلا على رضى طه حسين بمثل هذه الأمور!. ويبدو أن زوج طه حسين السيدة (سوزان) قد لعبت دورا هاما في فكر طه حسين خاصة فيما يتعلق بقضايا المرأة، فهما هي في مذكراتها تتحسر على موت (هدى شعراوي)* تقول:

١- طه حسين : بين بين، مجموع مقالات نشرت في جريدة البلاغ ثم جمعت في هذا الكتاب عام ١٣٧١هـ -١٩٥٢م، ص ٢٠.

* هدى شعراوي بنت محمد باشا سلطان أحد باشوات مصر خلال نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، سافرت إلى فرنسا لتتعلم، سافرت محجبة وعادت سافرة مما أغضب عليها والدها، تحلق حولها بعض النسوة وبعض الرجال، يدافعون عن قضية المرأة في الصحف والمجلات، اتخذت من بيتها صالونا تقابل في الصحفيين والشعراء والكتاب المدافعين عن قضية المرأة سافرة وبدون محرم.

انظر: محمد قطب: واقعنا المعاصر، ص ٢٥٤-٢١٠.

"ثم في نهاية العام، توفيت هدى شعراوي، عندما رفعت ورفيقاتها الحجاب عن وجوههن علانية، لم يكشفن عن وجوههن فحسب وانما يكشفن عن قلوبهن وإرادتهن، كيما تستعيد المرأة المصرية كل ما فقدته خلال القرون الماضية في حياتها المادية وفي كرامتها، تلك المرأة التي استغلت في اغلب الاحيان نسيانا أوْ جهلا بأن القرآن الكريم، لو انه قرئ بامعان ، لا يسمح للمسلمين على الاطلاق بتعدد الزوجات، كانت مناضلة بلا عدوانية، دائمة النشاط مستعدة دوما لطلب النصيحة والمعونة ممن يستطيع منحها، وكان وجهها الهادئ النبيل الذي لا ينسى فيض طاقة وفيض عذوبة". (١)

هذه الزوجة الفرنسية المسيحية المتمسكة بمسيحيتها تفسر القرآن أيضاً وتدلي بدلوها في قضية تعدد الزوجات، أنها تمتدح هدى شعراوي رائدة النساء في مجال الثورة على المجتمع والمطالبة بتحرير المرأة واتاحة الفرصة امامها ومساواتها بالرجل.

يظهر لنا مما تقدم أن طه حسين حارب الحجاب وعدد المساوئ التي تنجم عنه عند المرأة اولا ثم عند الرجل ثانيا، وقد تبين لنا تهافت الحجج التي حاول الاعتماد عليها عند تقرير هذه المقولة المغلوطة.

١- سوزان طه حسين: معك، ص ١٥٦.

ولا شك ان كل من يدعو إلى ظهور المرأة متبرجة ويحثها على الاختلاط مقلد للغربيين فيما ساروا عليه، وصدق الرسول الكريم إذْ يقول:

"لتتبعن سنن الذين من قبلكم، شبرا بشبر
وذراعا بذراع حتى لو دخلوا في جحر ضب
لاتبعتموهم، قلنا: يارسول الله! اليهود
والنصارى؟ قال: فمن". (١)

١- مسلم بن الحجاج: الجامع الصحيح، ج (٢)، القسم الثاني، ص ٢٢٠.

رابعا: عمل المرأة

شجع طه حسين تعليم المرأة وبسر دخولها الجامعة، ونادى بوجوب ذلك ودعا إليه، وقد كانت دعوته لتعليم المرأة بداية لاقتحامها مجال العمل وتيسيره، فمن حق المراة المتعلمة -في نظره- أن تعمل مؤكدا ذلك بقوله:

> "ما الذي يخافه الناس إذا ما تعلمت الفتاة كما يتعلم الفتى، وتصرفت في شئون الحياة كما يتصرف فيها، ثم تزوجت بعد ذلك ففرغت لشئون الاسرة أن ارادت أن تتفرغ لها، واضافت غيرها -ان استطاعت أن تضيف اليها غيرها- هذا شئ يحدث في كل مكان ويحدث في كل وقت ولا تظهر له آثار خطيرة على الحياة الاجتماعية بحال من الاحوال".(١)

وهذا رأي لا اعتراض عليه فللمراة حق العمل إذا ما وجدت في نفسها المقدرة على أن توفق بين وظيفتها الاساسية في الحياة وبين عملها، ولا شك أن المجتمع سيجني ثمرة عملها إذا ماتم وفق الضوابط التي لا تخرجها عن حدود ما شرعه الله لها في هذا الشأن، وقد وضح طه حسين رأيه في عمل المرأة بصراحة في مناسبة تخرج اول دفعة من الجامعيات حيث كتب مقالا، قال فيه:

١- محمود أبو زيد عثمان: "رد على مقالة: خريجات الجامعة لايصلحن زوجات" مقالة نشرت في: النذير. العدد(٢) من السنة الخامسة- ٢٦ محرم ١٣٦١هـ. ص ١-٢.

"لانحب أن نكتفي بتسجيل الفوز، ولا نريد أن نقف عند تهنئة مصر والمرأة المصرية وآنساتنا الناجحات، وإنما نريد أن نعرف ماذا أعدت مصر، أوْ ماذا تريد أن تعد لهؤلاء الفتيات اللاتي خرجن من الجامعة واللاتي سيخرجن منها يتبع بعضهن بعضا". (١)

وفي موضع آخر قال:

"ليس يكفينا أن يقال أن فتياتنا قد ظفرن بالدرجة الجامعية وإنما نريد أن ينفع ظفرهن بهذه الدرجات، وأن تفتح هذه الدرجات لهن أبواب النشاط في فروع حياتنا المختلفة". (٢)

ومقولة طه حسين السابقة لاغبار عليها، فتعليم الفتاة يفيدها في شخصها أولا، ثم يفيد مجتمعها، حيث تسهم في نهضته ورقيه، فهناك العديد من المجالات التي يمكن للمرأة أن تحقق فيها النجاح، فالاسلام اساسا لم يمنعها من العمل خارج البيت ولكنه اشترط شروطا يجب أن تلتزم بها عند خروجها من بيتها، واحكاما تقيد سلوكها عامة، يتحتم على أي مسلمة أن تلتزم بها.* والعبرة في نجاح عمل المرأة تعود إلى نوعية العمل وظروفه، فهل تطرق إلى ذلك طه حسين ؟! هذا ما ستوضحه السطور التالية.

١- طه حسين : شارع قوله، ص ٦٤.

٢- المرجع السابق، ص ٦٤.

* في الفصل السابق اتضح لنا أن الاسلام وضع ضوابط لخروج المرأة من البيت، فلا سفور ولا تبرج ولا اختلاط بالرجال في الاسلام.

الواقع أن طه حسين لم يحدد المجالات المناسبة لعمل المرأة وجعله مطلقا، وهو يعلم ان الفقر احد أهم اسباب خروج المرأة للعمل إذا لم تجد من ينفق عليها من ذويها واهلها، ولكنه يرى أن غيرها له الحق أيضاً بالعمل يقول:

"لماذا يباح العمل الخارجي للجاهلات
الفقيرات ولا يباح للمتعلمات من الطبقة
الوسطى أوْ من طبقة الأغنياء؟".(١)

وعمل الجاهلات أمر واقع، قبل به طه حسين، وكان الأجدر به أن يبحث في الظروف التي يجب أن يتم فيها عمل هؤلاء الفقيرات الجاهلات وغيرهن من المتعلمات، والواقع ان المتعلمات من الطبقة الوسطى أوْ من طبقة الأغنياء اول من سار على النهج الغربي من حيث السفور والتبرج، وهذا ادى إلى ردة فعل عنيفة للمجتمع لما في ذلك من مخالفة لتعاليم الدين وتقاليد البلاد الاسلامية، ففي مصر مثلا كانت اوائل الفتيات المتعلمات اللواتي اقتحمن مجالات العمل من السافرات اللاتي نزعن الحجاب ونزعن معه الحياء والوقار.(٢) واذا كان طه حسين يرى أن عمل المرأة بصفة عامة ليس له آثار خطيرة على الحياة الاجتماعية بحال من الأحوال(٣)، فان هذه الآثار الخطيرة التي يتحدث عنها قد لا تظهر اذاكان مجال عمل المرأة في نطاق ما أمر الله به

١- محمود أبو زيد عثمان: "رد على مقالة: خريجات الجامعة لايصلحن زوجات" مقالة نشرت في: النذير. العدد(٢) من السنة الخامسة- ٢٦ محرم ١٣٦١هـ. ص ١-٢

٢- انظر: محمد قطب: واقعنا المعاصر، ص ٢٦٨-٢٦٩.

٣- انظر: محمود أبو زيد عثمان، مرجع سابق.ص ١-٢.

ورضي عنه أما إذا كان عكس ذلك فان هذه الآثار ستظهر جلية واضحة، وهاهي مجلة النذير ترد على مقولة طه حسين بهذه العبارات:

"وقع أسوأ ما نخشاه فشغلت الفتاة مكان الفتى في المصالح الحكومية والشركات التجارية فانقلب الوضع، وتضاعف عدد العاطلين المثقفين فزاد بذلك الامور تعقيدا، واقترب بالامة من خطر المبادئ الهدامة".(١)

وهذا الوضع نجده في معظم الدول التي سمحت للنساء بالاشتغال باعمال الرجال وحل محلهم في الوظائف والاختلاط معهم والخلوة بهم، والنتائج السيئة لخروج المرأة إلى العمل يبدو واضحا في الغرب وسيؤول حال الدول التي تحذو حذوها إلى نفس النتائج، فما انتشار الزنا والاجهاض والشذوذ الجنسي والخيانة الزوجية ونكاح المحرمات، وابتزاز المرأة العاملة جنسيا إلا من نتائج خروج المرأة والاحتكاك بالرجال والخلوة بهم(٢). هذا عدا الآثار الجانبية السيئة التي تنطبع على الأبناء والاسرة، حيث تفككت الاسرة وضاع الابناء، وما ازدياد نسب الطلاق بين الازواج إلا نتيجة لتقليد الغرب ومحاكاة نسائهم، وتؤكد بعض الاحصائيات ذلك:

١- انظر: محمود أبو زيد عثمان: "رد على مقالة: خريجات الجامعة لايصلحن زوجات" مقالة نشرت في: النذير. العدد(٢) من السنة الخامسة- ٢٦ محرم ١٣٦١هـ. ص ١-٢.

٢- لمزيد من التفاصيل انظر: عمل المرأة في الميزان: للدكتور محمد علي البار، ص ١٢٢-١٩٦.

"فقد بلغت نسبة الطلاق إلى عدد الزيجات في فنلندا ٢٤٪ وفي الاتحاد السوفياتي ٢٨٪ وفي المانيا الشرقية ٣٠٪ وفي الولايات المتحدة الامريكية ٤٠٪ وفي السويد ٦٠٪. وتذكر الدراسة التي نشرت هذه النسب أن ثلثي الراغبات في الطلاق في فرنسا من اللواتي يمارسن عملا أو مهنة".(١)

الواقع أن طه حسين لم يحدد ظروف العمل المناسبة للمرأة، كما أنه لم يضع محظورات لعملها، وهذا يدل على أنه لم يفرق بين عمل المرأة وعمل الرجل وقد يساوي بينهما في ذلك، ويريد للمرأة أن تعمل بغض النظر عن نوعية العمل، ومما يؤكد وجهة نظري هذه أنه اعجب بالممثلات ونجوم السينما وكتب عنهن، ونادى بوجوب الاقتداء بهن، والشاهد على ذلك رأيه عن أحد ممثلات فرنسا وهي سارة برنار، يقول ما نصه:

"كنت اذكر مصر واسأل نفسي: متى يتاح لمصر نابغة كسارة برنار أوْ على اقل تقدير متى يبلغ اهل مصر من الرقي العلمي والخلقي ما يمكنهم من أن يقدروا نابغة كسارة برنار؟ لم تنبغ في السياسة، ولا في الدين، ولا في

١- محمد رشيد العويد: رسالة إلى حواء، ص ٦٦.

العلم، وانما نبغت في الفن، وهو فن سيئ الحظ عند المصريين". (١)

فهذا نموذج واضح وصريح لأحد المجالات التي يقترحها طه حسين لتعمل بها المرأة، فهل تليق مثل هذه المهن بالمرأة المسلمة، وهل تنزلها منزلة العزة والكرامة وتحفظ لها عفافها وطهرها الذي اراده لها الاسلام!! هذا ما يجب أن يركز عليه المرء عندما يفكر في اشراك المرأة في خدمة المجتمع.

١- طه حسين : من بعيد، ص ٢٤.

خامسا: الآداب التي يجب أن تتحلى بها المرأة
(الحياء - العفة- حسن المعاشرة).

كتب طه حسين في العديد من الموضوعات: علم التربية، السيرة، الادب، السياسة، علم الاجتماع، وغيرها من الموضوعات، إلا أن تصوره عن المرأة يظهر بوضوح في أدبه سواء المقالة أو القصة أو الشعر، أو ما يترجمه عن الفرنسية خصوصا تلك الروايات.

"ان المرأة تصور جانبا من أهم الجوانب الاجتماعية في ادب طه حسين فهي عنده تتمثل في الأم الصعيدية العريقة الحصان، والكاعب الصعيدية الرزان، والغانية اللعوب، وتاجرة الاسرار والنوايات، والمرأة الميسورة المستغنية بجاه اسرتها، والمرأة الفقيرة الكادحة المتجملة، والمرأة المنكودة المتعففة، والمرأة الأثيرة عند زوجها، والزوجة المبتلاة بما يكون في حياة الضرائرمن محنة وعذاب، والعذراء أو الكاعب التي اوتيت من رقة القلب ورهافة الحس مالا تفهمه أو تسيغه بيئتها وتضيق به دنياها تلك التي صاغ العرف الاجتماعي قوالبها الفولاذية الصماء".(١)

ولمناقشة آراء طه حسين حول آداب المرأة -في نظره- فسوف أعرض بعض النماذج التي تدور حول المرأة رواية كانت أو مقالا أو من

١- السيد تقي الدين: طه حسين آثاره وأفكاره، ص ٢٦-٢٧.

القصص التي قام بترجمتها إلى العربية، وفيما يلي مقال كتبه عام ١٢٥١هـ- ١٩٣٢م بمناسبة زيارة ملكة الجمال لمصر، عنوان المقالة "ملكة الجمال": (١)

> "انظر إلى ملكة الجمال التي شرفت مصر بزيارتها هذه الايام لم تكد تهم بهذه الزيارة حتى سبقتها الأنباء فطربنا واستشعرنا شيئا من الغبطة لاحد له، وتفضلت صاحبة الجلالة الصحافة فقامت لزميلتها في الملك بما يجب من الاعلان ونشر الدعوة، ثم وصلت ملكة الجمال فلم يكن بد لصاحبة الجلالة الجميلة من أن تتناول الشاي عند صاحبة الجلالة الفصيحة الغالية، وكانت دار الجهاد ملتقى الملكتين على مائدة صديقي توفيق دياب وتفضلت الملكتان ملكة الجمال وملكة الكلام بشئ من العطف الغالي الكثير على طائفةمن الرعية المولهة المفتونة وكنت ممن مسهم هذا العطف..."

فهو يرى أن زيارة ملكة الجمال لمصر شرف لبلاده ومصدر سعادة وسرور لشعبها، ولا أعتقد بأن شعب مصر كله يشعر بهذا الشعور ويفتخر بهذه الزيارة اللهم إلا فئة قليلة ممن تأثر بثقافة الغرب وساروا سيرتها، فليس لمسلم ثابت العقيدة أن يؤمن بأهمية زيارة من هذا النوع أوْ يلقي لها بالا وهي في واقعها مما لا يرضى عنه الله ورسوله، هذا وقد اعتبر طه حسين حديث ملكة الجمال نوعا من اللطف

١- طه حسين : "ملكة الجمال"، مقالة نشرت في : مجلة الرسالة، العدد الرابع، السنة الاولى، القاهرة، الصفحة الاولى والثانية وص ٤١-٤٢.

ويقول بعد ذلك:

"وملكة الجمال طريفة كما ينبغي أن تكون، فلم تكد تصل إلى مصر حتى ادت طائفة من الواجبات يفرضها عليها جلالة الملك وسماحة الجمال بدات فقيدت اسمها في قصرنا الملكي العالي ثم ثنت فزارت رئيس الوزراء... ثم فكرت في مصر التي لا تشتغل بالسياسة انما تشتغل بالاصلاح الاجتماعي والاقتصادي فتفضلت بزيارة حضرة صاحبة العصمة رئيسة الاتحاد النسائي وزارت دار الاتحاد وشهدت فيه التمثيل وزارت دور الصناعة والتجارة، وهي في هذا الزيارات تؤدي لكل حقه بما فطرت عليه من جمال وظرف وادب ورشاقة وخفة روح"(١).

هذا بعض ما كتبه الدكتور عن ملكة الجمال التي زارت مصر، ويحق للمرء أن يتساءل عن مدى أهمية الزيارة وعن مدى صلتها بالاصلاح الاجتماعي؟ كما أن الملكة في نظره تتميز بالظرف والجمال والرشاقة وخفة الروح والأدب، أي أدب هذا الذي تتمتع به؟ اين الآداب الاسلامية التي ارادها الله للمرأة؟ أن ما يجدر ذكره في هذا المقام أن اختيار ملكات الجمال يتم وفق مقاييس وسمات معينة تختار على اساسها ملكة الجمال وهذا يستدعي من المتسابقات عرض اجسادهن

١- طه حسين : "ملكة الجمال"، مقالة نشرت في : مجلة الرسالة، العدد الرابع، السنة الاولى، القاهرة، الصفحة الاولى والثانية وص ٤١-٤٢.

وجمالهن وهن اشباه عراة -يرتدين ملابس البحر- امام لجنة غالبية اعضائها من الرجال، وهؤلاء هم الذين يحددون بدورهم اكثر المتسابقات جمالا وفتنة واقربهن لتلك المقاييس ومثل هذه الممارسات تنطوي على وأد لحياة المرأة لان فيها اهانة شديدة وخدش لكرامتها وحيائها ومكانتها في المجتمع.

واذا كان لادخل لطه حسين في اختيار ملكة الجمال وطريقته، فان الأسلوب الذي رحّب به بملكة الجمال يدل على اعجابه بتلك الممارسات، لقد روّج طه حسين هذه الأخبار في الصحف والمجلات وامتدحها وزينها في أعين القراء وهي أبعد ماتكون عن الحياء والعفة واهتمامات الأسرة المسلمة.

ولا يكتفي طه حسين بما كتبه عن ملكة الجمال، بل نجده يحيل القارئ إلى قصة تمثيلية عنوانها "مس فرانس"، يقول في نهاية مقالته:

> "فننصح للقارئ الكريم بأن يقرأ قصة تمثيلية بديعة أنشأها الكاتبان الفرنسيان جورج بير ولويس فرنويل، موضوعها ملكة الجمال ... فسيجد القارئ في هذه القصة جدا وهزلا وفكاهة وصراحة ولذة قوية على كل حال...".(١)

هذا ما ينصح به طه حسين القراء، الاطلاع على اخبار ملكات الجمال وقصصهن وأدبهن وهي قصص وأدب لا تمت بصلة إلى القارئ المسلم ولا تهمه بحال من الاحوال لأنه لا يجني منها بالتأكيد أي فائدة.

١- طه حسين: "ملكة الجمال" مقالة نشرت في مجلة الرسالة العدد (٤) السنة الاولى، ٥/١١/١٢٩١هـ -اول مارس/١٩٧٢م، ص ١-٢ و ص ٤١-٤٢.

وموضوع آخر كتب عنه طه حسين كان في مقدمة مقالات ضمها كتابه من بعيد بعنوان ساره برنار، سجل فيها عدة صفحات بمناسبة موت الممثلة الفرنسية ساره برنار عام ١٢٤١هـ -١٩٢٢م، وبعد مقدمة تحدث فيها عن هذه الممثلة يقول:

"كانت -سارة برنار- فتنة باريس وكانت تحرص على أن تظل فتنة باريس فكانت تفعل كل شئ يجعلها حديثا لأهل باريس".(١)

"ومصدر نبوغها وافتتان الناس بها ثلاثة اشياء: صوتها وحركاتها في الملعب، يقول جول ليمتير: فقد أحدثت في التمثيل مالم يحدثه أحد من قبلها، فكانت تلعب بجسمها كله، أي أنها كانت تحقق ما تمثله، فلم تكن تخيل إلى الناس أنها تلثم وانها تعانق وانما كانت تلثم وتعانق بالفعل، وكانت تفعل ما هو ابلغ في الدهشة من اللثم والتقبيل والمعانقة، والثالث ذكاؤها..."(٢)

١- طه حسين : من بعيد، ص ٢٧.

٢- المرجع السابق، ص ٢٩.

"كانت تدهش الناس بازيائها المختلفة الغريبة، تتخذ زيّ الرجال حيناً، وبدعاً من أزياء النساء حيناً آخر.. كانت تدهش الناس بأحاديثها ومقالاتها وصورها".[1]

هذا هو أحد الموضوعات التي افرد لها طه حسين عدة صفحات من كتابه، يتحدث عن هذه الشخصية بكل الاعجاب رغم أنه لم يسمع هذه الممثلة ولم يحضر تمثيلها -على حسب قوله- فهو يمجدها ويمتدحها ويعلي من شأنها وقدرها، فمن هذه المرأة؟ أنها من أم يهودية وأب يقال أنه يهودي تنصر[2]، لايهم في نظر طه حسين، ففرنسا تكتب عنها وترثيها، ولابد له من مشاركة المصريين في ذلك، وهو يتمنى أن يتاح لمصر نابغة كهذه ويدعو لذلك، فمنذ متى كان امثالها رمز رقي الأمم ونهضتها؟ أن هذه الممثلة تقوم باعمال مستقبحة فهي تلثم وتقبل وتعانق وتتشبه بالرجال في زيها. وهي ولا شك انصع مثال على السلوك السيئ، ومنذ متى كانت المرأة تمتهن تلك المهنة: التمثيل والفن؟ وتتخلق بهذه الاخلاق وإن كانت فرنسا تقبل ذلك وتسيغه، فنحن لانرضى به فالرسول عليه الصلاة والسلام ذكر في حديث صحيح أن الحياء من الايمان.[3]، ونهى عن تشبه النساء بالرجال، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

"لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المتشبهين من الرجال بالنساء ولعن المتشبهات من النساء بالرجال"[4].

1- طه حسين : من بعيد، ص ٢٧

2- المرجع السابق، ص ٤٥.

3- انظر: البخاري: صحيح البخاري، ج (٨)، ص ٢٠٥.

4- ابن ماجه: سنن ابن ماجه، ج (١)، ص ٥٨٩.

أن تاريخ الأمة الاسلامية مليْ بمشاهير النساء المسلمات الطاهرات العفيفات الكريمات، لا تتسع لها صفحات كتابه، برعن فيما هو ارقى واطهر واشرف من التمثيل، فيهن من برعت في قول الشعر النظيف، ومن برعت في الطب، والفقه، واللغة، إلى غير ذلك من المجالات التي لا تتنافى مع حياء المرأة وعفتها وايمانها، هذا ماينفع نساء المسلمين، فهن في غنى عن معرفة أخبار اهل السوء من الغربيات، بل هن ارقى واعلى شانا من ان يسمعن اخبار هؤلاء اوْ يشهدن اعمالهن.

وفي كتابه من بعيد مقال آخر بعنوان "في ملاهي باريس" بدأ مقاله بقوله:

"نعم لقد لهوت وكانت رغبتي في اللهو من البواعث القوية التي حببت الي الذهاب إلى باريس".(١)

"لهوت في باريس واختلفت فيها إلى اندية اللهو التي هي زينة تلك المدينة وبهجتها، ولها في رفع شان باريس وتقديمها على غيرها من مدن الارض أثر قد لا يكون اقل من أثر (السربون) و (الكوليج دي فرانس) والمجامع العلمية المختلفة...".(٢)

وفي نهاية المقال يلخص طه حسين قصة شاهدها في ملعب "الباليه رويال" عنوانها "قبلني" اقتطف منها هذا الجزء:

"يعلن الفتى للمرأة حبه، فاذا هي تضطرب لهذا الحب اضطرابا عنيفا، واذ الحب قد أزال ما كان بينهما من مسافة مادية ومعنوية، واذا هو يتجاوز القبلة، فاذا كان

١- طه حسين : من بعيد، ص ١٨٢.

٢- المرجع السابق، ص ١٨٤.

الصبح فهي آسفة نادمة تتقطع لوعة وندما
لأنها اقترفت هذا الاثم مع رجل ليس من
طبقتها، وهي تريد أن تاخذ نفسها باشد
انواع العقوبة، تريد أن تزهد في الحياة
وتذهب إلى الدير، والفتى بين يديها يعتذر
ويستغفر ويعلن اليها في ضراعة ومذلة انه
سيبرح القصر حتى لاترى وجهه البغيض، فاذا
سمعت هذه الجملة غضبت غضبا لاحد له وعنفت
الفتى تعنيفا ثقيلا قائلة: اهكذا تريد أن
تسليني عن هذه النكبة المنكرة؟ ثم فهمنا
أنها تريد نوعا آخر من التسلية وفنا آخر
من فنونه النسيان والعزاء". (١)

هذه هي الافكار واشباهها ماتدور حوله كتابات طه حسين عن باريس ومترجماته، وما يرويه عن باريس وليالي باريس، لقد اعجبته ملاهي باريس ومسارحها التي تعرض مثل هذه المهازل والقصص الغرامية التي هي ابعد ما تكون عن اللهو البريْ، وعن الذوق السليم، فهي تدور حول الحب والخيانة والعلاقات الآثمة المصورة بابدع الصور وجميل العبارات.

أما كتابه في الصيف ففيه فصل عن ملعب في باريس هو (باريس رويال) يقول عنه:

"في هذا الملعب الصغير تعرض عليك الحياة
الفرنسية كلها: ادبها وسياستها وعلمها
وتجارتها وزراعتها وطبقات الشعب

---

١ - طه حسين : من بعيد، ص ١٩٢



المختلفة... شهدت فيه هذا العام قصتين،
فلن أنسى ثانيتهما التي كان موضوعها
الوزراء الفرنسيون في حياتهم الخاصة بين
ازواجهم وخليلاتهم، ومهما انسى فلن انسى
أحد هؤلاء الوزراء وقد كلف بفتاة كانت تعمل
في مكتبه وما يزال بها حتى ترتفع بينهما
الكلفة واذا هو قد نسي نفسه ومكانته
ومنصبه وامرأته وكل شئ واصبح رجلا من عامة
الشعب امام امرأة من عامة الشعب، واذا هو
مستلق على الأرض يعبث بيديه ورجليه ويمتلئ
فمه بالضحك واشنع الفاظ المزاح، ويدخل
رئيس الوزراء فيرى زميله في هذه الحالة
فهو دهش مبهوت ولكنه لا يكاد يخلو إلى هذه
المرأة حتى يكلف بها، واذا هو يكيد
لزميله، واذا هو يتملقها ويتقرب اليها،
واذا الكلفة قد ارتفعت بينهما، واذا انت
تسمع من الرئيس مثلما كنت تسمع من
صاحبه... الخ".(١)

هذا ما اختاره طه حسين مما يعرض في هذا الملعب من حياة فرنسا، لم يختر علمها أوْ سياستها أوْ تجارتها وزراعتها، وقد يكون هذا في نظره أهم من تلك، وهذه القصة التي رواها طه حسين تصور ابشع صور الخيانة الناتجة من الاختلاط بين الجنسين في العمل والسفور والتبرج وفيها تصوير لسوء العلاقة بين الزوجين

١- طه حسين : في الصيف، ص ٦٤-٦٥.

وضعف الروابط بينهما، يرويها طه حسين مستسيغا لها محببا لها، لا ناقدا أوْ مرشدا أوْ مصلحا.

وما يعجب طه حسين في قصص الآخرين هو موضوع الحب والمحبين واخبارهم، فهو يدعو إلى قراءتها ويدلهم عليها[1]، فأخبار الحب - في نظره- أهم من اخبار السياسة وسواها، هذا بالاضافة إلى ما كتبه -طه حسين- عن اللهو والمجون ومجالس شرب الخمر والنساء والغزل فيهن في كتابه حديث الاربعاء والذي خصصه للحديث عن الشعراء في العصر الثاني للهجرة وما يمتاز به هذا العصر من فسق ومجون ولهو عن طريق سرد اخبار بعض الشعراء واشعارهم مثل بشار بن برد وابو نُواس وغيرهم!![2].

وبعد هذا العرض السريع لبعض النماذج مما كتب طه حسين أوْ ترجمه نقول أنها أبعد ما تكون عن الحياء والعفة، فهو تصوير دقيق للرذيلة والخيانة، وفيها من الالفاظ ما يحرك الشهوات ويثيرها عن طريق الوصف الفاضح للنساء وجمالهن ورقتهن وظرفهن، وما يصوره وكأنه مشاهد من العلاقات المحرمة بين الرجل والمرأة، وهي كتابات لا ترضي من في قلبه ايمان ومن في عقله فكر، وهي بكل تأكيد لا تسهم في اصلاح المجتمع أوْ النهوض به، وطه حسين يكتب ويترجم تلك الروايات بما فيها من ذكر لمجالس الخمر وقصص الحب والغرام، والعلاقات الآثمة، فهو لايحسن اختيار القصص وموضوعاتها ومدى ملاءمتها للقارئ المسلم وذوقه ومبادئه وقيمه، كما أنه يترجم الكتب ترجمة حرفيه بما فيها من مساوئ دون ذكر لسلبيات الكتب أوْ القصص أوْ النتائج السلبية السيئة التي أدت إليها تلك العلاقات الآثمة بين الجنسين.

١- انظر: طه حسين: نقد واصلاح، ص ٩٩-١٠٤.

٢- انظر: طه حسين: حديث الاربعاء، ج(٢)، ص ٢١-٤٩-٢٦١ على سبيل المثال.

وكما هو واضح من استعراضنا لهذا الفصل -الخاص باتجاهات طه حسين حول المرأة- أن الكاتب من خلال اسلوبه الأدبي المنمق، يفصل فصلا تاما بين الشكل والمضون، فهو يعتني بما يكتبه ويظهره بصورة مميزة فنيا من حيث اللغة والاسلوب وتسلسل الافكار... وغير ذلك، صارفا النظر عن مضمون هذا القالب الفني وما يحويه من افكار واتجاهات وقيم.

ولا شك أن اعمال طه حسين الادبية وكتاباته لا يمكن أن تنسب للادب الاسلامي مالم تتسم بخصائصه "فاولى خصائص الأدب الاسلامي أنه أدب ملتزم"(١) والالتزام لا ينفصل عن الانسان، ولا يبتعد عن فكره وسلوكه ومجتمعه، ومن خلال هذا الاطار يكون "الأدب الاسلامي التزام بالاسلام، والتزام بالكلمة والتزام بالعقيدة، والتزام بالسلوك".(٢)

وعلى ضوء ذلك فالكاتب الاسلامي ملزم باتباع ما جاء به الاسلام من احكام وتوجيهات ولا يحق له أن يحيد عنها، عندها يمكن القول بأن ماكتبه ينتمي إلى الأدب الاسلامي الذي عرّفه محمد قطب بأنه:

"التعبير الجميل عن الكون والحياة والانسان
من خلال تصور الاسلام لهذا الوجود"(٣)

١- صالح آدم بيلو: من قضايا الأدب الاسلامي، ص ٦٥.

٢- محمد حسن بريغش: في الأدب الاسلامي المعاصر دراسة وتطبيق، ص ٣٧-٤٠.

٣- صالح آدم بيلو: مرجع سابق، ص ٢٨.

فاذا نزعت من الأديب صفة الالتزام بالاسلام في سلوكه وعمله وتفكيره، فلا عجب أن يدعو إلى الآثام باسم الفن، ويروج للمنكر باسم الأدب، ويخلط في التفكير والمنهج باسم الموهبة والأدب.(١)

وللأدب أهمية كبرى في توجيه الأفراد والتحكم في سلوكهم وعقائدهم، ومع هذا نلاحظ العديد من الكتب الادبية التي تعج بها مكتباتنا لكثير من الكتاب والادباء، نجدها أبعد ما تكون عن التصور الاسلامي.

ففي ميدان القصة مثلا نجدهم يزرعون السلوك المنحرف ببراعة، ويمثلون الشخصيات المنحطة أبطالا عظاما لرواياتهم، وخاصة عندما تعرض هذه القصص ممثلة على شاشات التلفاز وصالات عرض السنما، واشرطة الفيديو، حيث يتم عرض هذه الأفلام على شريحة كبيرة من افراد المجتمع باختلاف اجناسهم وثقافاتهم واعمارهم.

ونظرا لخطورة دور الادب -كما اسلفنا- في توجه الأفراد وبالتالي الامة باكملها، فانه عند تقديم مثل هذه الاعمال الادبية كالقصص والروايات وغيرها البعيدة عن الواقع الاسلامي، ومن خلال قوالب فنية مشوقة عند تقديمها للقراء، فانها حتما ستنجرف في تيار ضال متخبط، لذا فان اديبا مثل طه حسين قادر بأسلوبه الجزل غير الموجه والغاطه القوية، واختياره لقوالب فنية شتى، أن يؤثر من خلال ماجاء به في التربية بشتى مناحيها ومجالاتها، فالادب ليس مجرد لوحة فنية تعرض على المتلقين لامتاعهم بجمالها، وافتانهم بزخارفها، لكنه اداة كبرى بيد صاحبها تسيير دفة جيل كامل، وتوجيه تفكيرهم ومداركهم باتجاه هذه الدفة.

١- انظر: محمد حسن بريغش: في الأدب الاسلامي المعاصر دراسة وتطبيق، ص ٢٨.

"وهنا تبرز اهمية الادب ودوره؛ لأنه سيحمل الفكرة ويبشر بالعقيدة، ويزين للناس مايحب الكاتب والاديب ، أوْ ينبه على الخطر، وينفر من الشر، ويحذر الناس من السوء... فالاديب المسلم سيكون في موضع التوجيه والريادة والتاثير، وسياخذ لونا من الوان الدعوة، وصورة من صور القدوة".(١)

ولنا من خلال ذلك في ادبنا الاسلامي خير مثال لان العقيدة هي المحضن لأول للأدب، وفي ظلها ولدت اجناسه كلها وفي رعايتها نمت وتطورت، فالاسلام يمنح الادباء الملتزمين به فكرا وسلوكا وقدرا كبيرا من التصورات الموحدة والقضايا والمواقف المتشابهة الذي يبني ادبا متجانس السمات فيقال "ادب اسلامي"(١)، وهذا ما يجب أخذه في الاعتبار عند اختيار الاعمال الادبيه سواء لتقديمها للطلبة والطالبات في المدارس والجامعات اوْ ضمها لمكتبات النوادي وبيوت الشباب، وعلى الوالدين الاسهام في اختيار الكتب لأبنائهم عن طريق الارشاد والتوجيه ومعرفة ما ينبغي مطالعته، وما يجب الابتعاد عنه من الأعمال الادبية المختلفة؛ لتتم الاستفادة ويتحقق الهدف منها، خاصة بعد أن عرفنا تاثير هذه الأعمال الأدبية في توجيه افكار وسلوكيات الأفراد.

١- محمد حسن بريغش: في الأدب الاسلامي المعاصر دراسة وتطبيق، ص ٢٧.

٢- انظر: عبد الباسط بدر: مقدمة لنظرية الأدب الاسلامي، ص ٢٤ و ص ٨٩.

نتائج البحث والتوصيات

عنيت هذه الدراسة بالتركيز على القضايا المتعلقة بتربية المرأة وإبراز مكانتها الاجتماعية في ضوء الاسلام، فقد تجاذبت هذا الموضوع العديد من الآراء والاتجاهات الفكرية المعاصرة، فمالت إلى التفريط تارة والى الافراط تارة أخرى؛ لذلك عمدت في الفصول السابقة إلى مناقشة أبرز اتجاهين متمايزين في الفكر المعاصر تناولا هذا الموضوع، احدهما ممثلا بالمودودي؛ فقد عمل فيه على استقاء الآراء في هذا الشأن من المصادر الاسلامية الاصيلة، مع الاخذ في الاعتبار معطيات العصر الحاضر ومتطلباته فيما يتعلق بالمراة وتغير الظروف البيئية والاجتماعية التي تحيط بها، والتركيز على طبيعة وظيفة المراة وتكوينها العضوي والنفسي، أما الاتجاه الاخر فهو ممثلا بفكر طه حسين وآرائه التي انبعثت من دعوته للتغريب والسير وفقا للتغيرات الاجتماعيةالمعاصرة، لذلك فقد أيد الاختلاط والسفور وما الى ذلك من ممارسات تتعارض مع طبيعة المراة ووظيفتها السامية التي أخرجت المرأة من تعاليم الاسلام وتشريعاته التي تصون عفافها وكرامتها.

والمقصود من مناقشة فكر هاتين الشخصيتين إسقاط الدعوى القائلة بالدور الاساسي لتغيرات العصر وظروفه الاجتماعية في توجيه سلوك الفرد، وإنه لابد من فهم تعاليم الاسلام وتشريعاته في نطاقها، فالمودودي وطه حسين عاصرا نفس المتغيرات والظروف الاجتماعية بالرغم من الاختلاف المكاني. ومن ثم فان أساس التمايز الفكري بين هذه الاتجاهات ماهو إلا حصيلة عاملين أحدهما سلبي وهو الاستجابة لنوازع الهزيمة الروحية الداخلية الناتجة من

الانبهار بثقافة الغرب وتقدمه المادي، والآخر ايجابي وهو الرؤية الواعية الحصيفة لزيف هذا التقدم وثقافته والاسس التي قام عليها. وقد كان من أبرز النتائج التي توضح مكانة المراة وتربيتها ودورها في الحياة الاجتماعية في العصر الحاضر وفق تعاليم الدين الاسلامي الحنيف مايلي:

أولا:- أن الاسلام أكد على مساواة المراة بالرجل في الحقوق والواجبات الانسانية المتعلقة بالفرد المسلم، من موقع التكليف الالهي للرجل والمراة على حد سواء، بذلك كان التمايز بينهما تمايز تكليف للرجل لا تشريف له. والتاكيد على هذه المساواة يوجب الاهتمام بتربية المراة وتعليمها وتعريفها بتعاليم دينها لتعرف حقوقها، وتتمكن من اداء واجباتها وخاصة وظيفتها الاساسية كزوج صالحة، وام فاضلة قادرة على غرس الفضائل والسلوكيات القويمة في نفوس الناشئة، غير أن تعليم المراة وتربيتها يخضع لضوابط ومعايير تتلائم مع طبيعة وظيفتها في الحياة وتتفق مع التعاليم والتشريعات الاسلامية التي تحفظ كرامتها وتصون عفافها، وفي سبيل ذلك لابد أن تلتزم المراة اثناء تعليمها باهداب الفضيلة والحياء، وعدم الاختلاط بالرجال مع التزام الحجاب وعدم التبرج وما اليها من أمور تدخل في هذا النطاق. كما أن المناهج التي تدرس للمراة لابد أن تعنى عناية خاصة بدورها ووظيفتها الاساسية كزوجة وام وتوجهها التوجيه الذي يعدها لهذه المهمة وخصوصا في مراحل التعليم العام التي تعتبر اللبنة الاولى لتكوين السلوكيات الراسخة، وهذا الامر لا يتنافى مع مساواتها بالرجل، أوْ يتنافى مع أحقيتها بالتربية والتعليم فالمساواة لا تعني التطابق، إنما تعني التعادل في كافةالحقوق الانسانية.

وإذا كنا لانكلف المهندس بأعمال الطبيب ولا الزراعي بأعمال الكيميائي لأن بينهما فرقا في التخصص الدراسي- فكيف تسوى بين المرأة والرجل في العمل وبينهما الاختلاف البيّن في تخصص نوعي وخلقي ونفسي، وكل ميسر لما خلق له. إلا أن عدم وضوح الرؤية شئ عجاب.

ثانيا: أن عدم الاختلاط بين الجنسين ليس تقليدا تختص به بيئة اجتماعية معينة، بل هو دعامة رئيسة لطهارة العلاقة بين الجنسين وتأكيد على منع انتشار الفواحش، وحفاظ على كرامة المرأة وصون لعفاف الرجل والمرأة على حد سواء. وقد سبقت الاشارة إلى نتائج الابحاث الغربية الدالة على مساوئ الاختلاط بين الجنسين في التعليم والعمل والنوادي وما إليها من أماكن الاختلاط، والمجتمعات الاسلامية أولى بالاعتبار بهذه النتائج فلا بد من سد الذرائع الموصلة إلى ارتكاب الفواحش عن طريق منع الاختلاط في ميدان التعليم والعمل وأماكن العبادة والترفيه وغيرها من الاماكن التي تستدعي تواجد الجنسين فيها.

ثالثا: مما لاشك فيه أن الحاجة ماسة في هذا العصر لحجاب النساء، فان انتشار الفساد والفتنة وعدم الالتزام بالآداب الاسلامية يحتم ضرورة حماية المرأة وعرضها بحجب مفاتنها وزينتها عن الرجال الاجانب لدرء الخطر عنها وبالرغم من الاختلاف على حدود حجاب المرأة وهل الوجه والكفان داخلان في مسمى الحجاب أم لا؟ فهو بلا شك صيانة للمرأة وليس امتهانا لها. كما أن الحجاب لا يتعارض مع التقدم والمدنية والرقي الانساني، فللمرأة أن تتعلم إلى أقصى مراحل التعليم. والعمل في مختلف الاعمال اللائقة بطبيعة المرأة الجسدية والنفسة في اطار الضوابط الاسلامية التي ينبغي أن تراعي في المجتمعات الاسلامية فهذه المجتمعات لن ترقى في سلم المدنية بمجرد التقدم المادي المدعم بالعلم والمعرفة إذا لم ترق أخلاقيا، وليس

أدل على ذلك من الانحلال الاخلاقي المنتشر في مجتمعات الغرب التي خلفها السفور والتبرج والاختلاط وما إليها. فالسفور والتبرج يتنافى مع مصلحة الروابط الاخلاقية في المجتمعات البشرية عامة، ويتنافى مع طبيعة البيئة النقية الطاهرة التي ينبغي أن تكون عليها المجتمعات الاسلامية خاصة.

رابعا:- ان الاسلام أباح عمل المراة كما أوجب تعليمها فللمراة أن تمارس جميع الاعمال بضوابط يجب توفرها في طبيعة العمل، وفي الاجواء التي يُمارس فيها هذا العمل. فعمل المراة لابد أن يتلاءم مع خصائصها الجسدية والنفسية أولا من حيث الجهد والمشقة العضلية والنفسية، كما يجب أن تلتزم فيه المراة بسلوكيات الاسلام اثناء خروجها للعمل، فلا زينة ولا تبرج ولا سفور، بالاضافة إلى أنه لابد من العمل في أماكن خاصة بالنساء منفصلة عن الرجال فيمنع الاختلاط بين الجنسين الذي يسهم في إعاقة العمل وعدم إجادته، فضلا عن دوره في إهدار كرامة المراة وحريتها، ومع ذلك فان المراة ليست مكلفة بالعمل كالرجل، فأولياء أمرها من الرجال عليهم كفايتها مؤنة النفقة والعمل، أما مكانها الطبيعي فهو المنزل وعملها الاساسي تنشئة النشئ وتربيتهم وتهذيبهم وإعدادهم لحياة مستقبلية قوامها التربية الاسلامية السليمة.

خامسا:- تدعيما للتشريعات والتعاليم الدينية الخاص بتربية المراة والعلاقة بين الجنسين وضع الاسلام آدابا للرجل والمراة ينبغي أن يلتزما بها. فالتشريعات تضبط السلوك الظاهر، أما الآداب فتضبط السلوك الباطن، فالحياء والعفة سلوكيات نفسية تدفع إلى التزام التشريعات وتنفيذها عند الامن من العقوبة أو اللوم والنقد. لذلك كانت هذه الآداب من دلالات الايمان وشعبه التي تثبت كمال الايمان وتميز حقيقة الالتزام بالتشريع بين الافراد والمجتمعات.

سادسا: إن أهم ما ينبغي التأكيد عليه أن مسئولية الالتزام بهذه التشريعات والآداب المتعلقة بتربية المراة تتصل بجهود ثلاث جهات:
أولاها البيئة الاسرية بما تسهم فيه من غرس لسلوكيات الاسلام وتعاليمه، من خلال التربية الاسلامية السليمة، عن طريق التعريف بهذه السلوكيات وممارستها امام الناشئة فيشب هؤلاء وهم مسلمون بان هذه القيم والآداب والسلوكيات الاخلاقية ليست كبتا أوْ عقدا نفسية وليست تخلفا حضاريا يتعارض مع معطيات الحضارة الحديثة. كما يعرفون ان هذه التشريعات والاداب ليست عرفا أوْ تقليدا تختص به بيئة اجتماعية معينة تبعا لظروفها الاقتصادية أوْ اعرافها القبلية وما إليها من تقاليد ومتغيرات، بل هي مصلحة مطلقة للبشرية يوجهها تشريع إلهي حكيم.
والجهة الثانية هي المؤسسات التعليمية بمختلف مراحلها وتخصصاتها خاصة تلك المعنية بتربية الفتيات، فدورها لايقل اهمية عن دور الاسرة في غرس القيم والسلوكيات الاسلامية السامية في نفوس النشئ فالمدرسة امتداد للاسرة ومن خلالها تقع المسئولية على عاتق المعلمين والقائمين على إعداد المناهج التعليمية والمسئولين عن أنظمة التعليم واساليبه. فهؤلاء مربون يشاركون الاسرة في تربية وتهذيب الابناء.
أما الجهة الثالثة: فهم المسؤولون عن الاعلام والعاملون به ورواد نشاطاته المختلفة، المقروءة عن طريق الصحف والمجلات والادب متمثلا في الشعر والروايات والقصص والمسرحيات وما إليها، أوْ الاعلام المسموع والمرئي من إذاعة وتلفاز وفيديو وسينما وما إليها. فهذه الروافد تقوم بعملية تغيير جماعية للسلوك بما تنشره من غث وسمين. فالادب الخليع والمسرحية أوْ التمثيلية المخالفة لتعاليم

وتشريعات الدين التي تربى النشئ عليها تسهم في هدم الاخلاق والقيم والانخلاع من الالتزام بالتشريع ناشره الفساد والرذيلة والفحشاء وتعمل على إلف الانحراف وعدم استنكاره في المجتمع، وكم يترتب على ذلك من آثار سيئة وعواقب غير محمودة. لذلك كان لابد من ضبط الاجهزة الاعلامية لضوابط الاسلام وتعاليمه الحنيفة حتى تتمكن من الاسهام الفعال في تربية النشئ رجالا ونساء على الحياء والعفة والفضيلة والوعي بحكم التشريعات الالهية الخالدة.

سابعا: نظرا لكثرة هجمات التغريب التي تتعرض لها المرأة المسلمة والتي غالبا ما تتخذ اسلوبا علميا منظما، توصي الباحثة بعمل دراسات جدية تتصدى لهذه الحملات في رسائل الماجستير والدكتوراه للاسهام في صدها. والله ولي التوفيق.

مصـــــادر البحـــــــث

أ- القرآن وكتب الحديث والتفاسير والمعاجم

١- القرآن الكريم

٢- ابن العربي المالكي

جامع الترمذي بشرح الامام ابن العربي المالكي .-القاهرة: المطبعة المصرية بالازهر، ١٢٥٠هـ- ١٩٢١م.- (١٢) جزءا في (٧) مجلدات.

٣- ابن ماجه؛ محمد بن يزيد القزويني

سنن ابن ماجه .-مصر: المطبعة القازية، (د.ت).- جزءان في مجلدين.

٤- ابن منظور؛ أبو الفضل جمال الدين

لسان العرب .-القاهرة: المطبعة الاميرية، ١٢٠٠هـ- ١٨٨٢م.- (٢٠) جزءا في (١٠) مجلدات.

٥- البخاري؛ محمد بن اسماعيل

صحيح البخاري .-بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٢٧٨هـ-

٦- أبو داود سليمان بن الاشعث

سنن ابي داود .-بيروت: دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ت).- (٤) اجزاء في (٤) مجلدات.

٧- الطبري؛ أبو جعفر محمد بن جرير

جامع البيان في تفسير القرآن .-بيروت: دار الفكر، ١٢٩٨هـ- ١٩٧٨م.- (٢٠) جزءا في (٢٠) مجلد.

٨- القرطبي؛ محمد بن احمد الانصاري
الجامع لاحكام القرآن .-القاهرة: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م.- (٢٠) جزءا في (٢٠) مجلد.

٩- مسلم بن الحجاج
الجامع الصحيح .-مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر، ١٣٤٨هـ - ١٩٢٩م.

ب- الكتب المنشـــــــورة

١٠- ابن تيمية؛ احمد بن عبد الحليم الحراني
مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية/ جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد النجدي .-الرباط: مكتبة المعارف، (د.ت).- (٢٧) جزءا.

١١- أبو الاعلى المودودي
الاسلام في مواجهة التحديات المعاصرة/ تعريب خليل الحامدي. -ط(٢).- الكويت: دار القلم، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

١٢- --------------
الاسلام والمدنية الحديثة .-ط (٢).- جدة: الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م.

١٣- --------------
بر الامان/ تعريب خليل الحامدي. - باكستان: مطبوعات الجماعة الاسلامية، ١٣٩٦هـ- ١٩٧٦م.

١٤- أبو الاعلى المودودي
تدوين الدستور الاسلامي .-جدة: الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.
١٥- --------------
تذكرة دعاة الاسلام .-جدة: الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.
١٦- --------------
تفسير سورة الاحزاب/ تعريب احمد ادريس .- القاهرة: المختار الاسلامي، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.
١٧- --------------
تفسير سورة النور/ تعريب محمد عاصم حداد .-بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٣٧٨هـ- ١٩٥٩م.
١٨ --------------
الحجاب .جدة: الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.
١٩- --------------
حقوق الزوجين .-
٢٠- --------------
حركة تحديد النسل .-بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.
٢١- --------------
دور الطلبة في بناء مستقبل العالم الاسلامي .-(د.م): الاتحاد العالمي للمنظمات الطلابية، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

٢٢- أبو الاعلى المودودي
مبادئ الاسلام .-(د.م): الاتحاد الاسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.
٢٣- -------------
المصطلحات الاربعة في القرآن/ تعريب محمد كاظم سابق. - ط (٦).- الكويت: دار القلم، ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م.
٢٤- -------------
المنهج الجديد للتربية والتعليم .-ط(٢)-. بيروت- دمشق: المكتب الاسلامي، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.
٢٥- -------------
نظرية الاسلام وهديه في السياسة والقانون والدستور. - بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م.
٢٦- احمد ادريس
أبو الاعلى المودوي: صفحات من حياته وجهاده .-القاهرة: المختار الاسلامي، ١٤٠٠هـ- ١٩٧٩م.
٢٧- اسعد جيلاني
أبو الاعلى المودودي فكره ودعوته. -ط (٦)-. لاهور: الاكاديمية الاسلامية، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.
٢٨- انور الجندي
طه حسين حياته وفكره في ميزان الاسلام. - القارة: دار الاعتصام، ١٣٩٦هـ - ١٩٨٦م.
٢٩- تشارلس فرانكلن
نظرات في التعليم الجامعي/ بحوث لفريق من كبار الجامعيين الامريكيين/ اشرف على التحرير تشارلس فرانكلن/ ترجمة محمد توفيق رمزي .- القاهرة: دار المعرفة، ١٣٨٢هـ- ١٩٦٢م.

٢٠- جابر رزق
طه حسين: الجريمة والادانة. -القاهرة: دار الاعتصام، (د.ت).

٢١- جمال الدين الآلوسي
طه حسين بين انصاره وخصومه .-بغداد: مطبعة الارشاد، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

٢٢- جويار م.ف
الأدب المقارن .- القاهرة: لجنة البيان العربي، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٦م.

٢٣- خليل الحامدي
الامام أبو الاعلى المودودي: حياته- دعوته- جهاده .-ط(٢).- الرياض: مكتبة الراشد للنشر والتوزيع، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

٢٤- سهير القلماوي
ذكرى طه حسين .- القاهرة: دار المعارف بمصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

٢٥- سوزان طه حسين
معك / ترجمة بدر الدين عرودكي .-ط (٢).- القاهرة، دار المعارف، (د.ت).

٢٦- السيد تقي الدين
طه حسين آثاره وافكاره .- (د.م): دار الزيني للطباعة، (د.ت).

٢٧- السيد سابق
فقه السنة .-ط(٢).- بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، ثلاثة اجزاء.

٣٨- شوقي ضيف
الأدب العربي المعاصر في مصر .-ط (٥) .- القاهرة:
دار المعارف بمصر، (د.ت).
٣٩- صالح آدم بيلو
في قضايا الادب الاسلامي .-جدة: دار المنارة للنشر،
١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٤٠- طه حسين*
الايام .- القاهرة: دار المعارف .- ثلاثة اجزاء:
الجزء الاول .-ط(٥٩) .-(د.ت)
الجزء الثاني .-ط(٢٩) .-(د.ت)
الجزء الثالث .-ط(٦) .-(د.ت)
٤١- ----------
بين بين .-بيروت: دار العلم للملايين، ١٣٧٢هـ- ١٩٥٢م.
٤٢- ----------
حديث المساء/ تحقيق وتقديم محمد سيد كيلاني .-القاهرة:
دار العربي للبستاني، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.
٤٣- حديث الأربعاء. -الجزء الثاني، القاهرة:
مصطفى البابي الحلبي، نسخة قديمة (د.ت).
٤٤- ----------
شارع قوله/ تحقيق وتقديم محمد سيد كيلاني .-القاهرة-
طرابلس- لندن: دار الفرجاني، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

---

* جمعت مؤلفات طه حسين في (٢١) مجلدا تحت مسمى المجموعة الكاملة لمؤلفات الدكتور طه حسين، ولكن الباحثة رجعت إلى طبعات أخرى لعدم توفر جميع المجلدات المذكورة لذا لزم تسجيلها في بهذا المقام.

٤٥- طه حسين
في الادب الجاهلي .- ط(١٠).- القاهرة: دار المعارف بمصر، (د.ت).
٤٦- ----------
في الصيف .- بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.
٤٧- ----------
من بعيد .-ط(٩).- بيروت: دار العلم للملايين، ب١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
٤٨- ----------
المجموعة الكاملة لمؤلفات الدكتور طه حسين .- بيروت: دار الكتاب اللبناني.- (٢١) مجلدا.
٤٩- ----------
نقد واصلاح .-ط(٩).- بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
٥٠- عبد الباسط بدر
مقدمة لنظرية الادب الاسلامي .-جدة: دار المنارة للنشر، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٥١- عبد الرحمن حبنكة الميداني
ضوابط المعرفة .- دمشق- بيروت: دار القلم، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
٥٢- عبد المجيد المحتسب
طه حسين مفكرا .- (د.م): دار احياء التراث العربي، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
٥٣- عبد الوهاب الكيالي
موسوعة السياسة .- بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م. جزءا.

٥٤- عمر الدسوقي

في الادب الحديث .-ط(٥).- القاهرة: دار الفكر العربي، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م. - جزءان.

٥٥- غازي التوبة

الفكر الاسلامي المعاصر .-ط(٢).- بيروت: دار القلم، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

٥٦- فان تيجم

الادب المقارن .- القاهرة: دار الفكر العربي، (د.ت).

٥٧- محمد أبو الحسن

طه حسين وديمقراطية التعليم/ تاليف محمد ابو الحسن ومحمود عثمان.- القاهرة: دار المعارف بمصر، (د.ت).

٥٨- محمد حسن بريغش

في الادب الاسلامي المعاصر دراسة وتطبيق .-ط(٢).- الاردن- الزرقاء: مكتبة المنار، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

٥٩- محمد رشيد العويد

رسالة إلى حواء .-الكويت: مطبعة السلام، (د.ت).

٦٠- محمد سيد كيلاني

طه حسين الشاعر الكاتب .- القاهرة- طرابلس- لندن: دار الفرجاني، (د.ت).

٦١- محمد علي البار

عمل المرأة في الميزان .-جدة: الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٦٢- محمد قطب
منهج التربية الاسلامية .- بيروت- القاهرة: دار الشروق، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.- جزءان.
٦٣- ----------
واقعنا المعاصر .- جدة: مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.
٦٤- محمد محمد حسين
حصوننا مهددة من داخلها .-ط(٨).- بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٢م.
٦٥- ----------
الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر .-
٦٦- محمود عبد الحليم
الاخوان المسلمون احداث صنعت التاريخ .-الاسكندرية: دار الدعوة، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م. ثلاثة اجزاء.
٦٧- محمود مهدي الاستانبولي
طه حسين في ميزان العلماء والادباء .- بيروت- دمشق: المكتب الاسلامي، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
٦٨- مصطفى السباعي
المرأة بين الفقه والقانون .-ط(٦).- بيروت- دمشق: المكتب الاسلامي، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
٦٩- مصطفى صادق الرافعي
تحت راية القرآن .-ط(٨). بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٧٠- ناصر عبد الكريم العقل
التقليد والتبعية واثرهما في كيان الامة الاسلامية .-
الرياض: كلية الشريعة، جامعة الامام محمد بن سعود
الاسلامية، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

٧١- وزارة المعارف*
سياسة التعليم بالمملكة العربية السعودية .-(د.ط).-
(د.م): (د.ن)، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

ج- الدوريات

٧٢- توصيات المؤتمرات التعليمة الاسلامية العالمية الاربع .-جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المركز العالمي للتعليم الاسلامي، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٧٣- الرسالة .-مجلة اسبوعية.- العدد الرابع، السنة الاولى، القاهرة: ٥ ذوالقعدة ١٣٥١هـ- اول مارس ١٩٣٣م.

٧٤- كوكب الشرق .-جريدة يومية.- القاهرة: ١٩٣٣/٢/٢٦هـ.

---

* حصلت الباحثة على نسخة من هذا الكتاب من وزارة المعارف، ولا يحمل الكتاب أي معلومات سوى العنوان والتاريخ فقط.

٧٥- المسلمون .-جريدة اسبوعية.- العدد (١١٨).
٧٦- النذير .-مصرية.- العدد (٢)، السنة الخامسة، ١٢٦١/١/٢٦هـ.
٧٧- الوقائع المصرية .-جريدة رسمية للحكومة المصرية:
- العدد (٢١)، السنة (١٠٢)، ٧/ذو القعدة/ ١٢٥٠هـ-
٢٤/ مارس/ ١٩٢٢م.
- العدد (٣٠)، السنة (١٠٢)، ٥/ذو الحجة/١٢٥٠هـ-
١١/ ابريل/١٩٢٢م.
- العدد (٦٥)، ١٥/جمادى الاولى/١٢٥٨هـ-
٥/ يونية/١٩٢٩م.